أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٦١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٨١ هـ — مارس ١٩٦٢ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

العيد في الدين وفي اللغة

للأستاذ عباس محمود العقاد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الأعياد من المراسم المرعية في جميع الأديان الكبرى. لأن الاشتراك في الاحتفال بوقت من الأوقات يرعاه المتدينون جميعا هو بعض المعالم العامة التي لا غنى عنها في كل عقيدة تدين بها الجماعة وتتعارف على شعائرها.

وفي الأديان الكتابية كلها أعياد مقررة تجب على الجماعة رعايتها، يلاحظ في الكثير منها أنها قديمة متوارثة من زمن بعيد سابق لعهد الدعوة إلى تلك الأديان، وقد يرجع ذلك إلى سبب يتعلق بسياسة الدعوة كما يرجع إلى حكمة العقيدة في صميمها. فإن قطع الصلة بماضي الأمة كل القطع قد يعوق الدعوة في سبيلها إلى أسماع المدعوين وضمائرهم، وقد يكون للنفور من الدعوة في هذه الحالة كالنفور من العدو المقتحم الذي لا يقبل منه كلام ولو كان من غيره مظنة القبول والترحيب، وليس من اللازم في محاربة الضلالة الدينية أن نحارب ملكة العقيدة في النفس الإنسانية، فإن ملكة العقيدة في لبابها هي مناط الخير من ضمير الإنسان، ويكفي عند محاربة الأديان الضالة أن نحتفظ بملكة العقيدة لكي يسهل بعد ذلك تحويلها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من المعتقدات السيئة إلى المعتقدات الحسنة ، فذلك أقرب إلى الهداية من استئصال ملكة الاعتقاد بجذورها ، وامتلاء النفس بنزعة الكفر الذى يعرض عن كل إيمان ويسخر من كل دين .

وقد أبقى الإسلام على بعض شعائر الحج فى الجاهلية وأصلحها بالانتقال بها من عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، وكانت دعوة النبى عليه السلام إلى حج البيت وهو فى قبضة المشركين يصدون عنه قصاده المسلمين حجة للإسلام على الشرك ، وإحباطا لسياسة الملأ من كفار قريش ، وهم يحاولون أن يعزلوا الدعوة الإسلامية عن أمتها باسم الحفاظ على كرامة الآباء .

ومن تاريخ الأعياد فى اليهودية والمسيحية يظهر لنا على التحقيق أنها منقولة عن مراسمها الأولى من عهد عبادة الطبيعة أو عبادة الكواكب قبل دعوة موسى وعيسى عليهما السلام .

فالأعياد اليهودية كلها لا تزال على صبغتها الأولى من مراسم الاحتفال بمواقيت الزرع والحصاد ، وهى بأسمائها فى العهد القديم تشير إلى موعد الحصاد ، وموعد الجمع ، وقرابين البواكير من الثمرات والأنعام .

والعيدان المسيحيان يوافقان موعد انتقال الشمس فى الشتاء وموعد انتقالها فى الربيع ، وقد كان آباء الكنيسة الأولون يقيمون الاحتفال بالعيدين فى هذين الموعدين ليصرفوا جمهرة الناس عن تقاليد عبادة الشمس إلى تقاليد العبادة المسيحية .

إلا أن التوقيت بالأشهر القمرية فى حساب العيدين الإسلاميين قد كان له أثره فى تنزيه هذين العيدين عن كل صلة بالعقائد الجاهلية التى سبقت دعوة الإسلام ، فلا ارتباط لهما اليوم بمواقيت عبادة الطبيعة أو عبادة الكواكب ، وليس لهما قوام من الذكريات المادية أو المعانى النفعية ، فقد يعود الصيام فى أشهر الصيف كما يعود فى أشهر الشتاء ، وقد يجب الحج مع أوان المرعى والسقاية كما يجب مع كل أوان ، وهو عدل فى توزيع أيام الفرائض يناسب العدل فى تكاليف الدين وأعباء الواجبات ، ويناسب العدل فى أحوال الأمم التى تؤدى تلك الفرائض وتنهض بتلك الأعباء ، ومنها أمم الرعاية والزراعة وأمم التجارة والصناعة ، وأمم تقيم فى كل مناخ وكل إقليم .

ومن ثم خلص العيد الإسلامى لمعناه من الإيمان المحض بعبادة التنزيه والتوحيد .

وفى سياق هذه المقالات التى نتابع فيها النظر فى مزايا اللغة العربية يتفق لنا أن نذكر مزية لهذه اللغة فى كلمة العيد بلفظها ومعناها ، فإن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تسمية العيد بهذا الإسم تدل عليه بأخص معانيه وهى الإعادة والتعييد ، وليس لهذه الخاصة مدلول مفيد فى أسماء العيد بأكثر اللغات .

فبعض أسمائه باللغات الأوربية تدل على معنى الوليمة ووفرة الطعام .

وبعض أسمائه تدل على اليوم الدينى أو يوم البطالة . وليست هذه من خواص العيد التى ينفرد بها بين سائر الأيام .

وبعض أسمائه الحديثة تقابل كلمة السنوية أو المئوية ، وتصدق على احتفال بعينه يجوز أن يكون يوما واحدا لا يعاد إليه ، ويجوز أن يكون من غير الأعياد لأنه من ذكرى الكوارث أو ذكرى الحداد .

أما كلمة العيد بصيغتها هذه فى اللغة العربية فهى أدل من تلك الأسماء جميعا على خاصته ومعناه .

* * *

ويعود هذا الاستعداد لتخصيص الألفاظ بمعانيها إلى سعة الاشتقاق فى اللغة العربية على قواعده التى تؤدى كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فإن الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفعل عمل الإسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما ، فيأتى الإسم معبرا عن واقع فعله وعن المقصود بوصفه ، وتصلح المادة الواحدة أساسا لأسرة كاملة من المعانى المتفرعة عليها .

وكلمة العيد مصدر من مصادر كثيرة يدل على صفة العودة أو على هيئتها ، ومن فعل (عاد) تؤخذ العودة للذة من العود وتؤخذ العادة للفعل أو الخلق الذى يكثر الرجوع إليه ، ويؤخذ المعاد لمكان البعث أو زمانه ، وتؤخذ العيادة للزيادة المتكررة . وتؤخذ العائدة لما يعود على الإنسان من نتائج عمله على معنى قريب من معنى التبعة أو الجزاء ، وتستعار العوائد لما يعطى أو يؤخذ مع التكرار والتوقيت ، لأن الإعطا والأخذ معنى واحد من جانبين . فما يأخذه هذا هو عطاء من ذاك .

ويأتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة اللفظية أو يسرى منها إلى معانى تناسبها وقد تخالفها فى بعض عوارضها .

وهنا مجال واسع لمعانى الإعادة والاستعادة والتعويد والتعييد ، ومجال واسع للتفرقة بين المعيد والمستعيد وبين العود والمعاودة ، والمعاد والمستعاد ، ولا لبس فى موضع لفظ من هذه الألفاظ لأن وزنه دليل على موضعه من التعبير .

والاشتقاق موجود فى لغات كثيرة ، وهو بعض الخواص الملازمة للغات السامية ، ولكنه لا يوجد بهذا التوسع على هذه القواعد المفصلة ، كما يوجد فى اللغة العربية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكل ما يوجد فى سائر اللغات السامية من قواعد الاشتقاق قائما يوجد بالمقدار الذى يدل على أنها — كلها — فروع من أسرة لغوية واحدة ، وأن كل فرع من هذه الفروع مخالف فى أساس تركيبه للغات النحت التى يطلقون عليها فى الغرب اسم اللغات (الغروية) لأن تنويع معانى المادة فيها يقوم على لصق المقطع بالمقطع وضم العلامات والحروف لنقل الكلمة من صيغة الفعل أو الإسم إلى صيغ النعوت والظروف ودرجات العمل أو الإفادة .

ولكننا إذا قارنا فى خاصة الاشتقاق نفسها بين العربية وأخواتها فى الأسرة اللغوية كادت أن تنفرد باشتقاق مقصور عليها ، لا يضارعه اشتقاق العبرية أو السريانية أو الكلدانية أو الحبشية فى السعة ولا فى تقسيم القاعدة ولا فى تحكيم المتكلم فى التعبير عن أغراضه على حسب كل احتمال معقول .

فالاشتقاق العربى يعطى المتكلم من الأوزان بمقدار ما يحتاج إليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه ، والمتكلم هو صاحب الشأن فى اختيار الكلمة وليست الكلمة هى العبارة المفروضة عليه لأنها وضعت من أصلها ارتجالا أو محاكاة لصوت أو تلفيقا للأجزاء من مختلف المواد .

ولا يحتمل العقل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء صيغ المصدر للمرة أو للهيئة أو للدلالة على الجمع أو الجنس المجموع ، ولا احتمال لصيغة مطلوبة بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم المفعول والصفة الملازمة ، والصفة المرتهنة بالحدث والزمان .

فالمتكلم المعبر هنا هو صاحب الشأن فى تصريف المشتقات على حسب أغراضه واحتمالات تفكيره ، واللغة قد وصلت على ألسنة المتكلمين بها إلى خلق القواعد التى يتبعها تكوين المفردات ، قبل أن تعرض لهم الحاجة إلى استخدام جميع تلك المفردات أو إنشاء الكلمات المرتجلة مع كل مشاهدة تأتى للمتكلم بشىء جديد يحتاج إلى لفظ جديد .

وقدم القواعد على هذه الوتيرة من أول القرائن على قدم اللغة وقدم الزمن الذى ارتسمت فيه عند أهلها قوانين التعبير .

وبهذا القدم تنفرد اللغة العربية بين أخواتها من أسرة اللغات السامية ، ولكنها تنعزل تمام الانعزال عن أسرة اللغات الحامية التى يخلط بعض المستشرقين بينها وبين العربية فى أصولها ، فإنهم — لتجردهم من الذوق الأصيل فى بواعث التعبير باللغة العربية — يحسبون أن التشابه فى بعض الضمائر أو بعض الأعداد أو بعض التصاريف التى تشبه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاشتقاق برهان كاف على وحدة الأصول ، ولو جاز الأخذ بأمثال هذه المشابهات لما انفصلت عائلة لغوية عن سائر العائلات اللغوية التى تتباعد غاية البعد فى تقسيم الأصول والفروع ، فإن الشبه بين بعض الخصائص الطورانية والملاوية وبين خصائص اللغة العربيه أكبر من كل شبه بين الساميات والحاميات .

والمعلوم أن فروع الساميات تتألف من الأصوات المقطعية القصيرة وتكتسب اختلاف المعنى باستعارة صوت إلى جانب صوت ، ولا تنقسم فيها أجزاء الكلام انقساما يعزل الأسماء عن الأفعال ويعزل هذه وتلك عن الحروف .

ولا قرابة بين لغات تقوم على هذه الأسس المتفرقة ، وبين لغة تنقسم فيها حروف الجر وحدها انقساما يخصص كلا منها بموضعه ومعناه وعلاقته بالأسماء والأفعال ، ولا حاجة بعد الالتفات إلى هذا الفارق فى حروف الجر إلى بيان الفوارق الواضحة بين الحاميات والآريات معا وبين اللغة التى اتسعت فيها قواعد الاشتقاق المفصل ذلك الاتساع واشتملت مادة الفعل الواحد منها على أسرة كاملة من درجات المعنى ومقاصد التعبير .

عباس محمود العقاد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عن السرى السقطى ، أنه اشترى لوزا بستين دينارا ، وكتب فى دوزنايجه ثلاثة دنانير بربحه . وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار . فصار اللوز بتسعين ، فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه ، قال بكم ، فقال بثلاثة وستين . فقال الدلال ، فقد صار اللوز بتسعين ! فقال السرى ، قد عقدت عقدا لا أحله ، لست أبيعه إلا بثلاثة وستين ، فقال الدلال وأنا عقدت بينى وبين الله أن لا أغشى مسلما ، لست أخذ منك إلا بتسعين . قال فلا الدلال اشترى منه . ولا السرى باعه فهذا فرض الاحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

موقف الإسلام من المستغلين

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

حالة المجتمع قبل الإسلام :

نظم الإسلام التكافل الاجتماعى بين أفراد الأمة ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولها بما يرسى قواعدها ويقرر أصولها وفروعها . وإكمالا للصورة التى رسمها الإسلام للمجتمع الفاضل المتكامل يجب أن نبين كيف واجه الإسلام عيبا من عيوب المجتمع التى جاء والناس عليه ، ولا يمكن مع وجوده فى أمة أن يتأتى لمجتمعها تحقيق التكافل بين أفراده ، وذلكم هو « استغلال حاجة المحتاج » .

ولكى ندرك أثر الإسلام فى تخليص المجتمع من هـــذا العيب الخطير على بناء الجماعات وتكوين الأمم ، أقدم استعراضا عن حالة المجتمع قبل الإسلام ثم أتلوه ببيان موقف الإسلام من علاج هذا العيب وكيف تغلب عليه بفضل العقيدة الرشيدة والإيمان العميق اللذين تمتع بهما المسلمون الأولون .

فقد جاء الإسلام وقلوب الناس فارغة من معانى الرحمة ، والتعاون لا يحمل قادرهم كلالتهم ولا يساعد موسرهم معسرهم ، بل يأكل قويهم ضعيفهم ، ويستغل غنيهم فقيرهم ، دون أن يكون للقادر أو الغنى من ميزة إلا أنه ذو عافية أو مال ، ولا ذنب للعاجز أو الفقير سوى أن ظروف حياته لم تهيىء له الصحة الكاملة أو موارد الغنى الكافية ، وسبل الكسب الطيب .

فى هذا الجو المظلم كان جشع الأغنياء والقادرين يتفتق كل يوم عن حيلة يمتصون بها أموال الفقراء ويمتصون دماء الضعفاء حتى لم يبق للعاجزات العاجزة والمحرومة إلا أن تستسلم للأمر الجارى أو تثور عليه ، وأنى لها بالثورة وقد قلم الاستغلال أظفارها وسلب منها جميع إمكانياتها .

(أ) فالمقرض فى معاملته المقترض كان لا يكتفى باستيفاء الأصـــل ، إذا اضطر المقترض إلى تأجيل السداد عن موعده ، بل كان يضيف إليه زيادة فى مقابل التأخير ، وتتضاعف هذه الزيادة كلما تكرر عجز المدين عن السداد فى الموعد المحدد .

(ب) ورب العمل ، كان يبخس العمال أجورهم . فضلا عمن يسخرهم فى عمله ، من العبيد والأرقاء الذين كان يضن عليهم حتى بضروريات الحياة الإنسانية ، ليظـــلوا مسخرين لأمره ونهيه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(ج) والمحتكر ، كان يتحكم فى الأقوات والأرزاق . يحبسها عن الأسواق حتى يشتد الطلب عليها ، بعد قلة المعروض منها ، ومن ثم يتسنى له أن يبتز ما شاء من اموال الناس بالباطل . استغلالا لحاجتهم مع قلة حيلتهم .

وهكذا من صور الجشع الذى يرمى إلى جمع الأموال من دماء المحتاجين والضعفاء وتكديسها .

وبذلك نشأت الرأسمالية الطاغية ، التى مزقت الصلات الإنسانية شر ممزق وجعلت أفراد المجتمع أشبه بحيوان الغاب ، الغنى يطمع ، فيفترس الفقير ، والقوى يتجبر ، فيسخر الضعيف . والفقير والضعيف يحقدان فيتربصان الدوائر بالغنى والقوى ويفترصان الفرصة للانقضاض عليهما .

وكان من آثار ذلك أن شاعت فى مجتمع ما قبل الإسلام السوءات الآتية :

أولا : اعتصار الفقير لحساب الغنى ، مما زاد الفقير فقراً وراكم على أموال الغنى أوزاراً فوق أوزاره .

ثانيا : طغيان الغنى وزيادة قوته ، حتى كان من الفرد الواحد أو من الجماعة الرأسمالية دولة أو دويلات تناهض سلطان ولى الأمر وتهدد الأمن والاستقرار ، بما تملكه من مال فائض تسخره فى الطغيان ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » .

وما أروع التعبير فى الآية بقول الله تعالى : « أن رآه استغنى » تعليلا للطغيان : ذلك أن الغنى أمر نسبى ، يختلف من إنسان إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى ، ومن زمان أو مكان ، عنه فى غيرهما . كما أن الإنسان قد يكون بالنسبة لغيره غنيا ، لكنه لا يرى نفسه قد اغتنى بعد ، فيظل له سلوكه الهادىء المسالم ، حتى إذا ما وصل إلى درجة رأى نفسه فيها أنه قد اغتنى ، فإن أعراض الشراسة والاستعلاء تأخذ سبيلها إلى تصرفاته ، ومن ثم يسير حثيثا نحو الطغيان

ومن هنا ربط القرآن الكريم طغيان الإنسان ، بمجرد ظنه وتقديره أنه استغنى ، باعتبار ذلك هو القدر المشترك الصادق فى كل تلك الحالات .

وليس فى أقوال البشر شىء من الشمول فى وصف الآثار السيئة على النفس البشرية ، حين تمتحن بوفرة المال ، كهذا الذى عبر عنه القرآن .

ثالثا : استغلال حاجة المحرومين ، وهم سواد الناس ، وامتصاص جهود الكادحين . وهم جمهرة الأمة ، مما ترتب عليه ضعف الجماهير الذين هم قاعدة التنظيم الاجتماعى ، ومن ثم اهتز البناء الاقتصادى ، لضعف الطاقة التى هى أغلبية المشترين والمستهلكين والعاملين فى مجالات الإنتاج والذائدين عن الحياض والساهرين على أمن الدولة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا شك أن إرهاقهم بهذا الاستغلال الجشع هو إخلال بثبات القاعدة الشعبية التي يجب أن تتلقى العون لا أن تستثمر وتستغل .

رابعا : تزعزع العقيدة، فالغنى كان يطغيه سلطان المال وكثيرا ما نجح في فرض مشيئته على العامة بالاسترهاب أو شراء الذمم ، وبتكرار فرض مشيئته نسى أنه بشر نافه زائل ، وحاكى قارون في غروره عندما قال: « إنما أوتيته على علم عندى » لما أتاه الله من الكنوز « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » .

والفقير يطول انتظاره وصبره ، مع تزايد البلوى عليه ، كان يئن ، فيما بينه وبين نفسه المكلومة ، حتى ليتساءل أين عدل الله !

خامسا : فساد المجتمع ، لسيطرة الروح المادية المسرفة، فالغنى كان يغرى بفيض ماله المتزايد، والفقير كان يضطر تحت وطأة الحاجة للتفريط ، فهانت الأعراض وانحلت الأسر .

سادسا : شيوع الخوف في جميع الطبقات، فالضعيف المحروم كان غير آمن على رزقه حيث لم تكن المعاملة بين الناس قائمة على الفضل والعفو والصدقة . . والقوى الغنى الغاصب كان يعيش في خوف على ماله الذى يجمعه بالاستغلال غير المشروع .

سابعا - استنبات الجريمة بخلق أسبابها ، فالمحروم حاقد ، والمبطون جائع حتى لا تدور عليه الدوائر .

كيف واجه الإسلام حاجة المحتاج :

جاء الإسلام والناس على هذا الوضع السيء، فأفرغ جهده في القضاء على منابع الشر وأخذ بمبادئه الحكيمة يزيل الحواجز التي قطعت ما بين الناس من صلات التراحم والتعاون والبر والإحسان ، وأخذ يبنى المجتمع بناءاً واحدا متماسك اللبنات متضام الوحدات .

وقد واجه الإسلام علاج هذا الوضع السيء من ناحيتين :

أولا : من الناحية الإيجابية :

(أ) وضع تشاريع التكافل الاجتماعى التي سبق أن بينا كيف حتم الإسلام ضرورة الأخذ بها والعمل في نطاقها .

(ب) طالب كل فرد من أفراد المجتمع بالعمل على تحصيل رزقه الذى يكفى حاجته ، ويوفر له حياة نفسية كريمة هادئة .

(ج) أشعر الأغنياء الذين آتاهم الله من ماله أن هذا المال ، وإن كان معقوداً في ملكيته بأسمائهم . إلا أن حق الانتفاع به مشترك بينهم وبين إخوانهم الفقراء الذين يكونون المجتمع معهم ، وراحته من راحتهم ، واضطرابه من اضطرابهم ، كما هو مشترك بينهم وبين المصالح العامة التي تحتاج إليها الجماعة ، في راحتها واستقلالها وإدارة شئونها والدفاع عن حرماتها وكيانها .

(د) ونتيجة لهذا كلفهم بمد يد المعونة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١ ـ إلى الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات ؛ إما بالبذل أو بتهيئة العمل .

٢ ـ وإلى أولياء الأمور ؛ بما يمكنهم من إقامة المصالح العامة التي تحقق خير الجماعة .

(٥) قرر أن تجرى المعاملات بين الناس على أساس واحد ينتظمها جميعا ـ مهما اختلفت صورها ـ وهو الانسياب إلى الخير ، الذى تشيع فى جوانبه الرحمة ، ويحقق التعاون ؛ بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والمجتمع ، وبين الفرد والدولة ، بحيث يكون جوهر المعاملات هو إعطاء كل ذى حق حقه ، ورحمة الضعيف ، واقتضاء حق المجتمع من المقتدر .

ثانيا : من الناحية السلبية : ـ

حرم الربا والرشوة والشح والبخل ، ونهى عن الإسراف والترف والتبذير ، وحذر من الضن بحق الفقير والمسكين .

صوره متقابلته :

ولإظهار التفاوت بين هاتين الناحيتين ، الإيجابية والسلبية ، اللتين واجه بهما الإسلام استغلال حاجة المجتمع ـ قابل القرآن الكريم فى كثير من آياته بينهما ، ، وضع أمام الأبصار صورة مضيئة هى صورة التراحم والتعاطف والتعاون المطلوبة وجعل شعارها البذل والإنفاق .

وفى الجهة المقابلة وضع صورة مظلمة هى صورة الجشع والقسوة والأنانية الممقوتة ، كى يمعن الناظرون فى الآثار الطيبة لصورة التراحم والتعاطف والتعاون ، وفى الآثار السيئة لصورة الجشع والقسوة والأنانية ، فيكون لهم ـ من هذا الوضع ـ ما يردهم عن احترام صورة الجشع والقسوة والأنانية إلى احترام صورة التراحم والتعاطف والتعاون . وبذلك تتحقق إنسانيتهم الفاضلة ، ويسيرون فى الحياة بخطوات متزنة فى البناء والتشييد ، فتسمو بهم الحياة التى ينعمون بها .

ومن هنا لا تكاد تجد ، فى القرآن الكريم آية من آيات الإعلاء من شأن البذل والمعونة والتراحم ، إلا وبجانبها آية من آيات التحذير عن الشح والجشع والأنانية ، وأن شئت فاقرأ من سورة البقرة المدينة قول الله تعالى « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم ، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والله لا يهدى القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » . وهكذا تتوالى الآيات على هذا النسق إلى قوله تعالى بعد ذلك فى نفس السورة : « يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم » وأقرأ من سورة آل عمران المدنية أيضا : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ، واتقوا النار التى أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .

ثم اقرأ فى مقابلة ذلك قوله بعد ذلك مباشرة : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

واقرأ كذلك من سورة الروم المكية : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون . وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله . وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » ... اقرأ هذا كله بعين البصيرة ، وتدبره بروح الإيمان الصادق ، لتعرف الهدف الذى لأجله حرم القرآن الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وسد أبوابه وأحكم سدها على أهله وأتباعه ، وشهر بآكليه أشنع تشهير . حين قال فيهم : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس . ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا » . ثم دعاهم إلى تركه ، وحذرهم من التمادى فيه بقوله : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . ثم توعد من لا يستجيبون إلى دعائه أشد الوعيد فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » . ثم نظم تصفية الأوضاع الربوية القائمة بقوله : « وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

نموذج سمح كريم :

وفى هذه الآية نموذج سمح كريم لما يجب أن يكون عليه سلوك الدائن مع المدين بالنسبة لاقتضاء دينه منه . قدمه الله بقوله : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

فالله يوصينا بإمهال المدين المعسر حتى يصيب يسرا يمكنه من سداد دينه . لكننا إذا تأملنا قوله تعالى : « وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » . فإننا نجد نموذجا إنسانيا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فوق ما يخطر على البال من معانى الترابط بين الناس ، فى سبيل إصلاح الجماعة ، يقدمه الإسلام ، ويغرى به ، ويقيم عليه الدليل .. فالله تعالى ، بهذه الآية ، يريد أن يقول : إن الدائن حين يعلم من أمر مدينه عسرا وعجزا ، فإن الإمهال وحده لا يسمو بتصرف الدائن إلى ما يوصى به الرحمن من صور المعاملات الخيرة بين الناس . وإنما يحسن الدائن صنعا إذا هو ترك الدين وتصدق به على المدين .

ثم ينبه إلى أن هذا خير للمجتمع ... ذلك أن المجتمع الذى يتراحم فيه الناس حتى تصل المعاملات بينهم إلى هذا المستوى الإنسانى النبيل ، لا يبقى فيه حاقد أو ناقم يفكر فى انقلاب أو انتقاض .

أفرأيت إلى مجتمع هذا شأنه ، هل تتخلف فيه الجماهير عن نصرة القوى ونجدته إن حلت به كارثة ، أو نزلت به نازلة ، كأن تحترق له دار أو تغرق له زراعة . كما يحدث فى الريف كثيراً ، حيث لا تتوافر أجهزة الإطفاء ، ولا وسائل مقاومة السيول ؟

هدف الإسلام من بناء مجتمع إنسانى فاضل :

على هذه الأسس والمبادىء التى تقتضيها الأخوة والتراحم والتعاون والاشتراك فى الإحساس وتبادل الشعور بين الأفراد ، بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين الدولة - امتلأ القرآن الكريم . فى مكيه ومدنيه ، بآيات الحث على الإنفاق فى سبيل الله ، وقضاء الحاجات التى تطرأ على الأفراد فتوهن من قوتهم ، وتضعف من روحهم ، وتجعل القلق يسيطر عليهم فى الحياة ، حين يرون إخوانهم الأغنياء يتمتعون بالأموال فى سعة واقتدار ، مما يضاعف همهم . وقد يفتح لهم أبوابا من الشر والفتنة يمكرون بها على الجماعة صفو حياتها ، ويزلزلون عليها عناصر الأمن والاطمئنان .

وعلى هذا الوضع الذى سقنا طرفا منه ، سار الإسلام فى بناء المجتمع الإسلامى الفاضل ، حتى تتفاعل وحداته بإحساس واحد واتجاه واحد فيكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى .

ولا شك أن رأس المال إذا استخدم مراعى فيه تلك العلاقات الإنسانية التى شرعها الإسلام للتعاون بين الناس فإنه لا يصبح ذا قوة أو سيطرة على المجتمع ، ولا يصبح صاحب المال ذا استغلال أو إقطاع فيه ومن ثم يكون أفراده كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وليس غير هذا المجتمع يريد الله .

محمود شلتوت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التجديد في الدعوة الإسلامية يبتدئ من المفاهيم

للأستاذ الدكتور محمد البهي

— ١ —

جاءت رسالة الإسلام وهي تحمل معاني ومدلولات تحدد نظرة الإنسان إلى الحياة ، كما تحدد سلوكه فيها ، إن في صلته بخالقه وإن في أسرته وإن في صلاته بغيره في المجتمع : وكانت هذه المعاني والمدلولات كذلك مصدر الدفع في الحياة ، ومصدر الحركة فيها . وقد تمثلها الإنسان المسلم في نفسه وقت الرسالة وما بعد الرسالة بقليل ، بعد أن وعاها في وضوح ، وقبل أن يطرأ عليها أي أثر من آثار الانحراف في فهمها وتحديدها .

وعندما اتخذت هذه المعاني والمدلولات في وضوحها وفي حسن وعيها قاعدة للسلوك ولتحديد النظرة في الحياة — كان الأفراد المسلمون أفرادا أقوياء في بنائهم وفي سلامة توجيههم وفي دفعهم للحياة ، وكان المجتمع الإسلامي تبعا لذلك مجتمعا قوياً متماسكا متآزرا ، وكانت أهدافه في الحياة هي تلك الأهداف التي توحي بها تلك المعاني والمدلولات في وضوح وعيها وضبطها ، ولا تخرج هذه الأهداف عن كونها تحديدا لإطار المستوى الإنساني الذي يجب أن يرتفع إليه الأفراد إذا ما انخفض سلوكهم عنه وابتعد توجيههم عن محيطه ، والذي يجب أن يظلوا فيه إذا ما وصلوا إليه .

ولكن لوحظ بعدئذ أن هذه المعاني والمدلولات ابتدأت تفارق وضعها الأول شيئا فشيئا ، وأخذت تبعا لذلك تصور نظرة أخرى في الحياة كما تحدد منهجا في السلوك مختلفا عن ذلك المنهج الذي كانت تدعو إليه يوم أن كانت عند وضعها الأول وفي تحديدها على عهد الرسالة وما بعدها إلى أن طرأ عليها هذا التغيير والتبديل .

وربما كان ابتعادها عن وضعها الأول قد تأثر بهدف آخر يختلف عن هدف الرسالة التي جاءت متضمنة إياها ومحددة لها للتطبيق العملي في الحياة . وبعبارة أخرى ربما كان التخلي عن الهدف الحقيقي للرسالة وهو الارتفاع إلى مستوى الإنسانية لذات الإنسانية والاحتفاظ بهذا المستوى عند الوصول إليه ، هو السبب في تحويل تلك المعاني والمدلولات وتغييرها عن وضعها الأول الذي كان لها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكى لا نبقى طويلا فى الجو النظرى البحت لتوضيح هذه المعانى والمدلولات وتغيرها عن وضعها الأول يجب أن نشير إلى بعض منها كما يجب أن نذكر التغير الذى طرأ عليها تبعا لتغير الهدف والغاية فى الحياة. ويستحسن أن نصل إلى ذلك عن طريق توضيح الصلة بين هدف الرسالة الإسلامية عندما نزلت وحيا وقرآنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المعانى والمدلولات التى تضمنتها هذه الرسالة فى ذلك الوقت ، كى يمكن أن نسير فى يسر إلى الارتباط الذى أشرنا إليه وهو : أن تغيير الهدف ترتب عليه بالتالى تغيير الوضع الأول للمعانى والمدلولات . فالرساله الإسلامية - كما ذكرنا مجملا - تخطط فى حقيقة أمرها المستوى الإنسانى الرفيع الذى يجب أن يصل إليه الفرد الذى يؤمن بالإسلام ، ثم بعد ذلك يجب عليه أن يحتفظ به طول حياته ما دام مؤمنا بالاسلام ويقيمه. ويكون هذا التخطيط معانى ومدلولات هى فى ذاتها وصايا فى صورة مؤكدة يترجمها الانسان المسلم إلى فعل أو إلى ترك . وما يجب أن يفعله هو بعينه ما يجب أن يترك ضده . وعلى ذلك فالمتروكات والنواهى هى اضداد للأوامر التى يجب أن تؤدى بالعمل أو القول .

وفى اختصار : هذه المعانى والمدلولات هى التى يسميها الاخلاقيون : « فضائل » يجب على الانسان أن يتدرب عليها حتى تصير من عاداته ، وتكون له بذلك طبيعة ثانية . ويمكن أن يقال أيضا إن تكوينها عند الانسان هى صورة التهذيب التى يجب أن يكون عليها الانسان المهذب ، وصورة الخلق الكريم الذى يجب أن يتخلق به الانسان صاحب الخلق ، وصورة التربية التى يجب أن يكون عليها الانسان الذى قد تعدته التربية ليصبح ذا تكوين إنسانى .

١ - الاحسان :

فاذا جاءت الرسالة الاسلامية بالإحسان وبالحث عليه حتى يكون الإنسان ذا إحسان فالمقصود منه هو كل ما يكسب الانسان حسنا أو كل ما يؤدى بالانسان إلى أن يكون ذا إنسانية . فالانسانية فى حقيقة أمرها هى حسن فى كل جانب من جوانبها ، وصاحبها محسن وما يصدر عنها إحسان . والآيات الكريمة التى جاءت فى هذا المعنى تدلنا على ذلك دلالة واضحة . يقول القرآن الكريم فى سورة الكهف « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » فالاحسان الذى تتحدث عنه هذه الآية وتعد بأن الله لا يضيع أجره هو ذلك الذى يتمثل فى صدر الآية من الإيمان والعمل الصالح . ولا شك أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإيمان صورة رفيعة للبشرية ، وأن العمل الصالح أيضا — وهو ذلك العمل الذى يترتب عليه آثاره فى تهذيب النفس وفى قوة ربطها بالآخرين — صورة رفيعة للبشرية ولا يصل إلى هذه الصورة إلا ذلك الانسان الذى قد سعى ليكون إنسانا ويصل إلى مستوى الإنسانية . ويبتعد بذلك عن أن ينحط إلى ما دونه وتحمل فى هذا السعى دفع الأنانية وإبعاد مؤثرات الهوى والشهوة ومؤثرات الاغراء الداخلية والخارجية على السواء التى من شأنها أن تحول بينه وبين أن يكون كائنا ذا مستوى بشرى رفيع .

ويوضح هذا المعنى قول الله تعالى : « وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض » . فما أحسن به الله إلى الانسان هو أولا خلقه الذى تحدث عنه فى آية أخرى فى قوله جل شأنه : « وصوركم فأحسن صوركم » ثم ثانيا هدايته التى تكتمل بالإيمان بالله وعبادته على نحو ما يحكم الحديث الشريف عند ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله كأنك تراه » جوابا على سؤال من سأل عن الاحسان .

فالاحسان فى أول مدلول له وأول معنى جاءت به الرسالة الإسلامية هو الصورة الإنسانية الفاضلة المهذبة التى لا يصدر عنها فى الفعل والقول إلا ما يعبر عنها . كما تشير إلى ذلك الآيات الكريمة فى قوله تعالى : « كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان . وفى قوله . « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » . وقوله : « فامساك بمعروف وتسريح بإحسان » . « وقوله : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها وقوله : « وقولوا للناس حسنا » . وقوله : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن » وقوله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » .

فهذه الآيات تناولت الجوانب المختلفة للصورة الإنسانية الكريمة ، وهى تلك الصورة التى تجعل صاحبها محسنا ، وتجعل ما يصدر عنه إحسانا من فعل وتصرف ، أو قول وحديث ، او دعوة ومجاورة .

والآيات الأخرى التى يطلب فيها القرآن الكريم من الإنسان أن يكون محسنا تعطى فقط ما لمدلول الإحسان من وضع أراده الإسلام إرادة أولية ، وهو ذلك الوضع الإنسانى الرفيع ، فإذا قال : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » وقال أيضاً « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا » — لم يزد عن طلب أن يكون ذا إنسانية فى معاملته وسلوكه ، وإذا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال أيضاً : « ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، وقال : « أنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » ، وقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . إذا قال ذلك فإنه يبغى لحسب ، ذلك الخلق وهو التقوى والصبر والجهاد فى سبيل المثل العليا والقيم الإنسانية . هو خلق الإنسان الذى وصل إلى المستوى الرفيع فى الإنسانية ويحدده معنى الاحسان .

وهكذا فى كل ما ذكره القرآن الكريم خاصا بالحسن ، وما اشتق منه من إحسان ومحسنين لم يرد به أكثر مما ذكرنا ، وهو ذلك المستوى البشرى المهذب الذى يترتب عليه استقرار النفس وقوة الصلة بين الانسان والانسان .

فإذا مال الاحسان بعد ذلك إلى معنى آخر هو البذل المادى ، وإلى ما يقربه من معنى الصدقة ـ فذلك الميل جاء نتيجة لتحول المجتمع وتحول أهدافه من السعى فى سبيل المثل والقيم الانسانية والحرص على الوصول إلى المستوى الانسانى ، ثم البقاء فيه إلى التركيز على لقمة العيش وإلى قصر السعى على تحصيله وحده ، وبمعنى آخر جاء نتيجة لتحويل الهدف من أن يكون هدفا مثاليا رفيعا إلى هدف مادى آخر ، ولم يتحول المجتمع الاسلامى إلى هذا الهدف المادى وحده إلا عند ما ضعف وبعدت الشقة فى حياته بين إدراك القيم الانسانية على حقيقتها والتعبئة عن طريق الايمان للوصول إلى تحقيقها .

والاحسان فى تحوله من معنى المستوى الانسانى الرفيع إلى تحصيل ما يساعد على المعيشة المادية يصور تطور المجتمع الاسلامى نفسه من المجتمع المثالى صاحب القوة فى الايمان وصاحب القوة فى التماسك وفى التعاون والترابط ، وصاحب الدفعة القوية فى تحقيق الأهداف والمثل إلى مجتمع آخر يبتعد كثيراً عنه سواء فى صلات أفراده بعضهم ببعض ، أو فى تحديد أهدافه أو فى تحديد وسيلة تحقيق هذه الأهداف فى الحياة . وإذا كان تحول المجتمع قد أوحى بتغيير المعنى والمدلول للإحسان ، فمن جهة ثانية هذا التغير فى المعنى والمدلول ـ كما ذكرنا ـ تعبير عن تحول المجتمع نفسه . وتاريخ المسلمين تبعا لذلك يصور نوعين من المجتمعات البشرية . أحدهما ينشد السمو والرفعة والتفانى فى سبيلهما ، والآخر ينشد الكفاف وينشد البقاء للمحافظة على الذرات من أن يصيبها الفناء بسبب الفقر أو الجوع والإحسان فى تطوره من مدلول إلى مدلول يشير لهذا التحول من مجتمع إلى مجتمع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ — الصبر :

وكذلك لو انتقلنا إلى مفهوم الصبر نجده فى ذاته كان له مدلول عند قيام المجتمع الإسلامى الأول ، ثم لما تحول هذا المجتمع إلى مجتمع آخر اخذ الصبر مدلولا ومعنى آخر متلائما مع الوضع الطارىء لهذا المجتمع الآخر . فالصبر فى أول الرسالة الإسلامية كان الصورة العملية للإيمان القوى . على معنى أن قوة الإيمان كانت تتشبث بالإنسان بحيث لا يفارقها ولا تفارقه ، وبالتالى يتحمل فى سبيل الإيمان كل أذى مادى ونفسى . لأنه طالما كان تعبيرا عمليا عن قوة الإيمان فلا سبيل إلى الجزع والهلع ولا سبيل إلى النكوص . وعندما يقول الله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام فى سورة الأحقاف : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » يريد جل شانه أن يوصى رسوله بالاحتمال فى سبيل الإيمان وفى سبيل الدعوة إليه . ولم يكن هذا الاحتمال بسبب فقر اليد أو بسبب أزمة نفسية تعود إلى خيبة الأمل فى تحقيق رغبة شخصية مادية . وإنما كان أولا وأخيرا احتمالا نفسيا فى سبيل الدعوة وفى مواجهة العقبات التى يقيمها خصومها ، كى يكون هذا الاحتمال أخيراً قنطرة توصل إلى الهدف وهو نجاح الدعوة ، أو بعبارة أخرى ترجمة الإيمان بها إلى نتائج عملية فى إقامة المجتمع الجديد الذى أرادته الرسالة السماوية .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى فى سورة آل عمران : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . فهذه الآية الثانية تشير إشارة لا لبس فيها إلى أن الصبر فى وضعه الأول ومدلوله الأول كان الاحتمال فى سبيل الإيمان وفى سبيل الدعوة إلى رسالة الله احتمالا نفسيا قبل أن يكون احتمالا ماديا وعلى وجه الخصوص احتمالا بسبب فقر اليد والجوع .

وهكذا لو مررنا على الآيات القرآنية الذى ذكرت فى الصبر نجد المدلول الذى أشرنا إليه والذى جعلناه مدلولا أوليا لمفهوم الصبر هو ذلك المدلول الذى تقصده الآيات القرآنية الأخرى فإذا قال الله سبحانه : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » . وقال : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط » . وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » . وقال : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » إذا قال القرآن كل هذا وغير هذا فى طلب الصبر والتخلق به فإنه لا يقصد سوى الاحتمال النفسى فى سبيل الإيمان وفى سبيل القيم والمثل العليا

(البقية على صفحة ١٢٧٥)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأبرز هذه القصائد النبوية قصيدته التي عارض فيها نهج البردة تناول في بعض أبياتها المعاني والأحداث الجديدة في العالم :

وقد عقد المؤلف فصلا منها للإمام الحسين تحت عنوان « الحسينيات » وسجل قصائد للسيدة زينب بطلة كربلاء ، وكل آل البيت ، وتحت عنوان : « متفرقات » سجل في ديوانه قصائد عن القرآن والإسلام وبعض الأحداث الإسلامية والأحداث السياسية في بلاد المسلمين ، وفي دنيا الوفاء للإخوان والمجاهدين ورجال البر .

سجل الشاعر قصائد تنم عن خلق رفيع فيه ، لأنه لم يتجاهل أخا استحق الوفاء لصدق أخوته ، ولا مجاهداً استحق الوفاء لصدق جهاده

محمد عبد الله السمان

(بقية المنشور على صفحة ١١٧٨)

لأن أهم ما يعنى به الإنسان في حياته إن كان ذا خلق إنساني وذا سمو في الإنسانية هو الهدف الرفيع في الحياة ، ولا يكون الهدف في الحياة هدفا إنسانيا رفيعا إلا إذا كان من أجل الإيمان بنظام معين في الحياة ومن أجل العمل على تحقيق هذا النظام وتطبيقه .

أما احتمال العاجز عن الكسب سبيل الحصول على لقمة العيش ، واحتمال الضعيف بسبب المرض في سبيل أمل الشفاء ، واحتمال الجائع في سبيل انتظار ما يدفع به جوعه — فإن ذلك لون آخر ومدلول آخر للصبر ، ولكنه ليس ذلك الصبر الذي جعله الحديث الشريف نصف الايمان في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الصبر نصف الايمان) .

فإذا مال مفهوم الصبر بعد ذلك إلى هذا المدلول الأخير ، فإنه يكون قد مال إليه تحت تأثير الطابع الجديد للمجتمع الذي تحول إليه مجتمع المسلمين في أول أمره . ولا يكون هذا الطابع للمجتمع الجديد إلا الطابع المادي الذي يحمل الناس على السعي للحصول على سد حاجات الإنسان المادية ، بعد أن ضعفت الروابط بين الأفراد ، وخف تعاون بعضها مع بعض ، وبعد انصراف أفراد المجتمع نفسه عن النظر إلى المثل والقيم العليا والانصراف بالتالي إلى السعي الإنساني في سبيل تحقيقها أو صيانتها .

وهنا أيضا يمكن أن يكون مفهوم الصبر معبراً عن نوعين من أنواع المجتمع الإسلامي ، كما يكون تحول المجتمع الإسلامي نفسه صاحب الأثر الأول في نقل مفهوم الصبر من مدلوله الأول إلى معناه الثاني . وهنا كذلك يمكن أن نقول إن المجتمع القوي يضفي على المفهوم قوة مدلوله وهدفه ، كما أن المجتمع الضعيف نفسه يستطيع أن يذهب القوة ويستبدلها بضعف لنفس المفهوم الواحد .

البقية في العدد القادم

دكتور محمد البهي
مدير جامعة الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله أعلم حيث يجعل رسالته

للأستاذ محمد محمد المدني

١ — اختار الله تعالى أمة العرب من بين سائر الأمم لتلقي آخر رسالة سماوية إلى أهل الأرض بعد أن استحصفت الإنسانية وبلغت مرحلة الرشد العقلي التي تجعلها صالحة لتلقي الرسالة الخاتمة، واستمداد حكم الله تعالى منها في كل ما يتصل بالحياة إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وإذا تأملنا قوله تعالى: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» وجدنا هذه الآية الكريمة تشير إلى هذا الاختيار. فإن كلمة «حيث» صالحة لأن يفهم منها الزمان والمكان والشخص والأمة: فالله تعالى اختار لرسالته تلك الأمة من بين سائر الأمم، واختار من بين هذه الأمة محمدا صلى الله عليه وسلم، واختار شبه الجزيرة العربية بيئة مكانية لهذه الرسالة، واختار الزمان المعين الذي يوافق أوائل القرن السابع الميلادي زماناً لها.

والذي يهمنا الآن هو أن نعرض على وجه من الإجمال، السر الذي جعل أمة العرب هي أجدر الأمم بتلقي هذه الرسالة واحتمال أمانة تبليغها إلى العالم.

والواقع أن العالم كله — قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم — كان يسبح في ظلمات بعضها فوق بعض، ولم يكن العرب بمنأى عن هذه الظلمات، إذ كانوا مجتمعا طبقيا كغيرهم. وكان فيهم كثير من العادات المرذولة، والتقاليد الجاهلية. ولكنهم مع ذلك كانوا أولى فطرٍ صافية، وأولى ذكاء خارق كما كانوا على الرغم من نظامهم الطبقي مجتمعا متراحما تسوده أخلاق النجدة، والمروءة، والجود، ولهم في ذلك قصص وأخبار وأشعار حتى ليعجب الإنسان كيف كانوا مع هذه الأخلاق يقدسون الطبقية، ويؤمنون بالعصبيات القبلية.

فهذا التواضع الذي يصوره قول الشاعر:

وإني لعبد الضيف ما دام نازلا
وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

يدل على عراقة في الكرم والجود والإيثار ونسيان النفس.

وهذا الشاعر الذي يقول:

على مكثريهم رزق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة البذل

يصف قوما متعاونين متكافلين كأجمل ما يتصور التعاون والتكافل، أما ذلك الشاعر الذي يقول:

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا

فإنه يصف النجدة والمروءة بصورة شبيهة بقول أحدهم نثرا : كان إذا غضب هب لنجدته أو لغضبته أربعون لا يسألونه لماذا غضب ! وتلك قوة في التجاوب ليس بعدها قوة .

وهناك ذلك الشاعر الذي يمثل لونا من الحمية الخالصة من التلكؤ ومن إلقاء المسئولية على الآخرين ، إذ يقول :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم
قيل الكماة : ألا أين المحامونا

لو كان في الألف منا واحد فدعوا :
من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا

هذه الصفات ونحوها هي التي جعلت من المعدن العربي معدنا قابلا للنهوض والتشكل في صور كريمة ، وقلما نجد أمة من الأمم لها هذا النوع من التجاوب مع الفطرة الإنسانية التي هي في الوقع تعاون وتكافل وشعور بأخوة الجنس ، واشتراكية الحياة ، وليس معنى هذا أن الأمم الأخرى لا تمتاز بصفات طيبة ، ومعادن كريمة ، فما قصدت إلى هذا ، وليس هو مما يقصد ، ولكني أريد أن أقول إن الصفات التي امتاز بها العرب - ولكل أمة صفات امتازوا بها - كانت صفات ملائمة لما جاء به الإسلام إلى حد بعيد ، وإن هذه الأمة - مع ما كان يشوبها من وثنية وطبقية وعادات جاهلية - كانت أقرب الأمم إلى تقبل الطابع الإسلامي ، وكان هذا هو السر في اختيارها لحمل أمانة هذه الدعوة الإلهية الخاتمة .

والقرآن الكريم يقول « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وعلينا أن نتأمل قوله عز شأنه « أخرجت » فإن الإخراج يتضمن اختيار من يصلحون ، وتهذيبهم وتربيتهم . وإمدادهم بما يعينهم على أداء ما يعهد به إليهم ، وعلينا أيضا أن نتأمل قوله تعالى « للناس » فهو يشير إلى أن هذه الأمة قد أريد بإخراجها أن تكون مثلا للناس ، ومصدر قيادة وتوجيه ، وإنما كانت كذلك لما ذكرناه من مؤهلات اختيارها ، وأساليب إخراجها ، وعناصر خيريتها المشار إليها بقوله تعالى : « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وذلك رمز استقامتها ، ومبدأ عظمتها ، « وتؤمنون بالله » وهو مبدأ الشعور بالكرامة والعزة .

وبهذا يتبين أن الإسلام اختار لدعوته أمة صالحة بالفطرة ، وأنه أخرج هذه الأمة أي طبعها بطابعه ، وهذبها وأصلحها بما غرسه فيها من المبادىء والعقائد التي تجعل منها أمة قيادة ودعوة إلى الله .

* * *

٢ — جاء الإسلام فأخرج أمة العرب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للناس كما بينا ، أى طبعها بطابعه ، فما هى ملامح هذا الطابع الإسلامى ؟

إن هذه الملامح تتضح من المبادئ الآتية :

المبدأ الأول : لاوثنية . بل وحدانية، وهذا المبدأ هو أعظم مبدأ أعاد للإنسان كرامته الآدمية ، وكرامته العقلية .

فأما كرامته الآدمية ، فلأنه لم يكن من اللائق به ـ وهو الذى اختاره الله للخلافة فى هذه الأرض ـ أن يأتى لشىء فيها من حجر أو شجر أو حيوان ، أو يأتى لشىء مما سخره الله له من الكواكب فيعبده ويخضع له مع أنه هو سيد الكون الذى خلقت كل هذه الأشياء له ، وسخرت لمصالحه .

فالإسلام قضى على الوثنية القضاء الأخير بعد أن حاربتها جميع الرسالات السابقة حروبا كثيرة دون أن تقضى عليها لما كانت عليه العقول من جمود وجهالة ، ولأن الرسالات السابقة لم يكن لها عموم الرسالة الإسلامية ، وإنما كانت محلية فى حدود محصورة زمانا ومكانا .

وأما أن هذا المبدأ قد أعاد للإنسان كرامته العقلية ، فلأنه أظهره على عقيدة « التوحيد » وأيدها أمامه ولم يكن مما يشرف العقل البشرى أن يعلم أن الخالق هو الله ومع ذلك يشرك به ما سواه ، وقد كان العرب يدركون وحدانية الربوبية ، أى أن الله هو الرب الخالق الرازق المنعم المحيى المميت المتصرف فى الكون دون شريك : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » ولكنهم كانوا مع إيمانهم بهذه الحقيقة يجعلون مع الله آلهة أخرى يعبدونها ويقربون لها القرابين ، وكان ذلك شأن الأمم الأخرى أيضا ، فاتخذ الإسلام من وحدة الربوبية دليلا على وحدة الألوهية ، وكان منطقه فى ذلك منطقا عقليا ، إذ كان يصف لهم خلق الله وتصريفه وآثار رحمته ونعمته ثم يقول لهم « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق شىء فاعبدوه » .

المبدأ الثانى : لاطبقية، ولا عصبية . فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى .

والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، رابطة الإيمان بينهم مقدمة على رابطة النسب ، والمنافقون بعضهم من بعض ، لأنهم لا يؤمنون بروابط فلا يقال فيهم بعضهم أولياء بعض كما يقال فى شأن المؤمنين ، لأن المنافق ليس له شىء يؤمن به ويدافع عنه ، وإنما هو يبحث عن مصلحته الخاصة يدور معها حيث دارت ، أما المؤمن فله ما يحبه ويؤمن به ويدافع عنه ويوالى ويعادى فى سبيله.

المبدأ الثالث : التوحيد والمساواة يسيران فى الإسلام جنبا إلى جنب، ويخدم كل منهما الآخر.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بيان ذلك :

« أن الله تعالى يجمع بينهما حين يقول : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » فقوله « اتقوا ربكم » إشارة إلى مبدأ التوحيد ، وقوله « الذى خلقكم من نفس واحدة » إشارة إلى مبدأ المساواة .

« وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بينهما أيضاً حيث يقول : « أيها الناس إن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد » . فهما قضيتان متآخيتان .

« والتوحيد يخدم المساواة . لأن من يعتقد أن لا إله إلا الله ، يعلم أنه هو وجميع الناس مربوبون له ، متساوون أمام هذه الربوبية ، فليس لأحد حق فى أن يخضع له الآخرون ، لأن الجميع عباد الله .

« والمساواة تخدم التوحيد ، لأن من يشعر بالمساواة بينه وبين جميع الناس ، يعلم أنهم جميعا محتاجون كما هو محتاج ، إلى هذه الرحمة الإلهية التى يحسون كل حين آثارها ،

ويعلم أن هذا الاستواء بين البشر فى الاحتياج والفقر دليل على أن هناك إلها فوق مستواهم وأنه واحد لا شريك له مما خلق ، وإلا لكان الشريك مثله ومساويا له ، بل مناوئا له : « إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .

المبدأ الرابع : القسط هو مظهر الإيمان بالربوبية والمساواة جميعا ، وإقامته ضرورة من ضرورات هذا الإيمان .

« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » .

« يأيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط » .

وقد توافقت الآيتان فى أنهما تطلبان من المؤمنين أن يكونوا « قوامين بالقسط » أو « قوامين لله » ، أى أن يكون العدل والتوازن هو غايتهم ليرضوا الله .

ولكن اختلاف التعبير فى الآيتين يوحى بأن «القوامية بالقسط» هى عين «القوامية لله» وبأن «الشهادة لله» هى عين «الشهادة بالقسط» ولا شك أن هذا تنويه عظيم بشأن القسط والشهادة لله ، وبما بين الإيمان بالإله ، وبين المساواة التى مظهرها الأول هو العدل ، من ارتباط واتساق .

وكما نوه القرآن الكريم بالقسط ، نوه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله « إن المقسطين عند الله على منابر من نور . الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

وقوله « أهل الجنة ثلاثة . ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف ضعيف ذو عيال » .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

من شئون المجتمع :

هدى القرآن فى الأمانات والأموال والأولاد

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكى

(ا) يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

(ب) واعلموا أنما أموالكم ، وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم .

(ا) بعد أن تكونت بجانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فئة من المسلمين تدين بالعقيدة الحقة ، وتجاهد فى سبيلها صار القرآن يخاطبهم كثيرا ، بيا أيها الذين آمنوا ، وإنما خصهم بهذه النداءات لأنهم تخلصوا من الكفريات ، وتهيأوا للعناية بتربيتهم ، وتطهيرهم من دنس الجهالة ، فكانوا أهلا لتلك العناية ، ولتنشئة مجتمع طيب منهم ، عريق فى دعائمه ومشخصاته ، وملامحه .

حتى كان من تلك العناية أن يتكرر نداؤهم بوصفهم هذا : الإيمان - فى آيات متعاقبة ، أو متقاربة ، كما نرى فى سياق آياتنا هذه من سورة الأنفال بالنسبة لما قبلها وما بعدها ، وفى مقامنا هذا يعمد القرآن إلى توجيه المؤمنين نحو أمور ثلاثة : من أهم قواعد النظام فى حياة المجتمع .

الأول - الأمانات . وما تقتضيه من صيانة .

والثانى والثالث : الأموال ، والأولاد ، واعتبارهما فى دنيانا نعمة ، أو فتنة مضلة . وقد سبق فى سورة النساء أن أمر الله تعالى بتأدية الأمانات إلى أهلها تأكيدا لما فى سورة البقرة من قبل .

١ - والجانب الأول من موضوعنا الآن - نهى الله عن الخيانة لله ، وللرسول ، والأمانات بيننا .

فإذا وعينا تكليف الله لنا بتأدية الأمانة ، ثم وعينا نهيه عن الخيانة : وجدنا أنفسنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمام وجهة من الكمال ينشدها الدين فيمن يريدون الخير لأنفسهم .

وخيانة الله تكون بالتخلف عن مطاوعة دينه فيما أمر ، أو فيما نهى .

وسواء أكان ذلك التخلف فى عبادة ، أو معاملة أو فى نشاط فردى أو جماعى فى تحصيل الأرزاق ، وإنجاز الأعمال فى مواقيتها ، وعلى وجه الإتقان كما أحب الله من عبده إذا عمل عملا ما .

فهذه جوانب النشاط فى حياة سليمة من الآفات ، والمرء فيها بحاجة إلى الاهتداء بتشريع الله حتى يكون متجاوبا فى مسلكه مع دين الله ، وتكون معيشته لونا صادقا تتمثل فيه بوضوح مظهرية الدين الذى يعيش فى ظلاله .

والانحراف عن هذا المسلك القيم المستطاع يعتبر خيانة لله فيما عهد به إلى المؤمنين فضلا عن كونه انحرافا لا يكفل نجاحا مطرداً ، وإن صادف نجاحا مؤقتا .

فإن سنة الله فى تدبير ملكه ، والتى قامت عليها فطرة الحياة تأبى أن يكون للباطل دوام . .

٢ ـ وحينما نقرر أن الأمانة بجموع الامتثالين فعلا ونهياً لا يكون أحد الجانبين كافيا فى تحقق الأمانة أو اتصاف الإنسان بالأمين .

فربما كان المصلى مرائيا ، وربما كان المزكى ظالما ، وربما كان المجاهد مختلسا ، وفاعل هذا لا يسمى أمينا ، ولكنه خائن ، لانتقاصه أمانة الله ، وخدشه إياها من أحد الجانبين — فعل المنهى عنه — .

وخيانة الرسول بالإعراض عن دعوته ، وإهمال سنته فيما بين من أحكام القرآن وآدابه ... وقصارى الحديث فى هذا أن خيانة الرسول فى جملتها وتفصيلها هى خيانة لله ، فإن الرسالة النبوية أمانة الله التى حملها إلينا محمد رسوله ، فكانت طاعة الرسول أو مخالفته هى فى موضوعها طاعة لله أو مخالفة له .

ومن أجل هـذا كان الاقتران بينهما فى أسلوب القرآن : « ومن يطع الله ورسوله ـ وأطيعوا الله والرسول ـ ومن يعص الله ورسوله . . . » .

والقرآن يتعرض لهذا فى كثير من آياته المفصلة ثم يتعرض له إجمالا فى مثل قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وما دامت الأمانة فى جانب الله ورسوله واحدة ، والخيانة كذلك واحدة : لوحدة الموضوع فيهما فالتنصل من الحفاظ عليها يعتبر نقصا فى الدين . وهنا يتضح قول النبى صلى الله عليه وسلم ـ لا إيمان لمن لا أمانة له ـ وهل يكون مؤمنا فى اعتبار العقل فضلا عن الشرع من يخون الإيمان فيما يقتضيه ؟ ؟

وإن ذلك الحديث ليتسع لأنواع الأمانات ، وفيها الأمانات بيننا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونحن نعلم ما بين الناس من عهود واتفاقات وودائع وأسرار ، واشتراك فى أعمال ، وأموال . ونحو هذا يطول تفصيله كعلاقات الحاكم بالمحكوم ، والقاضى بالمتحاكمين ، والشاهد بالمشهود الخ ...

وكل هذه أمانات تقتضى صيانتها من العبث بها ، أو الخروج فيها عما فرض لها من محافظة عليها . . وفى المساس بها خطر على مصلحة الفرد أو المجموع .

فمن وراء الخيانة فيها زعزعة الثقة بين الناس ، وتعويق عن النجاح فى أمور تحتاج إلى السرية كما يشير النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فى قوله ـ واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ـ

وعندما نفطن إلى الخيانة وأثرها فى الإضرار بالحياة العامة ندرك حكمة الله فى تحريم الخيانة على أى وجه من الوجوه ، ومهما تكن فى شىء ضئيل ـ فمعظم النار من مستصغر الشرر .

ومما يزيد مأثمها أن يرتكبها الناس عالمين بكراهية الله لها ، وبأسباب الحظر فيها . . وهذا هو قول الله : « لا تخونوا الله ، والرسول ، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

أى تعلمون شأن الأمانات ورعايتها ، وأضرار الخيانة ، وبشاعتها ، وكراهية الله لمخالفة حكمه ، فإن ارتكاب المحظور على علم يزيد فى جرم صاحبه وعقابه .

وليس من قبيل الأمانة المرعية فى نظر الإسلام مجالس السوء ، ومؤمرات الأشرار وأحاديث المجون ، ومالا يتفق مع توجيهات الدين إلى الخير .

فإنكار ذلك كله ، والكشف عنه لمقاومته ودفع أضراره قبل حصوله حق على المسلم .

وهو ما يشهد له قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : « المجالس بالأمانة : إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق » فهذه أسرار لا حرمة لها ، ويجب أن تعلن لمقاومتها ، وكف أصحابها ، وسلامة الناس من آثارها .

كما يشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان » .

يريد النبى صلى الله عليه وسلم مقاومة المنكر بكل وسيلة ممكنة .

هذا مجمل القول عن الأمانات فى تشريع الله .

(ب) والجانب الثانى من موضوعنا : جانب الأموال والأولاد : إذ فى الكلام ضميمة قوية ، أفصحت عنها الآية الثانية : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » .

١ ـ فلا شك أن المال والولد نعمة محببة إلى النفس تستبد بفرحة الإنسان ، وتتحكم فى توجيهه يمينا ، وشمالا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والقرآن يشيد بهما كثيرا . . وهو يتجاوب فى هذا مع فطرة الإنسان فى إعزاز المال والولد « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ... وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا ... يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » .

٢ — ثم مع هذا يحذرنا القرآن من تلك النعمة فى قوله هنا « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » .

فهما نعمة ، وزينة ، وهما فتنة وبلاء ... هما نعمة يغتبط لها الإنسان ، ويزهى بها ، وهما غرور وخيلاء ، ومدعاة البطر والتجبر .

وقديما كان المال والأولاد مفاتن للناس ، يتغنون بذكرهما فى مجال التفاخر ، ويتكاثرون بهما حين التطاول على الغير ، والمباهاة بالثراء والعصبيات : « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » ولأنهما نعمة ، وفتنة : نبه القرآن كثيرا على حسن التصرف فيهما ، وأنهما اختبار يتضح به شأن الإنسان فيهما كأمانة عنده : أيرعاها حق رعايتها أم يسىء فيكون اختباره بهما وبالا عليه « أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » .

وكان الكافرون يظنون أن الله يعطيهم لخصوصيات فيهم .

وكذلك شأن الكثيرين فيمن سلف ، ومن خلف . . وكم حافت الممالك بأمم كانت أشد من سواها قوة ، وأكثر أموالا ، وأولادا . . فما أغنت عنهم أموالهم ، ولا أولادهم ! !

٣ — ولعل حديثنا هذا — عن الأموال والأولاد — يقرب إلى الأذهان ما أريده : من أن تعرض القرآن لها بعد التكليف برعاية الأمانات ، وعدم الخيانة فيها كيفما كان نوعها — يعتبر من جديد إشادة بهما ، كما يعتبر تنصيصا على الحيطة فيهما ، والتحذير من الفتنة بهما حين وجودهما ، أو الاسراف فى الجزع لأجلهما حين الحرمان منهما .

فالفرح المفرط ، والأسى والتحسر كلاهما فتنة موبقة ، وتصرف محذور ومحظور .

وفى الناس والحمد لله عقلاء يدركون أن الأموال والبنين وديعة الله لدى خلقه ، فهو يودعهما ، أو يودع أحدهما عند من يشاء ، ويستردهما ممن يشاء .

وفى ترديد هذا يقول الشاعر :

وما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بد يوما أن ترد الودائع

٤ — ومن هذا ندرك فى سهولة أن التوجيه إلى الأمانة ، وعدم الفتنة بالأموال والأولاد متعلق بالمحظوظ فيهما ... كما هو متعلق بالمحروم .

فذلك يغتبط ، ويشكر ، ويكون بماله وأولاده خيرا لنفسه ، ولوطنه ، ودينه ، فلا تكاثر ، ولا صلف ، ولا تجبر ولا إفساد .

والمحروم يرضى ويصبر ، فلا جزع ، ولا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حفيظة على النـاس ، ولا يأس ولا زهادة في الاجتهاد ، ولا كراهية للحياة .

وحينذاك يكون اختبار الفريقين بالعطاء في جانب ، والحرمان في جانب : اختبارا موفقا حيث لم يكن من المحظوظ إلا حسن تقدير وشكر ، ولم يكن من المحروم غير تسليم وصبر ، وقد وعد الله الفريقين وعدا حسنا في نهاية الآية بقوله « .. وأن الله عنده أجر عظيم » .

٥ — هذا — وقد لا تجد المـال والولد في اعتبار النـاس سواء ، بل يزاحم أحـدهما الآخر . . فهذا إنسان يكدح في الكسب ، ويضنى نفسه وأولاده في تحصيل المـال من طرقه المشروعة أو غير المشروعة ، ثم يضن به على نفسه وأهله ، ويكنزه عن بعض وجوه الخير : حبا ذاتيا للمال ، وتفانيا في تكديسه وحراسته ، وكأن المال خلق غاية لا وسيلة ، وهذا الضنين يجني بشحه على ذويه ، وعلى الوطن جناية مزدوجـــة ، فالحرمان مبعث الفساد في الأولاد ، وحبس المال عن إطـــلاقه في مجال الاستثمار وتعميم النفع « ... الذي جمع مالا وعدده ، يحسب ان ماله أخلده — . وتأكلون التراث أكلا لمـا ، وتحبون المـال حبا جما » .

ومثل هذا مثل السارق من الوطن : يأخذ ويخفي ، ويمد يده للسلب ، ولا يمدها للعطاء ، فهو عدو لمجتمعه .

وذاك إنسان آخر يبسط يده في الإنفاق مما لديه . ويبالغ في تدليل نفسه وأولاده ، ولا يتردد أن يختلس ، أو يغتصب ، أو يرتشي ، ليشبع نهمه ، ويرضي شهوات البنين ، ولا تزجره الأزمات ، ولا يقف في سبيله العجز المادي إذا فرغت يده مما تملك ، فلديه وسائله الشيطانية الكثيرة .

ومن شأن هذا الإتلاف أن يجر إلى الضرر بالكثيرين ممن يتعرضون له في مجتمعه ، فضلا عن كونه أنبت أولاده في مباءة فساد ، وسلطهم بتربيتـه الضارة على الأمن العام وحقوق الغير ، فالمبالغة على أي وجه من وجوهها في حب المال ، أو الأولاد على حساب المال مفسدة ، ومخلة بالتوازن ، وعبث بالأمانة في المال والولد ، وضررها كالوباء المتفشي بين القوم .

والله تعالى يلزمنا بالأمانة كفرض ديني : لا لمجرد التعبد بها ، فليست عملا نحصله ، ونجهد أنفسنا به قربة إلى الله !! . بل يلزمنا بها كمبدأ خلق نعتصم به ، ونتحمل بالتزامه في حقوق الله ، وحقوق الناس .

وما دامت نوازع الشر دائما مشبوبة ، ووقائع الخيـانات متلاحقـة ، ومتنوعـة فكأن الناس على جهالتهم الأولى ، وكأن الآيات في الأمانات واجتناب الخيـانات تنزيل جديد ، والله الحفيظ .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دراسة عن علي مبارك :

علم الدين : الشيخ والكتاب

للأستاذ محمود الشرقاوي

— ١ —

علم الدين : اسم كتاب ألفه علي مبارك ، وأجرى حديثه على لسان متحدث سماه بالإسم نفسه : الشيخ علم الدين ، وهو ليس كتاب أدب ولا تاريخ ولا علم ولا سياحة ولا لغة ولا قصص . وإنما هو كتاب جمع هذا كله وزاد عليه . جعله علي مبارك في مائة وخمسة وعشرين فصلا ، سمى كل فصل منها «مسامرة» . فجاء في أربعة أجزاء كبار . والمسامرات أحاديث أجراها بين جماعة من الأصدقاء ، هم شيخ أزهري وابنه ، وسائح إنجليزي محب للغة العرب عالم بها . وآخرون عرفهم هؤلاء في رحلتهم التي رحل فيها الشيخ وولده إلى أوربا في صحبة صديقهم الإنجليزي وعلى نفقته ، وبأجر منه .

أما أسلوبه فسهل يسير صحيح العبارة . لا يلتزم السجع وإن كان يجنح إليه إذا جاء طبيعيا غير مفتعل ولا متصنع . أسلوب يرضى عنه القارئ المعاصر الذي اعتاد أن يقرأ السهل الميسر المفيد من الكلام . ويرضى عنه الذي يريد أن يتذوق شيئاً من السجع والمحسنات ، من غير سرف فيها . وإذا راعينا أسلوب الكتاب ومستوى الكتابة في ذلك العصر ، نستطيع أن نقول إنه كان ، في كتابه هذا ، سابقا لعصره . يتميز عن معاصريه من الكتاب ويفوقهم إلى حد كبير .

وهو في سياق هذه المسامرات التي أجراها عن سيرة علم الدين أو في سياق الأحاديث التي يحدثنا بها على لسانه ، يستشهد بشيء من القرآن الكريم والحديث . ويذكر شيئاً غير قليل من الشعر ، وشيئا آخر من الأمثال والحكم والنوادر المأثورة والقصص التهذيبي أيضاً .

ونستطيع أن نقول إن « علم الدين » هو أول كتاب ألفه كاتب على هذا النحو القصصي في الأدب العربي الحديث . فقد سبق ظهوره ظهور « حديث عيسى بن هشام » الذي ألفه محمد المويلحي ، بعشرات السنين . كما سبق « ليالي سطيح » الذي ألفه بعد ذلك حافظ إبراهيم . وقد سلك في تأليفه مسلكا باعد بينه وبين الملل والسآمة . فنحن نقرأ علم الدين في أجزاء أربعة كبار . فنجده شيقا مشوقا يثير في نفس القارئ الرغبة في أن يقرأ ويسترسل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويمن . حتى النصائح والعظات يسوقها مساقاً رقيقا رفيقا لا يبدو فيها متعالما ولا ناصحا أو زاجرا . وجعل الحديث أو «المسامرات» كما سماها ، بين أكثر من واحد .

وهو لم يسلك هذا المسلك فى تأليفه اعتباطا ومصادفة . بل سلكه عن إدراك وتمييز . وذكر فى مقدمته أنه اختار هذا المسلك لأنه رأى « النفوس كثيراً ما تميل إلى السير والقصص وملح الكلام ، بخلاف الفنون البحتة ، والعلوم المحضة » .

ليس كتاب « علم الدين » رحلة ولا قصة ولا حوارا يتضمن كثيراً من مبادئ العلوم والفوائد وطرائف المعرفة . بل هو كل ذلك جميعا . ويتضمن فوق ذلك شيئا من طريف القصص . كقصة يعقوب مع أخته التى ترهبت وماتت فى الدير . فهى قصة شيقة حقا . قصها يعقوب على أصدقائه الشيخ وابنه وللسائح الإنجليزى عندما تعرف إليهم وصادقهم . وكقصة هذا القاتل الكسيح الذى فصّل قصته فى المسامرة الخامسة بعد المائة . ومنها نعرف أن على مبارك يجعل المجتمع مسئولا عن جريمة المجرم . إذا لم يهيئ له أسباب العيش ، وكانت قوانينه فى مصلحة أهل السيادة . وقد أبرز رأيه هذا إبرازا قويا فى قصة طريفة شيقة مؤثرة . ويبدو على مبارك فى كتابه هذا معلما من الطراز الأول . مشغولا ومشغوفا بالعلم والتعلم والتعليم . فهذا الإنجليزى فى القطار بين القاهرة والإسكندرية مع رفيقه الشيخ لا ينى يعلمه ويتعلم منه . يتحدثان فى البخار والسرعة والمقاييس واللغة وما يتعلق بالسير والمسير وملابساتها . فإذا نزلا فندقا فى الإسكندرية تحدثا عن الفنادق والنظافة والسياحة ومعرفة البلاد والناس ، والخلطة بين بعضهم وبعض . فإذا نزلا المدينة تحدثا عن البريد وفوائده ، وكيف يحمل رسائل الناس بعضهم إلى بعض ، وما يفيده ذلك فى التجارة والمعرفة والصلات . فإذا سارت بهم السفينة تحدثا عن البحر ، وكيف عرف الناس ركوبه أول الأمر ، وعن السفن وكيف بدأت أخشابا ساذجة غشيمة منحوتة ، حتى صارت كأنها مدن هائلة تسير بالبخار ، ويتحكم الربان فى مسيرها أكثر مما يتحكم الفارس فى فرسه الملجم . وكيف عرف الناس فى البحار وجهتهم أول الأمر برصد النجوم والشمس والكواكب حتى عرفوا البوصلة ، كما عرفوا قياس السرعة التى تسير بها السفينة . ويتحدثان فى هذا الأثر البعيد الذى أحدثته فى حياة الناس هذه السفن وإقدام الناس على ركوبها وتسخيرها لحملهم وحمل بضائعهم .

كما يتحدثان فى هذا العالم الواسع الذى تضطرب به أعماق هذه البحار والمحيطات ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما أودع الله فيها من عوالم وأحياء وأسرار.

وكما يتحدث الشيخ علم الدين إلى صديقه الإنجليزى حديث العلم والمعرفة . يتعرف ابنه الشيخ أيضا إلى إنجليزى آخر بحَّار على الباخرة فيتحدثان حديث العلم والتاريخ والثقافة . ويضمن الإبن هذه الأحاديث رسائل يبعث بها إلى أمه فى القاهرة .

وفى مقدمة علم الدين يبدو على مبارك ، منذ اللحظة الأولى متدينا مؤمنا . وهو فى الوقت نفسه عالم يفسر ظواهر الطبيعة تفسيراً علميا ثم يخلص من هذا المزج بين العاطفة الدينية والإدراك العلمى ، إلى إحساس صوفى إنسانى شامل [1] ، ثم ينعطف من هذا الإحساس الصوفى الإنسانى إلى إحساس وطنى قومى . وهو بعد إبراز هذه العاطفة ، وتوكيد هذا الإحساس ، ينتقل به من التعميم إلى التخصيص فيحدد طريق النفع الذى يجب على صاحب العاطفة الوطنية أن يخدم به وطنه ، يحدد هذا الطريق بأنه إشاعة العلم والمعرفة .

ونجد لعلى مبارك ذوقا ولمتاحية فى اختيار الأسماء . وهو ذوق يشى بهذه العاطفة الدينية أيضا . فاسم صاحب الرحلة « علم الدين » . والزوج التى اختارها له اسمها « تقية » ، وولده منها إسمه « برهان الدين » .

(١) ص ٥ — ٦ من المقدمة .

الفقه وأصوله :

والكتاب من الناحية القصصية أو الفنية لا يلتزم قواعد الفن وأصوله . فهو يجعل زوجا جاهلة فقيرة من أهل القرن التاسع عشر فى القاهرة هى تقية تتعلم على يد زوجها حتى تجادله فى أمور دقيقة من شؤون الفكر والفلسفة ، كعقيدة الجبر ، وما يعرفه الأصوليون وأهل الكلام بالصلاح والأصلح ؛ والعرض والجوهر كما تجادله فى القضاء والقدر ، وفى ذلك المعنى الذى تحدث عنه الشاعر فى شعره : —

كم عالم عالم أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأفهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقاً

وهو ينطق هذه الزوج بكثير من الشعر والحكم كما أنطقها بكثير من دقائق العلم .

ونجد فى موضع آخر أنه أنطق الشيخ بما يستبعد جداً أن يعرفه ، من حديث اللغة المصرية القديمة والأعياد المسيحية .

وكأن على مبارك لا يرسم قصة يلتزم فيها حدود الإمكان والبيئة والطبيعة وحدود الواقع ، أو الخيال الذى يلتزم إمكان الوقوع ، بل يود ويتمنى . ويغرب به الخيال إغرابا بعيداً . فكأنه حين أنطق هذه الزوج الجاهلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بهذا الحديث ، وأجرى فى فهمها وعلى لسانها هذا الحوار . كان يتمنى أن يجد المرأة المصرية وقد بلغت هذا المبلغ من الإدراك والمعرفة ، أو يجدها وقد نالت هذه الحرية مع زوجها فى الحديث والمحاورة والمجادلة . أو نالت عنده هذه الكرامة التى تجعله يستمع إليها متحدثة ومجادلة

وكذلك شأنه مع الشيخ فيما أطلقه به من حديث الأعياد المسيحية واللغة المصرية القديمة .

وتبدو ظاهرتان فى بعض هذه الحاورات بين الزوجين ، : تقية وعلم الدين ، أولاهما أن تقية تكثر من الكلام على قدر مايكثر هو من الإصغاء . ولئن كانت هذه الظاهرة أمرا حقاً بالنسبة لطبيعة المرأة وواقع أمرها . فإن الظاهرة الثانية ليست كذلك . وهى أن الحديث الذى يجريه على لسانها أقوى حجة ، وأقوم منطقا ، وألسن بيانا من ذلك الذى يجريه على لسان أستاذها وزوجها علم الدين ... !

ومما يمكن أن يؤخذ أيضا على كتاب «علم الدين» ، من الناحية القصصية أو الفنية ، أنه لم يراع واقع الأمر ولا احتمال إمكانه فى هذه الرسائل الطويلة التى كان يرسلها برهان الدين لأمه فى القاهرة . فعلى مبارك يجعل برهان الدين يحدث أمه الريفية القاهرية فى أمور من الثقافة قد لا يعرفها الآن كثير من الرجال المثقفين فى عصرنا الحاضر فكيف بامرأة قاهرية ريفية من القرن التاسع عشر ، يحدثها عن علم الأجناس ، وأصول البشر ، وإلى أى جنس ينتسب الأوربيون والعرب والتتار والأمريكيون ، ويحدثها عن نشأة الأديان وافتراق المسيحية إلى مذاهبها من الكاثوليكية واللوثرية والبرتستانتية وما بينها من اختلاف ، وعن افتراق المذاهب الإسلامية إلى أشعرية ومعتزلة وخوارج وجبرية وشيعة ونجارية ومشبهة ، إلى آخر هذه المذاهب وما بينها من فروق ، ويذكر لها أسماء واصل بن عطاء ، ومحمد بن الحسن النجار ، وغيلان الدمشقى ويونس الأسوارى ، ومعبد الجهنى ، إلى غير هذه الأسماء التى لا يعرفها إلا الراسخون فى علم الكلام والمذاهب والفرق ، كما يذكر الشيخ فى رسائله إلى زوجه كثيراً من الإحصاءات الدقيقة التى لا يعنى بها إلا خاصة الباحثين والعلماء .

ويحدثها كذلك فى أنواع الحكومات : الجمهورية ، والملكية ، المطلقة منها والمقيدة . وعن نظام الشورى ، والجيوش ، والحصون ، إلى غير ذلك من الأحاديث .

ومع هذه الإحاطة والدقة والحرص على الاستيعاب نجده عندما تصل السفينة بالشيخ وولده وصديقه الانجليزى إلى الساحل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأوربى ، يقول إنهما كانا يتحاوران فإذا بضجة « فى صدر السفينة ، تبين أنها إشارة للوصول إلى الميناء ، ولكنه لم يبين لنا أى ميناء هى من بين هذه الموانىء المتعددة التى يمكن أن يصل إليها الراحل من مصر إلى أوربا . . ! ثم نعرف بعد صفحات طوال أنهم نزلوا ميناء مرسيليا .

ومن هذه المآخذ أيضا حديثه عن تلك الفتاة الفرنسية التى جعل الشيخ الشاب برهان الدين يجلس إلى جوارها على مائدة الطعام ، فهو يصفها بقلمه بما نعرف من أوصاف الفتاة الأوربية ، من الرقة واللطف والتهذيب والأناقة والجمال والانطلاق الذى يجعلها تشارك الرجال فى الحديث وتبدى إعجابها بالشيخ الشاب وفتوته ومظهره ولباسه الشرقى ، وهو فى حديثه هذا صادق فى وصف المرأة الأوربية ، كما نعرفها وكما شهدها .

ولكنه عندما يستشهد على فتنة هذه الفتاة وجمالها يذكر هذين البيتين من الشعر العربى القديم :

وتميس بين مزعفر ومعصفر
ومعنبر ومسك ومصندل
هيفاء إن قال الشباب لها انهضى
قالت روادفها : اقعدى ، وتمهل

وهو فى هذين البيتين قد أبعد البعد كله عن وصف المرأة الأوربية ، فهى إذا تعطرت لا تتعطر بالصندل والمسك والعنبر ، وإذا لبست لا تلبس المعصفر والمزعفر ، وإذا نهضت لا تقعدها ولا تثقل عليها الروادف والأعجاز . بل ذلك كله من صفة المرأة الشرقية القديمة وخصائصها كما نعلم .

على أننا نجده هو نفسه يصف هذه الفتاة نفسها بعد قليل من الصفحات ، بأنها هيفاء . وهذا الشعر الذى وصفها به منذ قليل ، والذى يقول إنها لا تكاد تستطيع أن تنهض لثقل أردافها ، إنما يصدق على المرأة الألياء (١) . لا على المرأة الهيفاء .

وقد نجد هذه الظاهرة فى غير هذا الموضع ، مما اقتبس فيه على مبارك شيئا من الشعر العربى القديم .

ومن الناحية اللغوية قد نجد بعض أخطاء بينة الخطأ فيما يكتب (٢) ومع سلامة أسلوبه وصحته وانطلاقه . لم يخل من أخطاء بعضها واضح من الصعب أن يصدق الإنسان أن يجهل على مبارك وجه الصواب فيها . وقد يكون خطأها من مصحح الكتاب . فهو لم يخل من خطأ فى التصحيح والترقيم والفهارس . ونجد شيئا من ذلك فى الخطط أيضاً (٣) .

---

(١) الثقيلة الآلية . الكبيرة العجيزة .
(٢) انظر ص ٦٢٤ ـ ٦٢٥ جزء ٢ من الكتاب .
(٣) انظر مثلا ص ١٣ ج ٣ من الخطط .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومما يلاحظ على « علم الدين » أن على مبارك جعل الشيخ وأصحابه يزورون الحدائق العامة فى باريس . ويبدون إعجابهم وسرورهم بحديقة اكسمبورج كما يزورون « البورصة » ويتعرفون طرق التعامل فيها . ولكنهم لم يزوروا دار الكتب الأهلية فى باريس .

وقد تعلم على مبارك فى فرنسا . وأجاد اللغة الفرنسية . ولكنه يجعل صديق الشيخ إنجليزيا . وكذلك صديق ولده بهاء الدين . وجعل الشيخين يتعلمان اللغة الإنجليزية ويتحدثان بها دون الفرنسية . ولا نستطيع أن نقول إن ذلك كان سببه الاحتلال الإنجليزى لمصر . فقد ألف على مبارك كتابه هذا قبل هذا الاحتلال . وطبع فى السنة التى دخل فيها الإنجليز مصر .

والذى نعتقده سبباً هو إعجاب على مبارك بالأمة الإنجليزية وثقافتها وحضارتها . وهو إعجاب نجد له ذكراً ودلائل فى غير موضع من كتابنا هذا . وسبب آخر هو ما نعرف من اهتمام الإنجليز بالشرق وتقدمهم فى علوم الاستشراق .

ونجد فى « علم الدين » شيئاً من التكرار . فهو ، مثلا ، يتحدث عن المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند دخول العرب القاهرة . يذكر ذلك عند حديثه عن « المقس » (١) ثم يذكره مرة أخرى عند حديثه عن « جامع المقس » (٢) . بل نجد الجمل فى الحديثين ، تعاد كما هى ، بحروفها وألفاظها .

ويذكر على مبارك فى « علم الدين » ألوانا عجيبة من « المعرفة » يذكر أن اللغة السريانية كانت لغة آدم . وأن الطوفان وقع قبل ظهور المسيح بثلاثة آلاف وثلثمائة واثنين وأربعين سنة . بل يعرف ويحدد موعد هبوط آدم من الجنة ، فيقول إنه كان قبل الطوفان بألفين ومائتين واثنين وأربعين سنة . ويذكر أن الهرم الأكبر بنى بعد الطوفان بألف وثمانمائة وخمسين سنة . ويحدد جلوس الملك منيس على عرش مصر بأنه كان بعد موت نوح بخمس سنين . إلى آخر هذا الكلام العجيب الذى نقله عن الكتب القديمة وغيرها .

ونجد فى المقال القادم ، عند حديثنا عن التعريف بعلم الدين ، شيئا من حديث آخر عن التزامه أصول الفن وقواعد الصدق فيه .

(البقية فى العدد القادم)

محمود الشرقاوى

---

(١) ص ١٠٥ ج ٣

(٢) ص ٦١ ج ٤

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معانى القرآن

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم »

معنى حسبتم ظننتم

والعبث ـ هو اللهو واللعب

والعرش هو السرير ويكنى به عن الملك (بضم الميم)

لم نخلق للعبث

ومعنى الآية ـ والله أعلم ـ هل غفلتم عن الحكمة فى خلقكم فظننتم أن ذلك كان لعبا أوانكم وجدتم فى هذه الحياة للهو أو تلعبوا وأنكم لا ترجعون إلينا بعد الموت لنحاسبكم على أموالكم فيم أنفقتموها ، وعلى قواكم فيم استخدمتموها ، وعلى كل ما قدمتم من خير وشر .

« تعالى الله عن أن يلهو ويلعب بخلقكم وسبحانه أن يتصف بهذا النقص المعيب وتعالى الله عن أن تكون الحكمة فى خلقكم هى أن تلهو وتلعبوا فى هذه الحياة ، فإن ذلك غرض تافه حقير ، إذا لاق بكم فى تقديركم فانه لا يليق به سبحانه ، إنما خلقكم لعبادته بالنظر فى ملكونه واكتشاف أسراره فى خلقه ، والعمل الجاد المثمر فى عمارة الأرض ، والقيام بما فرضه عليكم من واجبات نحو الله ونحو أنفسكم ونحو إخوانكم فى الدين والإنسانية .

وتعالى الله عن أن يدع الظالم يذهب سالما غانما بما اغتصب واكتسب من حقوق الناس أو يدع المظلوم يذهب محروما مهموما بما وقع عليه من ظلم أو إثم ، إن عدل الله يأبى ذلك ، وسيرجع الناس إليه ليحاسبهم على ما قدموا ، فيكافئ المحسن ويعاقب المسىء ويقتص للمظلوم من الظالم .

وليس له من معقب على حكمه ، فإنه الملك وما سواه مملوك ، الحق الثابت الدائم ، وما عداه حائل زائل ، لا إله غيره ولا رب سواه ، ولا شريك فيه فى الملك ، فإنه وحده رب العرش الكريم .

والعرش يكنى به عن الملك والسلطان ، أو هو من أمور الغيب التى لا تقع عليها الحواس ولا تخضع للملاحظة والتجربة ، إنما نؤمن بها لأن الله ذكرها ، ونضع أمام أعيننا قوله سبحانه « ليس كمثله شىء » لتنزهه عن أن يكون حجما أو جسما أو جرما أو محدودا بمكان أو زمان » ، سبحانه « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

عبد الرحيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

في أصول الفقه :

وحدة الحق وتعدده

في المسائل الفقهية الاجتهادية

للأستاذ محمد سعاد جلال

مقدمات :

١ — نؤثر أن نقدم لهذا البحث بشرح مستقل لبعض الكلمات التي يكثر دورانها في عرض مسائله مثل الحق والحكم الشرعي ، والدليل ، واليقين ، والظن ، وخطاب الشارع ، فإن اختصاص هذه الجملة من الكلمات المتكررة . بشرح منفرد بين يدي هذا الموضوع يعين إن شاء الله على تبيين أجزائه وتذليل صعوباته وتحصيل الغرض من فهمه

الحق :

٢ - بالرجوع إلى مصادر اللغة الموثوق بها (١) - تجد أن معنى كلمة « حق » الشيء الثابت أو الموجود الثابت ، وفعله حق الشيء إذا ثبت بحق من باب « قتل وضرب » حقا إذا ثبت ، ووجب .

ولما نقل هذا اللفظ إلى استعملات أهل الصناعات من المفسرين والفقهاء والمتكلمين جروا في استعماله على عادتهم في تشكيله بما يوافق غرضهم ، ويخدم صناعتهم .

قال الفخر الرازي : الحق : الثابت الذي لا يسوغ أنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب ، « وحقت كلمة ربك » وثوب محقق أي محكم النسج (١) ولم يجاوز الرازي هنا أوضاع اللغويين ، لكن إطلاقه لفظ ، التحقيق على أحكام النسج في قولهم « ثوب محقق » فيه نظر فإن الاستشهاد في هذه المواضع التي تفسر فيها مفردات اللغة إنما يكون ببيان معانيها الحقيقية . لا المجازية ، وقد نص صاحب الأساس على أن هذا الاستعمال « ثوب محقق » من قبيل المجاز . فهل نقول إنه مجاز اندرس الالتفات إليه فصار حقيقة على مثل ما قالوا في بعض تعليل وجود المشترك في اللغة أو يكون المراد من ذكر هذا المقال مجرد الإيضاح لمعنى الثبوت والوجوب المدلول عليهما بلفظ الحق ، كل من الغرضين جائز .

لكن الشيخ أبا السعود صاحب التفسير

---

(١) اللسان ، القاموس ، المختار ، المصباح ، الأساس ، تعريفات الجرجاني . كليات أبي البقاء ،

(١) ص ٢٤٦ ج ٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لم يقنع بمطلق الثبوت فى تفسير لفظ الحق . كما فعل اللغويون وكما فعل الفخر الرازى ، وإن كان وضح الأصل بكلمة « لا يسوغ إنكاره » فقال ـ أى الشيخ أبو السعود ـ الحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لاستحالة بحيث لا سبيل للعقل إلى انكاره لا الثابت مطلقا فههنا قد زاد أبو السعود قيدا ، أو تفسيرا ـ لا يوجد عند أهل اللغة ، وقال الجرجانى : فى تعريفاته « الحق فى اللغة الثابت الذى لا يسوغ إنكاره ، وفى اصطلاح أهل المعانى هو الحكم المطابق للواقع . يطلق على الأقوال والعقائد ، والأديان والمذاهب ، باعتبار اشتمالها على ذلك .

وأما الصدق فقد شاع استعماله فى الأقوال خاصة ويقابله الكذب ، وقد يفرق بينهما ـ أى بين الحق والصدق ـ بأن المطابقة تعتبر فى الحق من جانب الواقع ، وفى الصدق من جانب الحكم ، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع ، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه .

كما قال آخر [1] . الحق مطابقة الواقع للاعتقاد ، والصدق مطابقة الاعتقاد للواقع وعبارات القوم تدور كلها فى هذا المقام على هذا المعنى .

(ب) وذكر الراغب . أن الحق اسم يقع على أربعة معان ، أحدها أنه يقال لموجد الشىء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، ولهذا سمى الله بالحق ، قال تعالى : « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » وثانيها أنه يقال للشىء الموجود بحسب ما تقتضيه الحكمة . وثالثها أنه يقال فى الاعتقاد للشىء المطابق لما عليه الشىء فى نفسه ، كقولنا اعتقاد المسلم فى البعث والثواب والعقاب حق .

ورابعها . أنه يقال للفعل والقول ، بحسب ما يجب وبقدر ما يجب ، وفى الوقت الذى يجب ، وذلك كقول القائل فعلك حق وقولك حق . قال تعالى « كذلك حقت كلمة ربك » . لكنه قد انفرد عن جمهرة [1] اللغويين الذين استقرأنا هذا اللفظ فى معاجمهم باثبات معنى آخر ، هو « المطابقة » قال « أصل الحق المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الدار فى حقه لدورانه على استقامة » .

فهذا المعنى الجديد الذى يعبر عنه بأنه « أصل الحق » هو ما لم يجده فى مصادر اللغة الكبيرة المشهورة كاللسان والأساس وغيرهما مما يشبه حد الاستقصاء . مما يجعلنا نستبعد أن يكون المعنى الذى ذكره هو المعنى المباشر للكلمة ، أو المعنى المطابق إن شئت ولو كان

(١) البرجندى فى شرح مختصر الوقاية .

(١) اللسان ، والمصباح .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا المعنى المباشر أو المطابق للكلمة لم يفت جملة كتب اللغه التى اطلعنا عليها أن تثبته .

٣ — هذه الأقسام الأربعة المذكورة إن كان قد ذكرها الراغب على جهة الحصر فعمل غير صحيح ، لأنه لم يذكر من بينها أشهر المعانى ، للحق ، وهو الموجود الثابت الذى لا يسوغ إنكاره ، سواء جعل اسما من أسماء الله أم لم ينظر إليه كذلك وهو ما اشتهر ذكره عند المفسرين .

وإن كنا نرجح أنه ذكر الوجوه الأربعة المذكورة يريد بها الحصر لأنه أشار فى مقدمة كتابه ، بما يفيد ظاهره أنه يستوفى معانى مفردات القرآن ، ولأن الاكتفاء بذكر عدد من الاقسام فى مقام البيان يفيد الحصر .

وبقى أن نسأل لماذا لم يعرج على ذكر المعنى المشهور مع أنه من المستحيل أن يكون قد جهله (١) .

صحيح أنه يمكن تفسير جميع كلمات الحق الواردة فى القرآن وهى قريب من تسعين ومئتى كلمة على أساس النظر لهذه الوجوه الأربعة .

لكن المعانى المحتملة الواقعة تحت اللفظ الواحد أوسع نطاقا من أن تضبطها هذه الوجوه الأربعة . ولا يجوز إبطال وجه زائد على الأربعة تشترف له بعض المعانى المحتملة ، وربما كان فى موضعه أكثر صوابا وأصح فى مذاقات اللغة .

اليقين والظن : (١)

إذا أذعنت النفس للتصديق بقضية من من القضايا وسكنت إليها . فلها مع هذا التصديق ثلاثة أحوال .

الحال الأول : أن تستيقين التصديق بهذه القضية وتقطع به ثم تعود فتقطع ثانيه بأن قطعها الأول بتلك القضية ، كان قطعا صحيحا ، لم يدخله غلط ، ولا سهو ولا تلبيس ، وتبلغ فى ذلك اليقين مبلغا لا يقبل التشكيك أصلا بحيث لو ادعى نبى من الأنبياء نقيض ما آمنت به هذه النفس واستيقنته ، وأظهر على صدق دعواه معجزة معاينة ، لامتنعت أن ترجح عن تصديقها ، بل شكت فى معجزة هذا النبى ، بدل أن تشك فى يقينها فعدتها شعوذة أو سحرا ، فذلك هو اليقين .

ولو خطر لهذه النفس ، وهى بإزاء المعجزة التى يظهرها من يدعى إثبات نقيض اعتقادها أن الله ربما يكون قد أطلع هذا النبى على سر

---

(١) كان هذا الرجل باطنيا متفلسفا على طريقة الحكماء فهل من المحتمل وجود صلة بين التعاليم الباطنية والإعراض عن تسمية الله بالموجود الثابت الخ .

(١) تلخيص وتيسير عن الغزالى فى المستصفى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

به انكشف له نقيض اعتقادها ، لو خطر لها مثل هذا الخاطر فى مثل هذا الموقف لم يكن الذى اعتقد يقينا. ومثال ذلك التصديق بأن الشيء لا يكون قديما حادثا ولا موجودا معدوما ولا ساكنا متحركا فى آن واحد، وما كان أمرا من جنس هذا القبيل الذى لا يعقل أن يقبل التشكيك أبدا ولا يحتمل النقيض أصلا .

الحالة الثانية : أن تستيقن النفس بقضية من القضايا وتجزم بها وتستعصى على قبول التشكيك فيها فى أول الأمر ، ولكنها إذا هوجمت بالتشكيك فى اعتقادها بأسباب قوية ، استرخى مقادها وتوقفت تتأمل وتنظر ، لم يعتبر مثل هذا التصديق يقينا فى الواقع وإذا كان الذى سكنت إليه النفس من المعتقد يسمى اعتقاداً جازما ومنه اعتقاد كثير من أهل المذاهب فى مذاهبهم الموروثة.

الحالة الثالثة : أن يكون للنفس سكون إلى الشيء والتصديق به — وهى تشعر بنقيضه أولا تشعر لكنها إذا شعرت بنقيضه ، لم ينفر طبعها عن قبوله فهذا — ما يسمى «ظنا».

إذن : فاليقين ما تجزم به النفس ، ولا تقبل التشكيك باحتمال نقيضه أصلا ودائما ، وفى كل الأحوال ، ويمتنع أن يخطر ببالها هذا الاحتمال .

والظن ما تسكن النفس لتصديقه على احتمال حصول نقيضه ، سواء شعرت بذلك أم كانت مستعدة للشعور به ، أما تصديق النفس بما اعتقدت تصديقا جازما لا تمارى فيه ولا تشعر معه بالنقيض أصلا ، إلا إذا حلت عقدتها أسباب التشكيك القوية ، فأورثها ذلك توقفا وتأملا : وهى الحال الثانية التى أسلفنا ذكرها . فلم يستطع الغزالى — الذى ننقل عنه هذه الفكرة — كلها — أن يعتد بها يقينا ، وإن سماها اعتقادا جزما ، يقول الغزالى بالنص فى تصوير التفرقة بين المرتبة الأولى والمرتبة الثانية فى درجات التصديق — وهى كلمة يجب الوقوف عندها طويلا ، وكافة الخلق إلا أحاد المحققين يسمون الحالة الثانية يقينا ولا يميزون بين الحالة الثانية والأولى ، والحق أن اليقين هو الأول والثانى مظنة الغلط ،

محمد سعاد جلول

للكلام بقية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خطأ في فهم التعبئة الروحية

للأستاذ محمد رجب البيومي

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك »
(قرآن كريم)

تنظر إلى الحضارة الإسلامية في عصورها السالفة ، فتجدها أنقذت الأرواح من مهاوي الذلة ، وجعلت الفتوحات الحربية سبيلا إلى نشر المبادئ الإسلامية ، وإعلاء القيم الإنسانية ، حتى سادت الناس في مختلف الأصقاع المفتوحة روح من الكرامة المنصفة ، والمساواة النزيهة ، وعرف الأعجمي أنه نظير العربي يتمتع بحقوقه وينال مثل نصيبه ، بل يفضله إن برز عليه بتقوى الله ، واستقامة القصد ، ثم تنظر إلى حضارة أوربا في القرن العشرين ، فتجد ذئابا تنطلق إلى فرائسها الطاوية في الأمم المغلوبة لتنقض عليها تمزقها بالأنياب وولوغا في الدماء ، ثم تتعارض الأطماع ، وتتنازع الأهواء تكالبا على الفريسة الجريحة ، فتدور الحرب بين الأقوياء ، ليصطلي بنارها الذئب والحمل والمذنب والبريء ، وتنكشف المعركة عن غالب يستشري شره ، فيجمع قواه لينقض من جديد على فرائس ضعيفة ، غلبت على أمرها ، وعاث الاستعمار برجولتها وثروتها وإنسانيتها . فأصبحت هدايا توزع على موائد الصلح لتسام ما اعتادته من الذل والاستزاف ، في دنيا أهدرت بها الكرامة البشرية ، وتحكم فيها الهوى الطامع بجبروته المبيد .

تنظر إلى الحضارتين ، شرقية وغربية ، فتجد الحضارة الإسلامية قد أسعدت الأرض لأنها استندت إلى دين عادل ، يجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، ويهدي الفوز الغالب للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا في خير أمة أخرجت للناس ؛ ثم تلتفت يسرة ، لتجد حضارة أوربا في حاجة إلى قيم روحية تقدس مكارم الأخلاق ، وتصون كرامة الإنسان أن تنحدر بها الأطماع إلى مستوى الوحوش الضارية في الغابات ، وقد ندد عقلاء المفكرين في الغرب بهذه المدنية المادية التي تسود أوربا اليوم ، ورأوا بها من المبيدات الجائحة ، هولا أكثر من هول الصواريخ والدبابات والطائرات ، إذ تحللت من أكثر قيود الضمير الأدبي ، وفسحت للغرائز الهابطة مجالا شائنا تنحط به

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المتع المسفة ، وتفكك به الأواصر المشتجرة ، فإذا الانحلال النفسي يتخرق الكيان الناهض ، ويوشك أن يميد به إلى القاع السحيق ، وإذا كانت الحضارة المادية قد أخذت علينا السبيل في بلاد الإسلام ، فلن نعتصم منها بغير تعبئة روحية إسلامية تعيد مجد العصور السالفة وتقف سياجا حائلا دون البلاء الوافد ، والشر الهاجم ، !! ذلك ما أجمع عليه الرأي في كل مكان ، فليس بيننا - والحمد لله - من يشك لحظة من جدوى التعبئة الروحية . بل تضافرت الجهود على الإشادة بها تأليفا وخطابة ومحاضرة وإذاعة ، حتى أصبحت من المسلمات البدهية في عهد الثورة والتحرير ، وصرت اليوم في غنى عن الإشادة بأمرها الموجه ، وضرورتها الملزمة . ولكني الآن بصدد معارضة من يفهمونها على غير وجهها الصحيح ، لأن العلاج الخطأ أشد خطرا على الجسم المريض من قسوة الداء نفسه . فإذا اتفقنا جميعا على ضرورة التعبئة الروحية فلا بد أن نتفق على طريقها الصحيح ، فلا تزل قدم بعد ثبوتها .

لقد أصدرت سلسلة « اقرأ » في شهر ديسمبر سنة ١٩٦١ كتابا تحت عنوان « التعبئة الروحية في بناء المجتمع » بقلم الأستاذ الدكتور حسن الأشموني ، فسارعت إلى قراءته في شوق وحمدت الدكتور الكريم حسن النية ، ونظافة المقصد ، وحسبه ذلك شرفا ، ولكني وجدته يرسم للتعبئة الروحية طريقا غير طريقها الصحيح ، إذ لا يرجع بها إلى مبادىء الإسلام ، القوية ، من حرص على الحياة الجادة ، وطلب للعمل المثمر ، واعتصام بالخلق الديني في خوض غمار الحياة معاملة وتعليما واختراعا واكتشافا واستثمارا بل يرجع بها إلى التصوف وحده ! ثم يفيض في شرح أمور التصوف من مقامات وأحوال وزهد وفقر وتوكل ، ويرى ذلك كله سبيل التعبئة الروحية في العصر الحديث .

وأنا قبل كل شيء — لا أنكر نزاهة التصوف الجاد ، ولا أحارب التأليف في ميزانه وأحواله ، والكشف عن روحانيته واستشفافه ولا أمنع التعريف برجاله وأبطاله في المتصوفين السابقين قمم عالية ثابرت وناضلت حتى فتحت آفاقا من المثالية يستشرق لها المؤمن بروحه ، ويتطلع إليها ببصيرته ويلتمس في الحديث عنها سأما من ضيق وإمتاعا من مشقة ، ولكني أعارض وأمنع وأنكر أن تكون التعبئة الروحية في القرن العشرين مستوحاة من سلوك هؤلاء الزاهدين لأن التصوف — كما رسمه المؤلف في كتابه — رحلة انسحابية يترك فيها الصوفي أمور دنياه وهموم معاشه ليستشرق إلى المقامات والأحوال والفناء !! وديننا الإسلامي دين العمل والقوة والحياة ، وسبيل ذلك أن نخوض تيار الوجود فنتمتع بما أحل الله من الطيبات ، وتقود الإنسانية إلى مراشدها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الضالة ، فنعد لأعدائنا ما نستطيع من القوة ونعلى صروح العلم والخلق والضمير على هدى بصير من كتاب الله ، وذلك - أو بعضه فقط - ما يتعذر على الصوفى أن يقوم به فى سبحاته الغائبة واعتزاله البعيد .

ولئن أشق على الدكتور الفاضل فى سبيل إقناعه ، إذ أننى سأستعرض فى إيجاز سريع من أقواله وحدها ، ما يتعارض ويناقض ، ولعله فى نشوة هيامه الصوفى لم يلق بالا لهذا التعارض الصارخ ، فترك السطر من قوله يرد على السطر السابق أو اللاحق .

يقول الدكتور الأشمونى - ص ١٤ - « والتجربة الصوفية تجربة شخصية لا تخضع لأى نوع من القياس والبرهان ولا سبيل إلى وصفها ، فإن الحروف والألفاظ تعجز عن التعبير عنها ، وإيفائها حقها من البيان » وأنا أقول فى سهولة يسيرة : إن التجربة الشخصية التى لا تخضع لنوع ما من القياس والبرهان ، والتى لاسبيل إلى وصفها هذه التجربة لا تصلح أساسا للتعبئة الروحية . إذ أننا لو سلمنا فرضا بصلاحيتها للمجتمع ، لا يمكن أن نجذب إليها الناس ، إذ كيف ندعوهم إلى شىء غامض لا نقدر على وصفه ، وهب أن المدرس أو الواعظ أو الكاتب قد اقتنع بضرورتها وأراد أن يطبع الناس بطابعها ، فماذا يقول لهم ؟ ! ، أيقول : إنى أدعوكم إلى شىء بعيد خفى لا أقدر على وصفه وإيضاحه ! ! وإذا قال ذلك فماذا يكون رد الجمهور المعبأ عليه ! قد يُوجّه مثلُ هذا الكلام إلى فنان شاعر يستلهم أشواقه ونوازعه فى ساعات الصفاء ، أما أن يكون أساساً لتعبئة المجتمع الإسلامى فمن الذى يقول ؟ ومن الذى يسمع ؟ !

ويقول المؤلف الفاضل - ص ٢٢ - « وليس معنى أن يعيش الفرد حياة روحية أن يقبع فى عزلة عن مجتمعه ، أو ينظر إلى الدنيا نظرة عداء واحتقار ، فهذه كلها رواسب ليس لها أساس من الدين الذى يدعو الناس إلى أخذ نصيبهم من الدنيا والسعى فى مناكبها » وهذا قول صادق نباركه ، وندعو إلى المزيد منه ، ولو أن المؤلف قد اعتقده اعتقاداً جازما ما جعل التعبئة الروحية تدور على التصوف الانسحابى ! لأنه فى كتابه هذا قد جعل الكيان الصوفى ينهض على أمور ثلاثة هى الفقر والزهد والتوكل ، وأفاض إفاضة وافية فى خصائص كل أمر من هذه الثلاثة ، وكأنه أوجب على نفسه أن يحشتها إلى الناس بما مهد من مقدمات وسرد من حكايات .

فالصوفيون عنده - أولا - سعداء بفقرهم يجدون فيه مظهراً من مظاهر قربهم إلى الله - ص ٣٩ - فقد سئل شقيق البلخى : بأى شىء يعرف الفقير أنه أصاب من الله تعالى حظ الفقر ؟ فقال بأن يخشى الغنى ويغتم الفقر ! ! وسئل أيضا : بأى شىء يعرف العبد أنه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اختار الفقر على الغنى ؟ فقال : يخاف أن يكون غنيا ، فيحفظ الفقر بالخوف كما كان من قبل يخشى أن يكون فقيراً فيحفظ الغنى بالفقر » .

واللطيف أن الدكتور مع أفقه الواسع لا يزال يعتقد أن فقر الصوفى يدعو إلى تكبره على الناس فى القرن العشرين ، كما كان الحال فى العصور الأولى ، كأن أبناء هذا الجيل ينظرون إلى الانساحبيين الفقراء نظرة رفيعة تجعل هؤلاء يشمخون ، ويتكبرون ، وإذا وقع بعض ذلك فى عصور باهرة حين كان لبس المرقعات فخرا أى فخر ، أفيمكن أن يكون الفقر فى عصرنا هذا مدعاة الزهو بدنيا تتحفز إلى المجد ، وتنطلق إلى أبعد غايات الازدهار !

والصوفيون ـ ثانيا ـ سعداء عند الدكتور بزهدهم ، وليس معنى الزهد لديهم اجتناب ماحرم الله فقط ، ص٤٢ ، فهذا ليس من الزهد فى شىء ! بل هو أول واجبات العبد ، أما الزهد الذى يعنيه الكاتب فهو ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا حراما كان أو حلالا ، فقد قال أبو سعيد الأعرابى . اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك ، واشتغالك بهموم الدنيا يقطعك عن أمور الآخرة !

والصوفيون ـ ثالثا ـ سعداء بتوكلهم عنه المؤلف ، وكنت أظن التوكل مفهوما لديه على وجهه اللغوى ، فإذا به ينقله إلى معنى التواكل بما ساعد من أمثلة ، فأصبحنا منه على خطر محيق ، وإليك بعض ما قال .

(ا) سئل أبو عبد الله الجلاء ـ ص٤٦ ـ ما تقول فى الرجل يدخل البادية من غير زاد فقال . هذا من فعل رجال الله عز وجل ، فإن اهتمامك بالرزق يزيلك عن الحق ، فعاد السائل يقول . فإن مات ؟ فأجابه . الدية على القاتل ، والقاتل هنا من ؟ هو الله عز وجل .

(ب) سقط درويش فى نهر دجلة ، فصاح به رجل على الشاطىء رآه لا يعرف السباحة . أتريد أن أدعو لك من يخرجك إلى الشاطىء فقال الدرويش . لا ، فقال الرجل ، أتريد أن تغرق ؟ فقال الدرويش . لا ، فقال الرجل فماذا تفعل إذن ؟ فقال الدرويش . يفعل الله ما يشاء فما شأنى بإرادتى .

وإنى لأتساءل بعد ذلك إذا كان الفقر والزهد والتواكل طريق التصوف كما رسمه المؤلف ، فلماذا ذكر قوله السابق ـ ص٢٢ ـ : « ليس معنى أن يعيش الفرد حياة روحية أن يقبع فى عزلة عن مجتمعه ، أو ينظر إلى الدنيا نظرة احتقار » والصوفيون باعترافه قد عاشوا فى العزلة ، ونظروا إلى الدنيا نظرة احتقار حين أقاموا صلاح أمورهم فيها على الفقر والزهد والتواكل ، فإما أن تكون الحياة الروحية التى تقوم عليها التعبئة الصحيحة غير حياة المتصوفين ، وهذا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما نعتقده جازمين ، وإما أن يكون التصوف أساس هذه الحياة ، وقد كشف الدكتور عن علاماته الثلاث . وهو بها لا يخرج عن العزلة والاحتقار ، أفلا يلبس القارىء تضاربا صريحا بين القاعدة والمثال ، وتناقضا صارخا بين السطور والصفحات ! !

وكأنى بالدكتور الأشمونى ، وقد أحس ذلك فى أعماقه ، ولكن هيامه بالتصوف الانسحابى جعله يتغافل كثيراً عن إيضاح مشاعره الدفينة ، إذ أن بعض العبارات قد ندت منه فى سرعة عاجلة ، لتثبت شعوره الأصيل ، فهو يقول مثلا - ص٢٢ - « وقد يرى القارىء فى هذه الصورة - صورة التصوف - نوعا من التطرف ، الذى يبدد فى الانقطاع التام والقعود ، ولكنه يجد نفسه فى النهاية وقد خرج بمزيد من معانى الحق والخير والجمال ، وشحنة هائلة من المثل والمبادىء ، التى اختص بها الصوفيون أنفسهم على توالى العصور » ، والكاتب الذى يحكم على التصوف بالتطرف حين يدعو إلى الانقطاع والقعود - وهما ما هما - ثم يفيض بعد ذلك فى مزايا الزهد والفقر والتواكل لا ينسجم مع نفسه تمـــام الانسجام ، وأخشى أن أقول : إنه لم يتبين عاطفته الصريحة إزاء هذا الموضوع الدقيق .

وسأحاول جهدى أن أنصف الدكتور ، لأرفع هذا الخصام الموهوم بين الناقد والمنقود فأعلن أن المؤلف - كما يظهر - أراد شيئا ، ثم ساقه اطلاعه العاجل إلى أشياء ظنها عما أراد ، فأرقعته فى هذا الحرج الشاق ، فقد فقد قال فى - ص ١٥ - مانصه « ونحن لا نجانب الصدق إذا قلنا إن التصوف يستطيع أن يكون قوة دفع تخدم جميع أهداف المجتمع حتى المادية منها ، فليس من شك فى أن بناء المجتمع بناء قويا متينا عزيز الجانب يرجع إلى مدى ما يكون لأفراده من صفاء النفوس ومتانة الخلق ، واستعداد للتضحية وإنكار الذات . وهى كلها صفات يتصف بها الصوفية ويأخذون أنفسهم بها ، ويروضون مريديهم عليها ، وهكذا تستطيع الحياة الروحية أن تسلك طريقها إلى المشاركة فى مطالب الحياة اليومية ، فتؤدى إلى تدعيم أركان المجتمع ، وتحقيق خيره ، بدل أن تكون دائما إلى العزلة والعزوف عن الدنيا » .

فهذا الكلام فى غاية النفاسة والسداد ، لو أتبع ذلك بصفحات تصور صفاء النفس ومتانة الخلق والاستعداد للتضحية وإنكار الذات ، لتكون تطبيقا واقعيا على ما يريده من غزو الفضائل الروحية للنفوس ، ولكنه لم يفعل ذلك ، بل تكلم عن التصوف الاعتزالى وأقام دعائمه على الفقر والزهد والتواكل ، وشفع ذلك بعبارات التأبيد والتجنيد ، فكان كلامه السابق خطبة عرش ملكية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى المقدمة لاتجد التنفيذ فى الأبواب والفصول فأصبح حينئذ غير ذى موضوع ! .

ولو كان الدكتور جعل عنوان كتابه « نظرة فى التصوف » ما كتبت حرفا واحدا فى معارضته ، ولكنه صمم على أن يكون « التربية الروحية فى بناء المجتمع » ثم جعلها ترتكز على التصوف ، وهنا المشكلة ، وقد تعرض فى باب التصوف والمجتمع - ص ٨٦ إلى مأزق ضيق لم يستطع الخلاص منه ولو راجع فكره فى ثقة وإيمان ما سمح لقلمه بتسطير العنوان كما جاء ، ففى هذا الفصل ذكر فى صراحة أن أهم ما يؤخذ على الصوفية « أنهم لم يشجعوا العمل والسعى من أجل الرزق ، وأمعنوا فى التوكل غاية الإمعان ، وحرموا على أنفسهم الزواج على أساس أنه من العوائق التى تشغلهم عن المضى فى طريقهم الروحى ، فالتصوف ينطوى على نظرة عداء للدنيا وإعراض عنها ، وقمع لشهوات البدن وأهواء الحس من أجل تنمية الروح » ثم قال فى تبرير ذلك ، ما نصه : - ص ٩٠ - « ونحن إذا حاولنا أن نقيم الصوفية من خلال هذه النظرة ، وجدنا أنه من الإنصاف أن نبدأ أولا ببيان أمرين نعتقد أنهما على جانب كبير من الأهمية ، وأول هذين الأمرين أن الصوفيين أنفسهم كانوا ينظرون إلى طريقتهم فى التهذيب الروحى وإلى نزعاتهم التى تختلف أحيانا مع الطبيعة البشرية وتحول بينهم وبين أن يكونوا عوامل بناء وخلق فى المجتمع ، كان الصوفيون ينظرون إلى ذلك على أنه منهج خاص بهم يكفل لهم الوصول إلى غايتهم ، لا أسلوب للسلوك يجب فرضه على سواهم من الناس ، .. فالصوفية إذن لم يقصدوا أن يكونوا حملة لواء دعوة عامة » .

وإنا أن نقول بعد ذلك متعجبين : إذا كان الصوفيون ينظرون إلى طريقتهم ونزعاتهم فى التهذيب الروحى على أنها منهج خاص بهم ، وأسلوب للسلوك لا يجب فرضه على سواهم ، فلماذا يجعل الدكتور من منهجهم ذلك طريقا للتربية الروحية ، أيكون معهم ملكيا أكثر من الملك نفسه ! ؟ ثم ألا يكون لنا بعض العذر حين نقول إن فكرة الكتاب مرفوضة من أساسها لشئ واحد غير ما قدمناه وهو أن أصحاب الفكرة أنفسهم يعترفون ببعدها عن نطاق المجتمع ، ويؤمنون بأن منهجها لا يسير مع المنهج السوى المألوف ، وإذا تحمل المؤلف بأننا نستطيع أن نأخذ من صفاتهم بعض المحامد فى التربية الروحية ، ثم نأخذ الصفات الأخرى من تعاليم الإسلام الاجتماعية . فإننا نقول له : ما هذا العنت الشاق ؟ لماذا لا نلجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله مباشرة ؟ دون نظر إلى شئ خاص كالتصوف يعترف أصحابه أنفسهم بأنه بعيد كل البعد عن منهج الحياة ، !

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أصول الإثبات والتعاقد في الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

الشريعة الإسلامية تساير كل تطور سليم صحيح ، وقد سبقت شرائع الأمم الأوربية . ولم تتبدل أو تتغير بل تغيرت تلك القوانين والتشريعات على مر الأيام ، هذه الشريعة الغراء أتت بأحكام هامة في الإثبات والتعاقد وردت جميعها في القرآن الكريم في آية الدين وهي قول الله تعالى جل شأنه « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ، وليملل الذي عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم . فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل أحداهما فتذكر أحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » سورة البقرة الآية (٢٨٢) .

فإننا إذا تمعنا فيما اشتملت عليه هذه الآية من مبادىء قانونية في الإثبات والتعاقد نجد أنها دستور للمعاملات بين الأفراد وسنوضح فيما يلي أهم هذه المبادىء التشريعية والنظريات الفقهية .

مبدأ الإثبات بالكتابة :

فرضت الشريعة الإسلامية الكتابة وسيلة لإثبات الدين المؤجل مهما كانت قيمته ، وذلك قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » وقوله جل شأنه « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله » ويدخل تحت لفظ الدين ، كما نعرف ، كل التزام أيا كان نوعه فيدخل تحت لفظ الدين الرهن والقرض والبيع بثمن مؤجل والتعهد بعمل وغير ذلك من أنواع الالتزامات .

وظاهر من هذا النص أنه نص عام ومرن إلى آخر حدود المرونة والبساطة ، وأنه يصلح للتطبيق في كل حين وهذا أحد ميزات الشريعة التي هيأتها لتكون غير قابلة للتعديل والتبديل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولنرجع بعيداً إلى اليوم الذى نزل فيه هذا النص على رسول الله صلى الله عليه وسلم لنجد أن العرب كانوا أميين يعيشون فى أعماق البادية ، وفى خشونة من العيش ، وأن المعاملات تقل بينهم بحيث أنهم فى غنى عن تشريع خاص ينظم شئونهم ، ولكن هذا السمو الذى امتازت به شريعتنا الغراء عن كافة الشرائع الأخرى بإتيانها هذا النص وتنظيمها شئون المعاملات بين الأفراد إنما أتت به شريعة كاملة دائمة تصلح للتطبيق على كافة الشعوب والأمم وجميع العصور والأزمنه . فالشريعة الإسلامية هنا تميزت على القانون إذ أن القانون يأتى على قدر حاجة الناس له ، بينما هى فى هذا المقام لم تأت لتتفق مع أمية العرب وجهالتهم وإنما جاءت شريعة كاملة صالحة للتطبيق فى كل حين كما أن هذا النص شرع لحكمة سامية ، فالشريعة الإسلامية ـ شريعة الأمم الناهضة الربانية ـ فرضت الكتابة بين الأميين لتحملهم على أن يتعلموا فتتسع مداركهم وتتثقف عقولهم ، ويحسنوا فهم هذه الحياة الدنيا فيصبحوا وقد تعلموا أهلا لمنافسة الأمم الأخرى والتفوق والسيطرة عليها وخلافة الله فى الأرض ، وهذه أغراض اجتماعية وسياسية ، أما الغرض القانونى فهو حفظ الحقوق وإقامة الشهادات والابتعاد عن الريب والشكوك .

فالشريعة حين أوجبت الكتابة فى الصغير والكبير جاءتنا بنظرية عظيمة ذات وجوه سياسية واجتماعية وقانونية ، وهذه النظرية التى نزل بها القرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام فى القرن السابع الميلادى هى من أحدث النظريات فى القوانين الوضعية وفى المذاهب الاجتماعية الحديثة ، فالدول قد بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تفرض على شعوبها أن يتعلموا تعليما إجباريا رجالا ونساء ، وهذا الذى تفرضه الدول على الشعوب إنما هو تطبيق للنظرية الإسلامية فى ناحيتها السياسية والاجتماعية .

وقد بدأت الدول تأخذ بالناحية القانونية للنظرية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حين اشترط القانون الفرنسى الذى أخذت عنه القوانين الأوربية أن يكون الدين مكتوبا إذا زاد عن مقدار معين ، ولكن شراح القانون رأوا أن نظرية الإثبات بالكتابة تكون أكمل وأكثر توفيقا لو اشترطت الكتابة فى الصغير والكبير على السواء ، وظلوا ينادون برأيهم هذا حتى حققته أخيرا بعض دول أوربا ، ولا يزال الشراح فى الدول الأخرى ينادون به ويأملون تحقيقه .

ويتضح مما سبق أن أحدث نظريات الإثبات فى عصرنا الحاضر هى نفس نظرية الشريعة الإسلامية أخذت بها بعض القوانين الوضعية ولا يزال الشراح فى بعض الدول يطالبون دولهم أن تأخذ بها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مبدأ إثبات الدين التجارى :

اشترطت الشريعة كما بينا آنفا الكتابة لإثبات الدين سواء كان الدين صغيرا أو كبيرا ، ولكنها استثنت من هذا المبدأ العام حاله الضرورة ، وذلك قوله تعالى « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة . فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته » كما استثنت الشريعة أيضا من مبدأ الإثبات بالكتابة الدين التجارى فأباحت إثباته بغير الكتابة وذلك فى قوله تعالى جلت قدرته « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها » والحكمة من هذا الاستثناء أن الصفقات التجارية تتطلب السرعة ولا تحتمل الانتظار ، ولأن المعاملات التجارية أكثر عددا وتنوعا . فاشتراط الكتابة فيها يؤدى إلى الحرج وقد يضيع فرصة الكسب على المشترى أو يعرض البائع للخسارة . ومن أجل هذا لم تقيد الشريعة المرنة المتطورة الكاملة المعاملات التجارية بما قيدت به المعاملات المدنية من اشتراط الكتابة .

ويتضح من هذا النص المتقدم مرونته وعموميته إلى آخر الحدود بحيث لا يحتاج إلى التعديل أو التبديل ، وليس أدل على ذلك من صلاحيته لوقتنا الحاضر مع أنه نزل منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

ومن يعرف شيئا عن تاريخ العرب وحالهم وقت نزول هذا النص يعلم تمام العلم أن النص لم ينزل مجاراة لحال الجماعة أو تمشيا مع ما وصلت إليه ، وإنما كان نزول النص ضرورة لتكميل الشريعة الدائمة المتطورة ولرفع مستوى الجماعة ، وتوجيهها الوجهة الصالحة.

وليس أدل على سمو الشريعة وكمالها من أن نظريتها فى إثبات الدين التجارى هى نفس النظرية السائدة اليوم فى القوانين الوضعية الحديثة وأنها تعتبر أحدث ما وصل إليه القانون الوضعى فى عصرنا الحاضر .

مبدأ البينة على المدعى :

من المبادىء المقررة فى الفقه الإسلامى أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن البينة على المدعى » . رواه البخارى ومسلم . وللبيهقى بإسناد صحيح : « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » .

ويقول الأستاذان بيدان وبرو : جزء تاسع فقرة ١١٥٩ صـ ٢٣١ هامش رقم ١ فى القانون المدنى الفرنسى : (إن القاعدة التى تقضى بأن البينة على المدعى ليست ، كما قد يتوهم ، من القواعد التى كانت مقررة فى كل العصور . فهى لم تظهر فى القانون الرومانى إلا منذ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أخذ البريطور Prétur يحمي مجرد الحيازة فيحمي الوضع الظاهر ، وعندئذ ألقى عبء الإثبات على من يدعي خلاف الظاهر ، أما في القانون الفرنسي القديم ، فقد كانت العادات القديمة تجعل عبء الإثبات على المدعى عليه لا على المدعي ، وإن كان ذلك يبدو غريبا ، وهذا بسبب الصبغة الجنائية للدعوى في القديم مما نزل بوضع المدعى عليه دون وضع المدعي بل إن هناك من الوثائق . التي ترجع إلى ما قبل العصور الوسطى ، ما يثبت أن دعوى الاستحقاق التي يكلف فيها المدعي بإثبات ملكيته لم تكن ترفع ، وفقا لهذه العادات القديمة ، إلا ضد الحائز بسوء نية أو الحائز ضد القانون ، مما يحمل على الظن بأن الحائز هو الذي كان عليه أن يثبت أن حيازته مشروعة . ولم تظهر القاعدة التي تقضي بأن البينة على المدعي في القانون الفرنسي القديم إلا تدرجا في العصور الوسطى ، تحت أثر إحياء القانون الروماني ، وبفضل القانون الكنسي بوجه خاص (انظر في ذلك رسالة تفنيه Thévenet في نظرية عبء الإثبات ، ليون سنة ١٩٢١ ص ١١ وما بعدها) . وينتهي الأستاذان بيدان وبرو إلى القول بأن من الخطأ حسبان القاعدة التي تقضي بأن البينة على المدعي من القواعد التي تمليها البداهة وتقضي بها طبيعة الأشياء ، فإن الواقع من الأمر أن هذه القاعدة لم تظهر إلا بعد أن نظم القضاء تنظيما خاصا ، وإلا بعد أن برز المبدأ الذي يقضي بحماية الأوضاع الظاهرة .

ولعل ذلك يكشف عما للفقه الإسلامي من فضل التقدم ، فقد قرر هذه القاعدة منذ البداية ، في عصر لم تكن فيه معروفة في أوربا ، وقد أخذت سائر القوانين الحديثة بهذا المبدأ . فالمدعي هو الذي يحمل في الأصل عبء الإثبات . سواء كان دائنا يدعي ثبوت الدائنية أو مدينا يدعي التخلص من المديونية كما تقول المادة ٣٨٩ مدني مصري .

نظرية حسن التزام في امحاء العقد :

جاءت الشريعة الإسلامية بمبدأ عام أوجبته في كتابة العقود هو أن يملي العقد الشخص الذي عليه الحق ، أو بمعنى آخر أضعف الطرفين ، والمقصود من هذا المبدأ العام هو حماية الضعيف من القوي ، فكثير ما يستغل القوي مركزه فيشترط على الضعيف شروطا قاسية ، فإن كان دائنا مثلا قسا على المدين ، وإن كان صاحب عمل سلب العامل كل حق واحتفظ لنفسه بكل حق ولا يستطيع المدين أو العامل أن يشترطا لنفسيهما أو يحتفظا بحقوقهما لضعفهما ، فجاءت الشريعة وجعلت إملاء العقد للطرف الضعيف ، ليحتفظ به حقوقه . ولتحميه من التورط ، ولتكون شروط العقد معلومة له حق العلم وليقدر ما التزم به حق قدره .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهذه الحالة التى عالجتها الشريعة من يوم نزولها هى من أهم المشاكل القانونية فى عصرنا الحاضر ، وقد برزت فى أوربا فى القرن الماضى على أثر نمو النهضة الصناعية وتعدد الشركات وكثرة العمال وأرباب الأعمال . وكان أظهر صور المشكلة أن يستغل رب العمل حاجة العامل إلى العمل أو حاجة الجمهور إلى منتجاته ، فيفرض على العامل أو على المستهلك شروطا قاسية ، يتقبلها العامل أو المستهلك وهو صاغر ، إذ يقدم عقد العمل أو عقد الاستهلاك مكتوبا مطبوعا فيوقعه تحت تأثير حاجته للعمل أو حاجته للسلعة ، بينما العقد يعطى لصاحب العمل كل الحقوق ويرتب على العامل أو المستهلك كل تبعات ذلك العقد الذى نسميه اليوم فى اصطلاحنا القانونى عقد الإذعان .

وقد حاولت القوانين الوضعية أن تحل هذا المشكل ، فاستطاعت أن تحله بين المنتج والمستهلك بفرض شروط تحمى المستهلك من المنتج ، وبتعيين سعر السلعة ، ولكنها لم تستطع أن تحل إلا بعض نواحى المشكلة بين أصحاب العمل والعمال ، مثل إصابات العمال والتعويضات التى يستحقها العامل إذا أصيب أو طرد من عمله ، لأن التدخل بين صاحب العمل والعمال فى كل شروط العمل مما يضر بسير العمل والإنتاج ، وبقيت من المشكلة نواحى هامة كأجر العامل وساعات العمل ومدة الإجازات وغيرها فيحاول العمال من ناحيتهم حلها بتأليف النقابات والاتحادات ، ويرى العمال أن حل مشاكلهم لن يتأتى إلا إذا كان لهم حق إملاء شروط عقد العمل ويظاهرهم على ذلك بعض المفكرين والكتاب . فهذا الحق الذى يطالب به العمال فى كل أنحاء العالم والذى حقق القانون الوضعى بعضه ولم يحقق بعضه الآخر والذى يأمل العمال أن يتحقق كله إن قريبا أو بعيداً . هذا الحق قررته الشريعة الإسلامية كاملا للضعفاء على الأقوياء وللملتزمين على الملزم لهم ، وجاء به القرآن الكريم فى آية الدين « وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أولا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل » .

وظاهر أن صيغة النص بلغت من العموم والمرونة كل مبلغ وهذا هو الذى جعل الشريعة تمتاز بأنها لا تقبل التغيير والتبديل .

ووجود هذا النص فى الشريعة دليل قاطع على سموها وكمالها ورقيها وعدالتها ، فقد جاءت به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا بينما القوانين الوضعية لم تصل إلى تقرير مثله حتى الآن مع ما يدعى لها من الرقى والسمو .

ولنا أن نقول إن الشريعة الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ماهى إلا شريعة عالمية إنسانية قد قررت بهذا المبدأ وغيره مبادئ العدالة الاجتماعية أو التكافل الاجتماعي فى أسمى صوره .

نظرية تحريم الامتناع عن تحمل الشهادات

حرمت الشريعة على الإنسان أن يدعى للشهادة فيمتنع عنها أو أن يشهد واقعة فيكتمها أو يذكرها على غير حقيقتها ، وقد نص على الحالة الأولى فى آية الدين فى قوله تعالى جل شأنه « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » والمقصود إباءهم حينما يدعون ليشهدوا تصرفا ما أو واقعة معينة ، فالنص جاء خاصا بتحمل الشهادة وليس خاصا بأدائها . أما الحالتان الثانية والثالثة فقد نص عليهما فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » سورة النساء الآية ١٣٥ ، وهذه الآية الكريمة خاصة بالحالة الثالثة ، أما الحالة الثانية فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه فى سورة البقرة « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » . الآية ٢٨٣ .

والنصان الأخيران خاصان بتحريم شهادة الزور ، وبتحريم كتمان الشهادة أو الامتناع عنها . والقوانين الوضعية اليوم تأخذ بنظرية الشريعة فى تحريم شهادات الزور ، أو كتمان الشهادة ، ولكنها لم تصل بعد إلى تحريم الامتناع عن تحمل الشهادة ، ولا شك فى أن الشريعة تتفوق على القوانين الوضعية من هذه الوجهة . فإن المصلحة العامة تقضى بالتعاون على حفظ الحقوق ، وبتسهيل المعاملات بين الناس ، والامتناع عن تحمل الشهادة يؤدى إلى تضييع الحقوق ، ويؤدى إلى تعقيد المعاملات وبطئها ، وهناك عقود لا بد فيها من حضور الشهود كعقد الزواج ، فإذا كان الامتناع عن تحمل الشهادات مباحا تعطلت هذه العقود .

هذه أربعة مبادئ ونظريات جاءت بها آية واحدة من القرآن الكريم وهى آية الدين ، أخذت القوانين الحديثة باثنتين منها وبدأت تأخذ بالثالثة ولم تأخذ بعد بالرابعة . وليست هذه النظريات الأربع كل أحكام آية الدين وإنما هى بعض أحكامها ، فالآية تشترط أن يكون الكاتب محايدا عدلا عالما بأحكام الشريعة فيما يكتبه ، وتوجب عليه أن لا يمتنع عن الكتابة وتشترط أن يشهد على سند الدين رجلان أو رجل وامرأتان وتوجب عدم الإضرار بالكاتب أو الشاهد ، وهذه كلها مبادئ عامة لا نستطيع أن نستعرضها بالتفصيل لأن مجاله الكتب .

محمد محيي الدين المصري

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بحث مقارن فى المنازعات الدولية

للأستاذ محمد فاوى عتر

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فالعائلة الدولية ـ وهى مكونة من جماعات هى الدول ـ نشأت بينها علاقات مختلفة نتيجة حتمية لوجودها جنبا إلى جنب وعدم إمكان الواحدة منها أن تستغنى عن الأخرى ، وفى نواحى الحياة المادية والمعنوية تظهر حاجة كل دولة منها إلى الدول الأخرى . ومن ثم لا يمكن الدولة أن تعيش أو تنمو وهى بمعزل عن مجموعة العائلة الدولية .

وقد كانت العلاقات الدولية فى أول الأمر قليلة نادرة الحصول قاصرة على الدول المتجاورة ، وذلك لبطىء المواصلات وعدم توفر الثقة بين الدول ، فلما زادت سرعة المواصلات نشطت التجارة الدولية وتعددت حالات الاتصال بين الدول ، وأحكمت الروابط بينها الاكتشافات العلمية والأعمال الفنية والأدبية وتعدد المصالح والمشارب . إزاء ذلك لم يكن من الممكن أن تبقى هذه العلاقات الدولية المتعددة فوضى بلا قواعد تحكمها ، ومن ثم نشأت قواعد القانون الدولى والمنظمات الدولية والإقليمية ، وهى قواعد تتجدد وتتطور حسب الاحتياجات البشرية ، وهذه العلاقات ترسم ما يجب على الدول اتباعه إزاء غيرها فى السلم وفى الحرب على السواء .

وقد تناولت المعاهدات بعض القواعد التى تحكم العلاقات التى تربط بين الدول الموقعة عليها . ولم يكن يحمى هذه المعاهدات إلا ضمير الشعوب وكثيرا ما كان هذا الضمير يغفو أمام الأنانية وإيثار المصالح الخاصة .

ثم هناك المنظمات الإقليمية كجامعة الدول العربية التى تضم هـذه الدول باعتبارها مجموعة من الدول ذات المصالح والأهداف المشتركة والتى تتركز فى منطقة واحدة من العالم . ولم تصل هذه المنظمة إلى الحد الذى يجعل قراراتها واجبة التنفيذ ويحمل الدولة التى تخرج عن التزاماتها تبعات قانونية ، رغم كل الجهود التى تبذلها الشعوب العربية وذووا الشجاعة من قادتها للنهوض بها إلى المكانة التى تجعل منها أداة لها فاعليتها فى إقرار السلم العالمى . وإنه وإن كانت آراء أعضائها فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المحيط الدولى تعتبر آراء فردية فإنها فى أغلب الأحوال متناسقة مع بعضها .

وهناك أيضا المنظمة الدولية — وهى الأمم المتحدة وفروعها — وميثاقها الذى ترتبط به الآن مائة دولة من دول العالم يجعل لها حق التدخل لفض المنازعات الدولية بقرارات لها قوة إلزامية ، وحق إعلان الحرب ، وتوجيه الجيش الدولى لضمان احترام قراراتها ولرد العدوان ودفع الاعتداء — وقد أشار إلى ذلك نص المادة ١٠٤ من ميثاقها : (تتمتع الأمم المتحدة فى أرض كل عضو من أعضائها بالأهلية القانونية التى يتطلبها قيامها بأعباء وظائفها وتحقيق مقاصدها) وحتى تتمكن الأمم المتحدة من إيجاد الجيش الدولى الدائم ، فإن قراراتها لا تكون لها قوة القسر والإلزام إلا بمساندة الضمير العالمى .

هذا هو أقصى ما وصل إليه العالم الحديث فى قوانينه الوضعية — هذا العالم الذى أتى بالمعجزات فى كل علم وفن — عجز أن يهيئ لنفسه أسباب الاطمئنان ، والعيش الهادىء الكريم ، والسمو بالعلاقات الدولية فوق مستوى النزوات والمصالح الفردية .

هذا هو أقصى ما وصل إليه القانون الوضعى فى العلاقات الدولية . أما دستورنا السماوى فكان له معها شأن آخر يتفق مع مبادىء الإسلام القويمة — هذا الدين الصالح لكل زمان ولكل مكان الذى لم يترك شاردة ولا واردة إلا عالجها وجعل لها قواعدها وآدابها بما يكفل سعادة البشرية . ويحفظ للإنسانية عظمتها ، ويقضى على ما يعترضها من أسباب النزاع والضعف .

هذا الدين لم ينكر وجود دول متعددة المصالح متنافرة المشارب ، ولكنه أمر بأن يقوم بينها السلام وتقوى بينها الصلات الودية .

وفى القرآن الكريم دعوة صريحة إلى قيام وحدة أمم إسلامية لإصلاح حالها ، ونزع الأحقاد من قلوبها ، وعقد الصلات الودية والروابط الدينية وكف يد الظلم والعدوان بالقوة والسلطان فقد قال تعالى فى سورة الحجرات : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما — فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

وكان نزول هاتين الآيتين عند ما اقتتلت طائفتان من الأوس والخزرج بالجريد والنعال عقب نزاع ، فكره الله منهم ذلك وأنزل هاتين الآيتين .

وقد كان بين الأوس والخزرج نزاع دموى طويل قبل إسلامهما — وتمكن النبى صلى الله عليه وسلم من إحلال الوئام والمودة بينهما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى أن ثار هـــذا النزاع الذى أنزل الله فيه الآيتين نصحا لها ودستوراً إسلاميا يجب على المسلمين اتباعه والأخذ بمبادئه ـ فقد افترض الله وقوع مثل هـذه المنازعات بين طوائف المؤمنين ودولهم وشيعهم إلى الحد الذى يثير الحرب بينهم ، وأبان لهم ما يجب عمله ، وما يجب على باقى المسلمين القيام به .

فأمر بالتدخل بين المتخاصمين بالصلح ـ فإن ركبت إحدى هذه الطوائف رأسها وأصرت على البغى والعدوان ، ولم يجد معها نصح أو إرشاد فقد أوجب الله قتالها حتى تصحو من غفوتها وتعود إلى ما أمر الله به وتنتهى عما نهى عنه ، حتى إذا توقف النزاع أمر سبحانه وتعالى بالصلح والتوفيق بين المتنازعين .. واشترط أن يقوم هذا الصلح على العدل وإظهار الحق وإنصافه حيث أن الله يحب المقسطين ، ثم ذكرهم بأن المؤمنين أخوة لا يجوز لهم أن يتطاحنوا ويقتتلوا بل هو تراحم وحسن جوار ومنافسة فى الخير .

وقد جاءت هاتان الآيتان بمبادىء هامة فى العلاقات الدولية وفى أسس التحكيم والتدخل فى المنازعات الدولية ـ ووضعت لها آدابا لم تصل إليها القوانين الوضعية حتى الآن.

وكل مزية من هذه المزايا عنصر من عناصر السعادة الحقة ، مما جعل هذا الدين أحكم مرشد وأهدى قائد إلى المدنية المؤسسة على المعارف الصحيحة والأخلاق الفاضلة ـ وهذه المزايا قد سعد بها المسلمون الأولون ورفعتهم إلى مراتب الحضارة السامية وأنزلتهم معاقل المدنية فسادوا العالم ورفعوا لواء العرفان ونشروا نور القرآن فى كل مكان .

وقد حبب الله التآخى بين المسلمين وأمرهم بحسن التعارف والتنافس لما فيه خيرهم ـ كما فى قوله تعالى « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

كما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كلكم لآدم ـ وآدم من تراب . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

فالأصل واحد وإن تفرقت الشعوب والقبائل والطوائف ـ صلاتها يجب أن تقوم على التآخى والتعاون وحسن الجوار .

وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام : إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار .

وحكمة الإسلام فى ذلك عظيمة ـ فالمسلمون أمامهم تبعات كبيرة ومسئوليات جسام فى سبيل إعلاء شأنهم وتبوء المركز الكبير الذى أراده الله لهم « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . يجب ألا يشغلهم عن ذلك شاغل من خصومة أو منازعات شخصية ـ ومن واجبهم التنافس فى السير قدما فى ركب الحياة بما يحفظ لهم دينهم ودنياهم ويعلى كلمتهم بين الطوائف الأخرى التى تتربص بهم الدوائر وتسعى لإذلالهم وإضعافهم وإحلال التفرقة بينهم محل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التعارف والتآخي. ومن فضل الإسلام على المسلمين أنه آخى بينهم وجمع كلمتهم - ففي أحد المواسم، جاء مكة نفر من الخزرج حيث قابلهم النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة، ودعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا: إنا قد تركنا قومنا وليس قوم بينهم من العداوة والشرك ما بينهم. فعسى أن يجمعهم الله بك. فسنقدم عليهم. فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين. فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك.

فلما عادوا إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ودعوهم للإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله.

كما أنه عليه السلام لما هاجر إلى المدينة آخى بين المهاجرين وبين الأنصار من أهل المدينة - فقال: تآخوا في الله أخوين أخوين - ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي.

وجعل صلوات الله وسلامه عليه التآخي ينبع عن القلب - تحسه كل جوارح النفس ومنه قوله: لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى وقوله: لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا.

هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن الدين الإسلامي كان سمحا مع الطوائف غير المسلمة التي تعيش في أرض الإسلام حيث أمنهم على أموالهم ومعابدهم وخلى بينهم وبين شعائرهم الدينية.

كما أن المسلمين كانوا كرماء مع جيرانهم من الدول الأخرى إن هي جنحت للسلم. ومن أمثلة ذلك أنه لما ترك ملك الروم الحرب وكاتب عمر بن الخطاب وتقرب إليه أجاب طلبه وحقق رغبته وسير إليه البريد بما يريد، وتهادت زوجه أم كلثوم بنت علي وملكة الروم - كما أنه عندما تضرع ملك الباب (ثغر عظيم على بحر الخزر) إلى عمر ابن الخطاب تنازل له عن الجزية لقاء مساعدته على حرب المشركين.

وأخيراً فإن السلف الصالح من فقهاء المسلمين قد شرعوا - على ضوء المبادىء الإسلامية - أدق القواعد في القانون الدولي والعلاقات الدولية - منها كتاب السير الكبير للإمام محمد بن حسن الشيباني، وهو أحد علماء الحنفية في عصر هارون الرشيد؛ الذي تكلم في أحد أجزاء كتابه عن الأمور التي تحل في دار الحرب ولا تحل في دار الإسلام، وعن الأمان وعقد الذمة وعقد الصلح وما ينبغي في ذلك كله.

النقيب

محمد فاروق عسكر

إدارة أسلحة وإمدادات الشرطة بالقلعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سلطان الضمير

للأستاذ سعد الدين محمد الجيزاوى

يخضع الإنسان فيما يصدر عنه من تصرفات إلى سلطانين :

أحدهما : سلطان « القوانين واللوائح والتشريعات المختلفة » .

والآخر : هو « سلطان الضمير » .

وسنكتفى هنا بإشارات عابرة عن سلطان القوانين ، لأن تفصيل ذلك مجاله بحوث المختصين بالدراسات القانونية :

إن القوانين فى مجموعها تختلف باختلاف الأزمان والبيئات ، ومصادرها الأساسية إما وحى من الله يبلغه الرسل الكرام إلى أممهم ، وإما أوامر رؤساء الدول . وطاعة هذه القوانين واجبة بأمر من الله تعالى على كل فرد من أفراد الأمة أو المجموعة الذين تصدر من أجلهم . قال تعالى « يأيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم » .

غير أن الآية عادت فحددت ـ ضمانا للعدالة فى تشريعات أولى الأمر ـ أن تكون هذه التشريعات مستمدة من روح التشريعات السماوية ، غير بعيدة عن خطوطها الأساسية : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

وفى التشريعات الإسلامية فسرت السنة المطهرة مايجب على الأفراد من طاعة أولى الأمر ، وحددت هذه الطاعة فيما يعود على الفرد والأمة بالخير والمنفعة ، وإن كان فى ذلك مشقة على النفوس ، على شريطة ألا تكون فى هذه الطاعة معصية تغضب الخالق ، أو تهدم ركنا من أركان التشريع السماوى . وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة كقوله عليه الصلاة والسلام : « السمع والطاعة على المرء المؤمن فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، ومثل : « السمع والطاعة على المرء المؤمن فى المنشط والمكره ما لم يؤمر بمعصية ... » ، ومثل : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

ولئن كانت تشريعات سوق الأفراد إلى القتال حفظا لكيان الوطن ، أو دفاعا عن العقيدة . فيها مشقة على بعض الأنفس ، فإن طاعة هذه القوانين واجبة لما فيها من قيام بعمل يحفظ كيان الأمة التى ينتسب إليها الفرد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كذلك التشريعات التي تحد من عبث العابثين بمصالح الأمة ، وتضرب على أيدى الذين يتآمرون فى الخفاء للوصول إلى أغراض ذاتية سواء أكان ذلك بالتجسس ، أو بعصيان القوانين التى ليست فيها معصية للخالق ، أو بإشاعة الفتن بين أبنـــاء الأمة ... إن مثل هـذه التشريعات من حق الحاكم ، وطاعتها واجبة .

ومن حق ولى الأمر أن يتخذ من التشريعات ما يشيع العدالة بين الرعية ، وينصف المظلوم من الظالم ، ويرفع المستوى العـام للأمة ، ويدفعها إلى التقدم والنهوض ، وإن اقتضى ذلك استخدام الفائض المكدس من الأموال دون نفع ، للانتفاع به فى مجالات أخرى تبعث النشاط والتقـدم ... ومثل هـذه التشريعات مما يجب الرضا به ، وإن بدت شاقة على النفوس الشحيحة .

ولولى الأمر ـ ما دام يصدر فى أعماله عن إخلاص ، ومحافظة على روح التشريع السماوى وبعد عن الهوى ـ أن يفرض من العقوبات ما يكفل له تنفيـذ إصلاحاته مهما بدا فيها من قسوة على المعوقين . قال تعالى : « إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خـلاف ، أو ينفوا من الأرض » .

ولكنا نسأل أنفسنا :

هل من الممكن أن يكون هـذا السلطان المستمد من القوانين واللوائح والتشريعات المختلفة ، على ما فى مخالفته من عقوبات تتفاوت من « وقف التنفيذ » إلى « الإعدام » هل من الممكن أن يكون هـذا « السلطان » وحده كفيلا بأن يلزم كل امرىء حـده ، ويكف عن العدوان على الغير ؟؟

هل فى سلطان القوانين ما يبعث الرهبـة دائما فى أعماق النفس لتكـف عن ارتكاب الجرائم ؟

إن الواقع الملموس يقول : لا !!

استمع إلى الإمام محمد عبده يقول « ليست القوانين التى تفرض العقوبات على الجرائم ، وتقدير المغارم على المخالفات ، هى التى تربى الأمم وتصلح من شئونها ، فإن القوانين لم توضع فى جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والسقطات » .

ثم يقول : « وأما القوانين العامة المصلحة فهى نواميس التربية الملية فى كل أمة » . ثم استمع إلى طه الهاشمى فى إحـدى محاضراته بجامعة آل البيت بالعراق رداً على « سبنسر » فيما ذهب إليـه من أن المجتمعات يمكن أن تساس بقواعد تستمد من الوجدان ، ومن مشاهـدة سنن الطبيعة ، ومن سلطة المجتمع دون حاجة إلى وازع من دين :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال الهاشمي : « إن المجتمع لا يعاقب كل من يتنكب شرائعه ويشذ عن قوانينه ، فكم من جناية تجترح ، وكم من مال ينهب ويغصب وكم من إثم يقترف ، والفاعلون يسرحون ويمرحون بين سمع الشرطة وبصر الحكام ، وكم من مجرم أفلت من يد العقاب بفصاحة المدره ولمع النضار » .

وكيفما كان ذلك « السلطان » المستمد من القوانين فإنه ضرورة لا بد منها ، وقد لازم المجتمع الإنساني من يوم أن بدأ الإنسان يتدرج في محيط مجتمعات متدرجا من سلطة رب الأسرة إلى كبير العائلة . ثم إلى رئيس القبيلة ... ثم إلى الملوك والرؤساء ، وقد ورد في ذلك : « يزع الله بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن » .

ولعل الذي جعل بعض الناس لا يبالون بسلطان القوانين مهما قست هو أن عقوبة المخالفين قاصرة على أمور مادية ، وقليلا ما يلجأ المحقق أو القاضي إلى تذكير المتهم بأن هناك عقوبات أخرى سينالها حتما إن هو أفلت من الحكم عليه لسبب أو لآخر .

من أجل كل ذلك عنى الإسلام عناية كبرى بتوجيه النظر الى « السلطان » الآخر ، السلطان الذي لا يستمد قوته من القوانين واللوائح والتشريعات بل يستمد تلك القوة من أعماق النفس ، ويخلق في شخصية الإنسان محكمة عادله : تراقب أدق مراقبة ، وتحاسب أعسر حساب ، ثم تحكم أعدل حكم ، وتنفذ دون تدخل شرطة أو ذهاب إلى محاكم أضمن تنفيذ .

ذلك السلطان هو سلطان « النفس اللوامة » الواردة في قوله تعالى « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » ، ولا شك أن في القسم بالنفس اللوامة إلى جانب القسم بيوم القيامة إشارة إلى ما في ذلك اليوم من من حساب وجزاء تستعد لها النفس اللوامة.

ذلك السلطان يستمد قوته من محاسبة المرء نفسه ، ومن الشعور بأن هناك رقابة دقيقة عليه تسجل ما خفي من أعماله وما علن ...

ذلك السلطان تتلاشى أمام قوته جميع رغبات المرء في غير ما هو حلال مباح ، ويجعل الإنسان يسير في أقوم سبيل ، فإن أخطأ لا يحاول الهرب من مسئولية خطئه ويتقبل كل عقاب جزاء لما اجترح من السيئات ، وإنما الذي يؤرقه ، ويحزنه ، إنما هو شعوره الناشيء من اجترائه على ذلك الرقيب الذي لا يستطيع الاستخفاء منه ، ولا الإفلات من دقة تسجيله .

ذلك السلطان هو الذي عبر عنه الإمام الغزالي بالمراقبة والمحاسبة . وأفاض في بيان درجات هذه المراقبة وحساب النفس . حتى عرف أرباب البصائر « أن الله تعالى لم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالمرصاد ، وأنهم سيناقشون فى الحساب ، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة» .

ذلك السلطان هو ما يعبر عنه اليوم فى مجتمعاتنا « بالضمير » .

ولعلماء النفس مذاهب وتفسيرات فى منشأ هذا « الضمير » وتكوينه ، ومقدرته على أن يسيطر على ذات الإنسان وغرائزه ويقوده إلى أقوم سبيل ، وغاية ما وصلوا إليه فى تقريب مدلوله أنه الجانب السامى من النفس الإنسانية أو ما يعبرون عنه بالذات العليا أو النفس العليا التى تراقب الإنسان فى تصرفاته .

ومهما قيل من آراء ونظريات فى تكوين هذا الضمير ، فإن العامل الأول فى نشأته هو عنصر الدين المتأصل فى الفطرة البشرية التى فطر الله الناس عليها ، ذلك العنصر الذى يظل كامنا فى حنايا النفس الإنسانية مهما امتزج بها من ضروب الشرور وصنوف الآثام وعصف الغرائز السفلى .

استمع إلى السيد جمال الدين فى حديث له عن فطرية الدين : « إن الشعور بوجود إله متصرف فى الأكوان تصرفا غيبيا فوق تصرف المخلوقات بما يكون من إفضاء الأسباب إلى المسببات ، قد عرف فى جميع البشر ، من أدنى القبائل الهمجية إلى أرقى شعوب المدنية ، فهو شعور يستوى فيه الحفاة العراة فى صحارى إفريقية وجزائر المحيط وفلاسفة اليونان فى الماضى ، وفلاسفة الإفرنج الآن ، وقد عرف فى الغربيين عند قدماء الأمم كالمصريين والكلدانيين والهنود كما هو معروف فى هذا العصر . ومثل هذا الاتفاق من الشرقى والغربى ، والشمالى والجنوبى ، فى جميع الأزمان من غير تواطؤ ولا تقليد ، ولا تعليم ، لا يعقل إلا أنه فطرى فى البشر » .

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم عن منطقة هذه الحاسة الفطرية بالتدين : « حينما كنت وكيلا للنائب العام ، كنت أرى عجبا فى قاعات المحاكم وقاعات التحقيق ، وكنت أفكر كثيرا فى أمر ذلك الشرير الذى طالعت صحيفة حياته . فإذا آثام ، ودماء تسيل منها ، ومع ذلك يقف أمامى متطلعا إلى السماء ويأبى أن يقسم بالمصحف كذبا .

هذا الآدمى قد انطلقت غرائزه الدنيا ، لا يقوم لها شىء ، ولكن بقيت رغم هذا فى نفسه منطقة عذراء لم يتطرق إليها فساد : هى منطقة العقيدة . أهناك إذن حد فاصل بين العقيدة والغريزة ؟ ؟ » .

تأمل كيف أبى هذا الشرير أن يحلف كذبا بالمصحف ! ! إنه يرى أن هذه جريمة تفوق كل ما ارتكب من جرائم قد تؤدى به إلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حبل المشنقة ، ولكنه يأبى أن يفلت من الإعدام بمخالفة عقيدته ! ! .

إن سلطان الضمير قد تغلب واستخف بكل عقوبة . وربما لو بحثت حالة مثل هذا المجرم من الوجهة النفسية والاجتماعية لا تضح أنه مظلوم وإن تلوثت يداه بالدماء ! ! .

وإذا نحن أمعنا النظر فى مهمة الرسل الكرام نجد فيها تذكير الناس بأصل الفطرة التى فطروا عليها بعد أن يكون قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حتى يستيقظ وازع الدين الفطرى ، وينمو الشعور بالمراقبة والمحاسبة ، ويقوى سلطان الضمير .

ومن واجبنا اليوم أن نعرف كيف عنى الإسلام بتنمية سلطان الضمير ، ثم ما كان لهذا السلطان من الآثار فى تكوين شخصية المسلم ، عسى أن ننتفع بما فى ذلك من تذكرة .

لقد كان من أبرز الأهداف الأساسية التى عنيت بها رسالة الإسلام إدخال شخصية المرء فى تقويم أعماله ، وتحميله مسئولية شخصية عن كل ما يصدر منه من أعمال اختيارية ، وخلق إحساس عميق فى نفسه بأن كل صغيرة وكبيرة مسجلة عليه تسجيلا دقيقا لا يستطيع الإفلات منه ، وأنه سيجازى على كل ما اقترف جزاء عادلا .

وأهم ما سلكته الدعوة الإسلامية فى تكوين هذه الشخصية طريقان :

أولها : آيات القرآن الكريم العديدة التى تدور حول تحميل المرء تبعة أعماله الاختيارية وإشعاره بأن الرقابة عليه شديدة . . مثل قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » ، و « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ... » ، و « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون : يا ويلتنا ، مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحدا . . » و « كل نفس بما كسبت رهينة الخ » .

وثانيها : قضاء الرسول عليه الصلاة والسلام بين أصحابه ، وتوجيهاته السديدة نحو إيقاظ الشعور بالمسئولية . ومن ذلك مثلا أنه حين اختصم إليه رجلان فى ملكية عقار ، وليس لأحدهما بينة ظاهرة ، لم يسلك السبيل المألوف فى مثل هذه الخصومة من التدقيق فى طلب بينة أو توجيه اليمين المنكر مثلا ، بل عمد إلى الذات الإنسانية العليا ، إلى الضمير فقال : ... لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له . فمن قضيت له

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بشيء من غير حقه فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها إن شاء أو يتركها .

هنا تلاشت الرغبة في ملكية العقار عند كلا الرجلين ، وتنازل كل منهما لصاحبه حتى لا يقع في شبهة من ظلم لنفسه إذا هو أصر وقضى له . ثم كان من حكمة الرسول أن أمرهما بأن يستهما فاستراحت أنفسهما ، وارتضيا هذا الحكم .

وكذلك كان موقفه من رجل جاء بأموال الصدقات التي كلف بجمعها ومعه أشياء لنفسه وقال : هذا مالكم ، وهذا أهدي إلي .

غضب الرسول الكريم عند ما علم بذلك ، وجمع أصحابه وخطبهم خطبة كبيرة بين فيها أن مثل هذا الإهداء لم يكن لولا جاه الوظيفة ، ومعنى ذلك أن هذه الهدايا تعتبر رشوة مقنعة . . ثم أخذ يصور لهم يوم القيامة وما فيه من أهوال كأنه يراها ، وكأن كل مرتش يمر أمامه حاملا في عنقه كتلا من نار جهنم ...

ومما يلفت النظر أن الخطبة الأولى التي وجهها النبي عليه الصلاة والسلام إلى قومه عند ما صعد على الصفا في أول يوم أعلن فيه الدعوة إلى الإسلام قد تضمنت الأساس الأول في تحديد المسئولية الشخصية إذ جاء فيها : « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . وإنها لجنة أبداً ، أو نار أبداً . والله ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة والنار » إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة.

ما ذا كانت نتيجة هذه التربية الإسلامية لشخصية المسلم ؟

لقد ظهرت آثار تلك التربية سريعا ، ولعل أروع مثل نسوقه في ذلك قصة الثلاثة الذين خلفوا الواردة بسورة التوبة ، إذ تبين موقف هؤلاء الصحابة الكرام حينما أحسوا بخطئهم ؟ وتقاعدهم عن الغزو مع الرسول الكريم بأعذار واهية قبلها منهم الرسول ثقة منه بهم ... ما ذا كان منهم عند ما رجعوا إلى أنفسهم وحاسبوها وأيقنوا أنهم كانوا مخطئين... إنهم ربطوا أنفسهم في أعمدة المسجد وكاد الشعور بالندم يقتلهم ، وأصبحوا في تلك الفترة شبه معزولين عن أهليهم وصحبهم كأنهم غير جديرين بالاندماج في مجتمع يتسم بالصدق والصراحة ، وقد قاسوا من الآلام النفسية خلال خمسين يوما ما قاسوا ، « وضاقت عليهم الأرض بما رحبت » ، « وضاقت عليهم أنفسهم » ، وأيقنوا أن لا مهرب من الله إلا إليه .

ولقاء هذا الصدق في محاسبة النفس ، والاعتراف بالخطأ ... أكرمهم ربهم فتاب عليهم .

دكتور
سعد الدين محمد الجيزاوي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صفحات من العروة الوثقى

للدكتور جمال الدين الرمادى

العروة الوثقى اسم لجريدة صدرت فى باريس عام ١٨٨٤ وأنشأها فيلسوف الإسلام ، وحكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغانى ، ويهدف فيها إلى الوحدة الدينية وجمع شتات المسلمين فى عروة وثيقة لا انفصام لها .

وكان يدير سياستها الأفغانى نفسه ، أما محررها الأول فكان الشيخ محمد عبده ، ويبدو من افتتاحية العدد الأول أن الاتجاه الدينى فيها يغلب كل اتجاه آخر ، فإن « روابط المسلمين الملية أقوى من روابط الجنس واللغة . وما دام القرآن يتلى بينهم وفى آياته ما لا يذهب على أفهام قارئيه فلن يستطيع الدهر أن يذلهم » .

كما كانت هذه الجريدة تهتم بدفع ما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم الباطلة التى يوجهها إليهم من لا خبرة له بحالهم ، ولا وقوف على حقائق أمورهم ، وإبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون فى المدنية ما داموا على أحوالهم التى كان عليها آباؤهم الأولون .

ودافعت العروة الوثقى عن القضية المصرية دفاعا مجيدا ، وربطت هذا الدفاع بالدين وجعلت ساعة الخلاص من الاحتلال ساعة الفرح عند المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها ، إذ أن مصر مناط أمل المسلمين ومعقد رجائهم و « إن الحالة السيئة التى أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموما . إن مصر تعتبر عندهم من الأراضى المقدسة ولها فى قلوبهم منزلة لا يحلها سواها نظراً لموقعها من الممالك الإسلامية ولأنها باب الحرمين الشريفين . فإذا كان هذا الباب أمينا كانت خواطر المسلمين مطمئنة على تلك البقاع ، وإلا اضطربت أفكارهم ، وكانوا فى ريب من سلامة ركن عظيم من أركان الديانة الإسلامية ، إن الخطر الذى ألم بمصر نفرت له أحشاء المسلمين وتكلت به قلوبهم ولن تزال الأمة تستفزهم ما دام الجرح نفارا ... » .

أما عن منهج الجريدة الذى اتخذته لنفسها فهو أنها ستأتى فى خدمة الشرقيين على ما فى الإمكان من بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف ، وتوضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ما هو آت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتراعى فى جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة فى أفرادها ، وتأييد المنافع المشتركة بينها ، والسياسات القويمة التى لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحقوق الشرقيين .

وكانت الجريدة ترسل أعدادها إلى من تعرف أسماءهم بدون مقابل حتى يتداولها الأمير والحقير ، والغنى والفقير ، وقد ختمت الجريدة دعوتها إلى القراء بهذه العبارة: «ومن لم يصل إلينا اسمه فما عليه إلا أن يكتب الى إدارة الجديدة بالإسم المعروف به ومحل إقامته ، على النهج الذى يريده ، والله الموفق» .

وهذا يدل دلالة واضحة على ان منشئها ومحررها لم يكونا يضنان بمال أو جهد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية ، والمناداة بالفضيلة وتحرير الأوطان الإسلامية من ربقة الاستعمار ونير الاستعباد ، وحوزة الاستغلال . ولم يكونا هادفين الى مال أو ثراء ، إنما كانا يلتمسان نشر الدعوة الإسلامية ، وبث النخوة الوطنية بمختلف الوسائل وشتى الذرائع مهما كلفها ذلك من نصب ، وكد وكفاح .

وقد رحبت البلاد الإسلامية ترحيبا عظيما بصدور هذه الجريدة وظل أهلها يتسابقون الى الحصول على عدد من أعدادها ، حتى إذا ما ظفروا به تناقلته الأيدى فى شغف وقد أحس الإنجليز بخطرها قبل صدورها ، فهاجت الصحافة الانجليزية بمجرد أن نمى إليها خبر اصدارها ، والى ذلك تشير الجريدة فى العدد الخامس فتقول : «عزمنا على انشاء جريدتنا هذه فعلم بذلك بعض محررى الجرائد الفرنساوية فكتبوا عنها قبل صدورها غير مبينين لمشربها ، ولا كاشفين عن حقيقة سيرها ، فلما وقف على الخبر محررو الجرائد الانجليزية المهمة أخذتهم الحدة ، وأنذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة فى سياسة الانجليز ونفوذها فى البلاد الشرقية ، وألحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع الجريدة من الدخول فى البلاد الهندية ، والبلاد المصرية ، بل تطرقوا فنصحوها أن تلزم الدولة العثمانية بالحجر عليها» .

وتمكنت السلطات البريطانية ، من منع الجريدة من دخول الهند ومصر ، بيد أن صوت الحرية لا يخفت أو يذهب أدراج الرياح ، فقد استطاع بعض المصريين الحصول على أعداد من هذه المجلة ، وسرعان ما وضح أثرها فى نفوسهم ، فزادتهم حماسة واشتعالا فى تحرير وطنهم من المستعمر الغاصب .

وعند ما تمكن عملاء الاستعمار من مصادرة العروة الوثقى فى مصر زاد اسلوبها حدة تجاه أذناب الإنجليز وتمنت أن يكون بين المصريين من يستطيع - ولو بأعنف الوسائل - إبطال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذه الصفقة و نقض هذه البيعة ، و تقصد صفقة القروض التي كان يتفاوض فيها نوبار .

وقد وضحت الجريدة سماحة الإسلام وسماحة خلق المسلمين إذ لم يسلك المسلمون في وقت ما مسلك الالزام بدينهم ، والاجبار على قبوله ، مع شدة بأسهم في بدايات دولهم و تغلغلهم في الأقطار ، و اندفاع همهم للبسطة في الملك والسلطة . إنما كانت لهم دعوة يبلغونها ، فإن قبلت فبها ، وإلا استبدلوها برسم مالي يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب الفقه الإسلامي هذا على خلاف منتصرة الرومانيين واليونانيين أيام شوكتهم الأولى فإنهم ما كانوا يطأون أرضا إلا ألزموا أهلها بخلع أديانهم والدخول في دين أولئك المتسلطين وهو الدين المسيحي كما فعلوا في مصر وسوريا ، بل في البلاد الإفرنجية نفسها .

وقد مضت العروة الوثقى توضح وجهة نظر المستعمر في إلغاء الفكرة الدينية لبث الفرقة بين المسلمين . وتأكد لديهم أن أقوى رابطة بين المسلمين هي الرابطة الدينية ، ولأولئك الافرنج مطامع في ديار المسلمين وأوطانهم . فتوجهت عنايتهم إلى بث هذه الأفكار الساقطة بين أرباب الديانة الإسلامية ، وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة ، وفصم حبالها لينقضوا بذلك بناء الملة الإسلامية ويمزقونها شيعا وأحزابا .

والجريدة بتخصيصها المسلمين بالذكر أحيانا ومدافعتها عن حقوقهم تبعد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم في أوطانهم ، ويتفق معهم في مصالح بلادهم ويشاركهم في المنافع من أجيال طويلة . فليس هذا من شأن الجريدة ولا تميل إليه ولا يبيحه الإسلام ولكن الغرض ، تحذير الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا من تطاول الأجانب عليهم والإفساد في بلادهم ، وقد تخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب في الأقطار التي غدر بها الأجنبيون وأذلوا أهلها أجمعين ، واستأثروا بجميع خيراتها » .

وفي مقالة نارية مضت جريدة العروة الوثقى توضح واجب المسلمين في التآلف والتآزر ، والتعاطف والتكافل - وجعلت عنوان المقالة الآية الكريمة و « اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » فقالت إن للمسلمين شدة في دينهم ، وقوة في إيمانهم ، وثباتاً على يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل ، وإن من عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض ، ومما رسخ في نفوسهم أن في الإيمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين ، وأن حرم الإيمان فقد حرم السعادتين ، ويشفقون على أحدهم ان يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وانطلقت تحدد دستور الوحدة بين المسلمين فقالت: « المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل فى ولايتهم من البلدان ، وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدثين فى الجنس ولا المختلفين فيه ، وهو فرض عين على كل واحد منهم إن لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ، ومن فروضهم فى سبيل الحماية ، وحفظ الولاية بذل الأموال والأرواح وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب ، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم فى حال من الأحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم ، وبالغت الشريعة فى طلب السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز المسلم عن التخلص من سلطة غيره لوجبت الهجرة من دار حربه ، وهذه قواعد مثبتة فى الشريعة الإسلامية يعرفها أهل الحق ولا تعرفها تأويلات أهل الأهواء ، وأعوان الشهوات فى كل زمان ، والمسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الإيمان وهو هاتف الحق الذى بقى له من إلهامات دينه » .

وعلى هذا النحو مضت الجريدة تطالب بتحرير أفغانستان من نير الإنجليز كما مضت تطالب بتحرير مصر من جنود الاحتلال البريطانيين وتخليص مراكش من الجنود الفرنسيين .

وفى ١٥ مايو عام ١٨٨٤ زادت حمية الجريدة فى الدفاع عن المصريين فنشرت فى افتتاحيتها مقالا مستفيضا جاء فيه « هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين ، والاستنجاد لهم ، ولها سعى بل كل السعى لخيبة آمال أعدائهم ، ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح فى عمرو فإن المقصد أعلى وأرفع من هذا ، وإنما عملها سكب مياه النصح على لهب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين جميعا على الصفاء والوداد ، تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ، ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضوارى التى فغرت أفواهها لالتهامهم » .

وفى مقالة : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » مضت تعدد مجد المسلمين فى العصور الخوالى فقالت: أظلت ولاية الإسلام ما بين نقطة الغرب الأقصى إلى تونكانى على حدود الصين فى عرض ما بين قازان من جهة الشمال وبين سرنديب تحت خط الاستواء أقطاراً متصلة وديارا متجاورة يسكنها المسلمون ، وكان لهم فيها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السلطان الذى لا يغالب ، وأخذ بصولجان الملك منهم ملوك عظام وأداروا بشوكتهم كرة الأرض إلا قليلا ، ما كان يهزم لهم جيش ولا ينكس لهم علم ولا يرد قول على قائلهم .

ثم مضت الجريدة تقول ، والمسلمون اليوم يملكون تلك الأقطار التى ورثوها عن آبائهم وعديدهم لا ينقص عن مائتى مليون وأفرادهم فى كل قطر بما أشربت قلوبهم من عقائد دينهم أشجع وأسرع إقداما على الموت ممن يحاورهم ، وهم بذلك أشد الناس ازدراءا بالحياة ، وأقلهم مبالاة بزخرفها الباطل .

غير أن الجريدة أرجعت وقوف المسلمين فى سيرهم بل تأخرهم عن غيرهم إلى عدم الترابط . فأخذت ممالكهم تنتقص أطرافها وتتمزق حواشيها مع أن دينهم يرسم عليهم أن لا يدينوا لسلطة من يخالفهم ويعمل على الاستئثار بالحكم عليهم وأن المسلمين لا يحتاجون فى صيانة حقوقهم إلا إلى تنبه أفكارهم لمعرفة ما به يكون الدفاع ، واتفاق آرائهم على القيام به عند لزومه ، وارتباط قلوبهم الناشزة عن إحساس بما يطرء على الأمة من الأخطار .

« أليس لكل واحد منهم أن ينظر إلى أخيه بما حكم الله فى قوله « انما المؤمنون إخوة » فيقيمون بالوحدة سدا يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب »

هذه صفحات مطوية من العروة الوثقى وهى صفحات لا تزال مشرقة متألقة رغم تطاول السنين . وتقادم العهد ، وقد صدر فيها ثمانية عشر عددا بلغ فيها الشيخ محمد عبده الذروة فى روعة الأسلوب ، ودسامة المادة ، والحرص على التمسك بأهداب الدين الحنيف ، وتخليص الوطن العزيز من براثن المغتصب الأثيم ، وقد توقفت الجريدة فى ٢٦ ذى الحجة عام ١٣٠١هـ الموافق ٢٦ اكتوبر عام ١٨٨٤ ففقدت الصحافة نجما زاهرا زاهيا فى سمائها ، ومشعلا متألقا هاديا فى فضائها يهدى المسلمين الى حقائق دينهم ، ودقائق شريعتهم الغراء ، وإلى حب أوطانهم وفدائها بالمهج والأرواح .

دكتور

جمال الدين الرمادى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفنون الشعبية في العصور الإسلامية

للأستاذ عبد المجيد وافي

في تاريخ مصر حضارات متعددة ، تركت أثرها واضحا في حياة الشعب المصري، وعاداته وفنونه ، وإن اختلف ذلك الأثر باختلاف الظروف التي لابست كلا من هذه الحضارات.

فالحضارة الفرعونية عمرت قرونا طويلة بقيام دولتها ، واستمرت باستمرارها ، وتأثرت بضعف الدولة وقوتها ، فازدهرت بازدهار العصر ، وانحطت بانحطاطه ، حتى إذا انتهى عهد الفراعين ، خلفهم البطالمة متمسحين في التاريخ الفرعوني وثقافته وفنونه إلى أن أطبق الفتح الروماني على هذه البقايا.

ولم يؤثر العصر الروماني على هذا البلد ، بقدر ما أثرت العقيدة المسيحية التي صاحبت ذلك العصر في حياة الشعب وفنونه .

ودخل المسلمون مصر فاتحين ، على أنقاض الحكم الروماني ، ولم يمض طويل زمان حتى كان أثر المسلمين واضحا في حياة الشعب وعاداته ، التي أخذت تتطور وتتغير مع العقيدة الجديدة .

* * *

والذي يهمنا أن ننظر إليه خلال هذه الحضارات المتعاقبة هو أثر العقيدة في حياة الشعب وتعبيره الفني ، فالفن مرآة تبين مدى انطباع الشعب بالحضارات وانعكاسها على أعماله .

* * *

والناظر إلى آثار المصريين القدماء ، يرى الفن باقيا خالدا بخلود المواد التي شيدت منها هذه الآثار ، ولكنه فن رسمي ، فن يعبر عن رأي الحاكم لا رأي الشعب ، ويمثل سيطرة الهيئة الحاكمة على الاتجاهات الفنية ، والتي تجعل الفنان يسجل ما يخلد تاريخ الملك وفتوحاته ، والعقيدة التي يوجهها الكهنة من وراء العرش .

وليس ذلك القول من باب الطعن على الفنون المصرية القديمة ، بقدر ما هو إقرار بما نقله التاريخ ، لأن روعة الفن المصري القديم ، ليست بحال البحث ، ولا محور جدال ، فقد سلمت بعظمتها الأجيال المتعاقبة ولكن جهد الفنان مهضوم في ثنايا المدرسة أو الأسلوب الغالب على فن الدولة ، إلا من نوادر وجدت في حفريات بعض المراكز التي اشتهرت بالانتاج الفني ، مراسم الفنانين ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حيث عثر على قطع من الفخار عليها خطوط حرة عن الأثر المدرسى ، ولم تحمل ما ينسبها إلى صاحبها من سمات أو علامات .

ولم تترك هذه الأعمال الفردية أثرها فى الاتجاه الفنى ، بل إن الأعمال التى اتسمت بطابع الحاكم والدولة والأعمال الفردية التى أشرت إليها ، لم تترك أثرا فى المجال الشعبى ، أو كانت من التفاهة بحيث لم يتمكن التاريخ أن يحفظ لنا ما يدل على أن عامة الشعب قد انطبعوا بها وظهرت فى ثنايا حياتهم فنونا شعبية ، عليها أثر انفعال الشعب ، واختصاصه نفسه بلون من ألوانها

بينما يظهر الفرق واضحا ، حينما ننتقل إلى الآثار الباقية من عصر المسيحية ، فإن عامة الناس قد تأثروا بالعقيدة فى هذه المرحلة ، حتى لم يقتصر الانفعال الفنى بالعقيدة على طبقة الحاكم ومن حوله ، بل تخطى الطبقة الراقية إلى عامة الشعب الذى أخذ يختص نفسه « بالأيقونات » وصور العذراء والعائلة المقدسة والقديسين ، بل لقد وجدت صورة العذراء والسيد المسيح على درجات متفاوتة من الإتقان والضعف ، وتغير الملامح ، باختلاف اليد التى رسمت والبيئة التى عاشت فيها هذه الأعمال الفنية .

ويلاحظ أيضا أن أثر العقيدة المسيحية فى الفن الشعبى المصرى لم يتعد المجال الدينى ومطالبه

ولما دخل الإسلام مصر فى أعقاب الحكم الرومانى لم يحاول أن يفرض فنا ولا رأيا ، وإنما ترك كل ما وجده على ما هو عليه ، احتراما لعقيدة الذميين وعاداتهم النابعة من تلك العقيدة .

ولم تمر فترة طويلة حتى انتشر الإسلام بين الشعب ، وأصبح العقيدة السائدة بين أغلبيته ، ومع هذا الانتشار أخذ الأثر العقيدى يظهر فى حياة العامة وعاداتهم ، ويطغى على كل أثر آخر ، وأوضح ما ظهر هذا الأثر فى الفنون .

ولن أبحث فى مصادر إلهام الفنى ولا فى طرزه فى هذه الفترة ، ولا فى اقتباسات الفن الإسلامى من الفنون المعاصرة يومئذ ، ثم استواءه واستقلاله .

ولكن الذى أريد أن أوضحه هو أن اتجاه الفن نزل إلى مستوى العامة ، وطرق مجالات كثيرة غير المجال الدينى ، تداخلت مع كل مطالب الحياة ، وتغلغلت إلى أعماق حياة الشعب .

وقد حفظت المتاحف الكثير من أمثلة هذا التغلغل ، فى كل ضرب من ضروب المتعة أو الحاجة الضرورية من رسوم الخلفاء والحكام وزينة القصور والدور والمساجد إلى حاجات المرأة فى البيت وأدواتها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهذا بالطبع متوقع كأثر من آثار عقيدة انطبعت بها الحياة والبيئة .

ولكن الذى أحب أن ألفت إليه النظر هو انفعال العامة بذلك بدرجة جعلت أثره يظهر فى المواسم والأعياد العامة والخاصة ، فلقد ظهر بين أفراد الشعب ، وفى مختلف الحرف فنانون استغلوا المناسبات الدينية إلى جانب المناسبات العامة فى هذا الانتاج .

فالفنان الشعبى فى مصر قد احتفل منذ ثمانية قرون بالمولد النبوى ، وصنع فى تلك المناسبة الصورة الفنية الساذجة ، ورغم طول القرون فقد بقيت بصورتها إلى العصر الحاضر محتفظة بطابعها ، ولم تتأثر بالحضارة المعاصرة فى أصلها وطابعها المدين ، وإن تأثرت بالنوع .

فالعروس من الحلوى والحصان والمنبر والمسجد ، ما تزال كما كانت ، وإن جد عليها المدفع والجندى والطائرة مع الاحتفاظ بالخصائص الفنية .

والفنان الشعبى قد سجل عودة الحجاج على واجهات المنازل ، وبالغ فى تصويره لمشاق الرحلة على الجمال وفى القوافل ، واستمر يسجل هذه الصورة حتى جاء عصر الباخرة والقطار والطائرة ، فرسم ذلك كله بنفس الساذجة ، ولم ينس أن يضع الجمل إلى جوارها كرمز لأصل الرحلة .

ونفس الفنان هو الذى اتجه بفنه - عندما دعت الحاجة - إلى تسجيل الأفراح وحفلات العروس على جدران بيت العروس بأسلوبه الخالى من احترام الأبعاد وتحقيق المستويات والأعماق .

وهو الذى سجل مغامرات الزناتى ، وأبى زيد الهلالى ، ومعارك عنترة ، ولم ينس الإمام علياً وسيفه ذا الفقار ، وعزيزة ويونس ، وأساطير الشعب التى احتفظ بها الأدب الشعبى عصرة حية على مر العصور ، وقام الفنان الشعبى بواجبه فى تقريب صورتها إلى خيال الشعب .

* * *

لم يخرج الفن الفرعونى إلى عرض الشارع ، بل ظل فى المعبد ، ولكن خرج الفن فى العصور الإسلامية المختلفة ، ولم ينتقل الفن من الخير الدينى وانفعلات المؤمنين بالعقيدة المسيحية فى تلك الفترة من تاريخ الحضارة المصرية .

والفن فى ظل العصور الإسلامية - على الرغم من الفكرة الشائعة عن تحريم الإسلام لأنواع معينة من الفنون - قد خرج إلى مستوى العامة وانبث فى زوايا كثيرة من جوانب الحياة .

وإن كانت بيوت القادة والحكام فى تلك العصور قد حفلت بالكثير من الجهد الفنى

(البقية على صفحة ١٢٤١)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن كتابكم قد لفت أنظاركم إلى الكون وروائعه ...

وقد زكى فيكم إحساس الشعور بالجمال وبدائعه ...

وقد فتح أعينكم على نعم الله عليكم فى أنفسكم وفى دنياكم ...

فاعبدوا الله بالإفادة من نعمه ، والمتعة بطيباته ، والبهجة بالحياة السوية والفطرة المستقيمة وأعلنوا الفرح المقدس بالعيد ، كما أعلنتم « الصبر » المقدس بالصيام ! .

« فأقم وجهك للدين حنيفا ... » .

فطرة الله التى فطر الناس عليها ...

لا تبديل لخلق الله ...

ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

فتحى عثمان

بقية المنشور على صفحة ١٢٢٨

الرفيع فى صورة زخارف أو كتابات أو أنواع من الخزف المسطح على الجدران ، أو الآنية بين خزف ونحاس أو أقمشة وتجاجيد .

فقد وجد الفن مجاله بين العامة وفى بيوتهم على صور وهيآت مختلفة ، ولم تقتصر على مناسبة دينية ، أو مناسبة عامة أو خاصة .

ولم يتحرج الفنان الشعبى أن يحرك صوره ونماذجه ورسومه ، ويحررها من القيود التى أملاها الاتجاه المدرسى لفن الدولة ـ فى الفن الفرعونى ـ أو قيود الوقار الدينى ـ فى الصور المسيحية ـ كما امتاز عمله بتنوع الموضوع وتعدد الاتجاه .

وهذا نرى أن الفن الشعبى لا يكاد يظهر فى العصر الفرعونى ، ويظهر محدوداً بالحيز الدينى فى العصر المسيحى ، وانطلق غير مقيد واضحا متعدد الاتجاهات فى ظل الحضارة الإسلامية .

عبد المجيد وافى

المدرس بمعهد القاهرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عاد الشعر في العالم كما بدأ

بقلم : أحمد حسن الزيات

بدأ الشعر غنائيا في كل أمة تهيأت له بحكم الفطرة وفعل الإقليم . والمراد بالشعر الغنائي ما يقوله الشاعر تعبيرا عن خوالج نفسه ، وتصويرا لمدارك حسه ، وتسجيلا لخواطر ذهنه ، كالغزل والمدح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والعتاب والشكوى مما لا يخرج عن شخص الشاعر ولا يدخل في شأن غيره أما نسبته إلى الغناء فلأنه كان في الدهر الأول ينشد على القيثار في المعابد تسبيحا للآلهة وتأثيرا في الناس ، وكان الكهان وهم الشعراء الأولون يتخيرون لأناشيدهم اللفظ المصون العذب ، والأسلوب الجميل الفخم ، ليكون الكلام الذي يرفع إلى السماء أسمى وأجل من الكلام الذي يقال للأرض .

فلما انتقل الشعراء من المعابد إلى القصور ، ومن مدح الآلهة إلى مدح الملوك ، احتفظوا للشعر بلغته الخاصة وعبارته المختارة وإنشاده الموقع ، فظلوا ينشدونه في المحافل والمجامع بلحون تختلف باختلاف البحور وتتفاوت بتفاوت الحناجر ، وقد سموا الأعشى صناجة العرب لحلاوة صوته وحسن إنشاده . واستمر ذلك دأبهم بعد الجاهلية فكان الشاعر ينشد قصيدته قائما بين يدي الخليفة أو الأمير ، فإذا لم يكن حسن الإنشاد اقتنى غلاما رخيم الصوت ليقوم عنه به . وقد قالوا إن الرشيد كان يطرب للإنشاد أكثر مما كان يطرب للغناء .

ونشأة الشعر في المعبد وصلته بالغناء يتفق فيهما كل شعر في كل أمة ، ولا يزال الأوربيون يقولون كما كان يقول الإغريق والرومان والعرب ، أنشد الشاعر شعره أو غنّاه ، ولا يقولون ألقاه أو أداه .

* * *

ثم انتقل الشعر مرة أخرى من القصر إلى المدينة ، وخرج الشاعر من دنياه إلى دنيا الناس ؛ وكانت الآلهة قد صنعت الخوارق ، والأبطال قد أتوا بالمعجزات ، فنسجت حولهم الأساطير ، واستفاضت عنهم الأحاديث ، وتناقلتها الأفواه جيلا بعد جيل ، فجاء الشعراء فنظموا هذه الوقائع ملاحم وأنشدوها الشعب ليذكروه بأمجاد قومه ويثقفوه بسير أبطاله وهذا هو الشعر القصصي ، ومنه في تاريخ الأدب العالمي : الإلياذة لليونان ، والإينياد للرومان ، وماهابهاراته للهند ، والشاهنامة للفرس ، وسيرة بني هلال للعرب ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والملهاة الإلهية الطليان ، والفردوس المفقود للانجليز ، وهنرياد للفرنسيين .

ثم انتقل الشعر مرة أخيرة من الخيال إلى الواقع ، ومن الكلام إلى الحركة ، ومن المدينة إلى المسرح ، وكان الفكر الإنسانى قد نضج ، والأثر الفلسفى قد شاع ، والنظام الاجتماعى قد تعقد فاتخذ الشعراء ، القصص الشعرى وسيلة للإصلاح بتمثيل أبطال القصة على المسرح وجعلهم يقولون بألسنتهم ويعملون بأيديهم ما رواه القصاص عنهم ، ابتغاء تقوية النفوس المريضة بالعواطف النبيلة والمثل العليا كما فى المأساة ، أو تقويم المعوج من الأخـــلاق والعادات باتخاذ أهلها مضحكة للناس كما فى الملهاة ، وهذا هو الشعر التمثيلى .

فأنت ترى ان الشعر قد تطور فى تاريخ الإنسان أطوارا ثلاثة يتطورها كل شاعر فى ذاته وكل شعب فى مجموعه : وهى الغناء المهدهد فى الطفولة ، والقصص الحماسى فى الشبيبة ، والتمثيل الفلسفى فى الكهولة . ففى الأول يتغنى الشاعر بما يلم به ويتخيله ، وفى الثانى يقص ما يسمعه أو يعمله ، وفى الثالث يصور ما يلحظه ويتمثله . ومنبع الأغانى الوهم والخيال ، ومنبع الحماسة العظمة والجلال ، ومنبع التمثيل الحقيقة والواقع . ومظاهرها فى عمر الخليقه هى التوراه والإلياذة وشكسبير ، ولم يمر الشعر بهذه الأطوار الثلاثة مدفوعا بقوة السليقة جاريا على سنة الطبيعة إلا عند الإغريق لأسباب فطرية وإقليمية ، أما عند الرومان ومن خلفهم من الأمم اللاتينية فلم تتم للشعر هذه الأطوار إلا بتقليد الإغريق والأخذ عنهم .

* * *

أما الشعر القصصى وهو يقوم على الأعاجيب والأكاذيب والخوارق فقد كان له بلاغه فى العقول ومساغه فى الأذواق حين كان الناس لا يزالون يعيشون للحرب والحب ، ويفتنون بالبطولة والقـــوة ، ويصدقون بالهواتف والرؤى ، ويؤمنون بالكهانة والسحر ، ويعتقدون فى الأبطال والملوك . فلما قوى العقل واستبصر الفكر وكشف العلم للإنسان الحديث خبايا الكون وأسرار الطبيعة ، فلم تعـــد التهاويل تروعه ، ولا الأباطيل تخدعه ، مج ذوقه هذا الضرب من الشعر واكتفى منه بالمأثور عن الأقدمين يقرأه على اعتباره صوراً لعصور تقضت ومشاعر لأمم خلت ، وأصبح من العسير على الشاعر القصصى أن يوفق بين الملحمة المبنية على الخوارق والوهم ، وعقلية العصر القائمة على الوقائع والعلم .

* * *

وأما الشعر التمثيلى ، وهو شعر الأناقة والترف . فقد كان له فى أوربا نفاق وإشراق أيام كان المسرح للخواص ، لا يشهده إلا الملوك والنبلاء والقادة . وهؤلاء قد فرض عليهم نظام الفروسية فى تلك العصور أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يجمعوا بين أدب السيف وأدب اللسان ، فكانوا يتفاصحون فى الحديث ويتفاخرون بالأدب ويتنافسون فى الشعر ، وأصبح ذلك بدع العصر وهوايته . وفى القرن السابع عشر اشتد التشدق بالفصاحة حتى أصاب جماعة من النساء سخر موليير من حذلقتهن فى ملهاتين من ملاهيه وهما (النساء العالمات) والمتفاصحات.

واستمر إشراق الشعر المسرحى ونفاقه حتى أقبل القرن العشرون وكانت الديمقراطية قد غلبت على المسرح ، والواقعية قد هيمنت على الأدب ، وكان المسرحيون قد فطنوا أخيراً إلى أن شرط الإمكانية فى الشعر المسرحى مفقود ، وأن الناس الذين يمثلونهم أو يمثلون لهم لم يكونوا فى الواقع يتحاورون بالشعر ولا يتجادلون بالمجاز ، وأنهم يكلفون أوساط المثقفين أو أنصافهم شططا بتتبع السياق القصصى بين أوزان الشعر وقوافيه ، وفى غموض لغة الشاعر وتراكيبه . فاقتصدوا فى تغليب أدب الخاصة على أدب العامة ، وقصدوا إلى تقريب لغة المسرح من لغة الحياة ، فانكفأ الشعر التمثيلى عن المسارح وانزوى فى المتحف الأدبى بجانب الشعر القصصى ينتظر من يخرجه إلى الأدب لا إلى المسرح ، وينشره للقراءة لا للتمثيل .

ولقد جاء دور الأدب العربى فى الشعر المسرحى بعد أن مضى زمنه واضمحل شأنه ، فلم تجد مسرحيات شوقى ولا روايات أباظة شعب أسخيلوس وسوفكليس ، ولا جمهور راسين وشكسبير ، وإنما وجدت جمهوراً خاصته الواقعية وعامته للأمية ، فلم يفهم مرامى البيان فى القصحى ، ولم يدرك أسرار الجمال فى الشعر ، فخرج من مشاهدتها غائب الرأى والوعى لا يدرى على وجه اليقين أى شىء رأى ولا أى كلام سمع !

إذن لم يبق فى العالم من تراث « أبولون » إلا الشعر الغنائى ، وهو فيض الوجدان ، وعبير الروح ، وأحلام النفس ، وأنغام القلب ، وحداء البشرية المرفه فى طريق الحياة الوعر ، صفا من شوائب البهيمية فى العصور الطاغية كالمدح الكاذب والهجاء الفاحش والغزل الشاذ ، ثم خلص للتأملات والوجدانيات والوطنيات والأغانى والأناشيد ، وهى علة وجوده وسر دوامه .

وهذا النوع من الشعر هو كما قلت أصل الأنواع الأخرى ، فجذوره ضاربة فى أعماق الأزل ، وفروعه ممتدة فى آفاق الأبد . فهو باق أبداً لأن البواعث التى تستدعيه لا تنقضى ، وهو جديد أبدا لأن العواطف التى تغذيه لا تتقادم .

سيبقى ما دام للشاعر قلب ووجدان ، وسينشد ما دام للمغنى صوت وألحان ، وسيسمع ما دام فى الإنسان نزوع إلى مثل وطموح إلى أمل ! .

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفردات قرآنية :

مادة الأمن في القرآن

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٢ —

جاءت مادة « الأمن » في القرآن الكريم مرات كثيرة ، وتستعمل أحيانا بمعنى الأمن الذي هو ضد الخوف ، وأحيانا تأتي من المادة مشتقات تدل على الأمانة ، وأحيانا تأتي منها مشتقات تدل على الإيمان ، وقد تحدثنا عن « الأمن » من قبل ، ونواصل الحديث عن الأمانة والإيمان .

وردت لفظة الأمانة في طائفة من الآيات ، كقوله تعالى : « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته » وقوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » وقوله : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » وقوله : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

والأمانة - كما تقول المعجمات - ضد الخيانة ، « والخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الأمانة فيه »[1] . ورجل أُمَنَة - بضم ففتح - أي الذي يأمنه كل أحد في كل شيء[2] .

وقد وردت كلمة « الأمانة » في آية كريمة فشغلت المفسرين أكثر من مثلها في آيات أخرى ، وهذه الآية هي قول الله تعالى في سورة الأحزاب : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » .

تعددت الأقوال في بيان المراد من « الأمانة » هنا فقال الراغب الأصفهاني : « قيل هي كلمة التوحيد ، وقيل العدالة ، وقيل حروف التهجي ، وقيل العقل ، وهو صحيح ، فإن العقل هو الذي لحصوله تتحصل معرفة التوحيد ، وتجري العدالة ، وتعلم حروف التهجي ، بل لحصوله تعلم كل ما في طوق البشر تعلمه ، وفعل ما في طوقهم من الجميل فعله ، وبه فضل (الإنسان) على كثير ممن خلقه »[1] .

فالراغب بعد أن يورد أقوالا في معنى الأمانة ، يختار معنى العقل ، ويحاول أن يرجع إليه بقية المعاني ببيان كونها داخلة فيه أو راجعة إليه .

---

(١) كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، ص ٣٦٥ .

(٢) أبو حيان ، المحيط ، ج ٤ ص ١٩٧٨ .

(١) مفردات القرآن للراغب ، ص ٣٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد روى - كما فى اللسان - عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قالا : الأمانة ها هنا الفرائض التى افترضها الله على عباده ، وقال ابن عمر : عرضت على آدم الطاعة والمعصية ، وعُرف ثواب الطاعة وعقاب المعصية . ثم جاء فى اللسان : « والذى عندى فيه أن الأمانة ها هنا النية التى يعتقدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان ، ويؤديه من جميع الفرائض فى الظاهر ، لأن الله عز وجل ائتمنه عليها ، ولم يظهر عليها أحدا من خلقه ، فمن أضمر من التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة . ومن أضمر التكذيب وهو مصدق باللسان فى الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدها ، وكل من خان فيما ؤتمن عليه فهو حامل ، والإنسان فى قوله : (وحملها الإنسان) هو الكافر الشاك الذى لا يصدق ، وهو الظلوم الجهول ، يدلك على ذلك قوله : (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما) [1] .

وكأن المراد هنا أن يجعل الأمانة هى مطابقة الاعتقاد الداخلى للعمل الظاهرى والنطق اللسانى ، وكأنه يجعل الأمانة ضدا للنفاق ، وإذا كان الفيروزابادى يذكر فى القاموس أن المراد بالأمانة فى الآية « الفرائض المفروضة » فإنه ينتقل بعد ذلك إلى ذكر ما يؤيد صاحب اللسان ، فيقول : « أو النية التى يعتقدها فيما يظهره باللسان من الإيمان ، ويؤديه من جميع الفرائض فى الظاهر ، لأن الله تعالى ائتمنه عليها ، ولم يظهرها لأحد من خلقه ، فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة » [1] .

وقد نستطيع أن نلحظ الارتباط بين معنى « الأمن » ومعنى « الأمانة » ، لأن الأمانة توجد أمنا عند صاحبها ، لأنه يستقر بأمانته ومطابقة باطنه لظاهره ، وموافقة اعتقاده لعمله وقوله ، فلا يكون منافقا قلقا مذبذبا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . فيتحقق له الأمن والاطمئنان ، ويزول عنه الخوف الناشئ من القلق والنفاق والتلون ؛ وكذلك يأمن الناس الذى تحلى بالأمانة وحفظ الأمانات ، لأن الأمانة صفة تظهر آثارها فى حفظ الأمانات ، وهى الأشياء الذى يؤتمن عليها : مادية كانت أو معنوية ؛ [2] وفى الحديث : « لا إيمان لمن لا أمانة له » .

---

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٤ طبعة بيروت .

(١) القاموس ، ج ٤ ص ١٩٧ .

(٢) من أنواع الأمانة أمانة المجالس ، فى الحديث « المجالس بالأمانة » وهذا ندب إلى ترك إذاعة ما يجرى فى المجلس من قول أو فعل ، فكأن هذا أمانة عند من سمعه أو رآه . انظر النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٤٥ واللسان ، ج ١٣ ص ٢٢ . طبعة بيروت .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن مادة « الأمانة » جاءت كلمة « الأمين » فى طائفة من الآيات ، كقوله تعالى : « أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين » ، وقوله : « إن خير من استأجرت القوى الأمين » ، وقوله : « إنك اليوم لدينا مكين أمين » ، وقوله أكثر من مرة فى سورة الشعراء : « إنى لكم رسول أمين » .

والأمين هنا الذى لايخون ولا يخدع ، ومعنى : « وأنا لكم ناصح أمين » : أى عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة ، فما حق ان تتهمونى ، أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه ، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه (١) .

وقد وصف جبريل بوصف الأمين ، يقول القرآن : « نزل به الروح الأمين » ، ويقول : « مطاع ثم أمين » ، وجبريل هو أمين الله على وحيه ، وسفيره إلى أنبيائه ورسله . وقد وصف مكان المتقين بالأمين فى قوله : « إن المتقين فى مقام أمين » ، أى أمنوا فيه من السوء والتعب والألم ، كما وصفت مكة بالبلد الأمين فى قوله : « وهذا البلد الأمين » أى الآمن .

وقد يجوز وصف الله سبحانه بوصف « الأمين » : روى الأزهرى عن حميد ابن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة فى قوله تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة » قال : غشى على عبد الرحمن بن عوف غشية ظنوا أن نفسه خرجت فيها ، فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد تستعين بما أمرت أن تستعين به من الصبر والصلاة ، فلما أفاق قال : أغشى على ؟ قالوا : نعم ، قال : صدقتم ، إنه أتانى ملكان فى غشيتى ، فقالا . انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين . فانطلقا بى فلقيهما ملك آخر ، فقال : وأين تريدان به ؟ قالا : نحاكمه إلى العزيز الأمين . قال : فأرجعاه ، فإن هذا ممن كتب الله لهم السعادة ، وهم فى بطون أمهاتهم ، وسيمتع الله به نبيه ما شاء الله ! . فعاش شهراً ثم مات ! (١) .

ويكون معنى الأمين هنا هو القوى ، إذ من معانى الأمين فى كتب اللغة القوى (٢) ، وقد يقوى هذا ورود كلمة « الأمين » مع كلمة « العزيز » فى القصة السابقة .

* * *

ومن أصل مادة « الأمن » جاءت كلمة « الإيمان » التى وردت فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى : « ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » ، وقوله : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » ، وقوله :

---

(١) الكشاف للزمخشرى ، ج ٢ ص ٦٩ .

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٧ .

(٢) انظر مثلا القاموس ج ٤ ص ١٩٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » وقوله « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم » وورد قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا » عشرات المرات فى القرآن المجيد . . الخ .

وفى القاموس أن الإيمان هو الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة [1] : وحدد الزجاج الإيمان بقوله : الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ، ولما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتقاده وتصديقه بالقلب فمن كان على هـــذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك ، وهو الذى يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله فى ذلك ريب [2] .

وقال الأزهرى : اتفق العلماء على أن الايمان هو التصديق ، قال تعالى « وما أنت بمؤمن لنا » أى ما أنت بمصدق لنا ، وتقول العرب : (ما أمنت أن أجد صحابة) أى ما وثقت ، فالإيمان هو الثقة والتصديق ، وقال الله تعالى : « الذين آمنوا بآياتنا » أى صدقوا بها ووثقوا فيها [3] . ومن الواضح أن التصديق اطمئنان واستقرار ، وأن الثقة اطمئنان واستقرار ، فارتباط الإيمان بالأمن واضح ظاهر .

(١) المرجع السابق .
(٢) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٣ .
(٣) تفسير الطبرسى ، ج ١ ص ٣٧ .

ويقول الطبرسى عن الإيمان [1] : « أما فى الشريعة فالإيمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى وأنبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار » .

ويعبر ابن قتيبة عن إيمان العبد بالله بأنه تصديقه قولا وعملا وعقداً ، فالعبد مؤمن أى مصدق ، والله سبحانه وتعالى مؤمن ، أى مصدق ما وعده ، أى محققة ، أو هو قابل لإيمانه [2] .

وقد ذكر بعض الأئمة أن الإيمان أنواع فمن الإيمان تصديق باللسان دون القلب ، كإيمان المنافقين ، يقول الله تعالى : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا » أى آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم ، كما كان من الإسلام انقياد باللسان دون القلب ، ومن الإيمان تصديق باللسان والقلب ، يقول الله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » كما كان من الإسلام انقياد باللسان والقلب .

ومن الإيمان تصديق ببعض وتكذيب ببعض ، قال الله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » يعنى مشركى العرب ، إن سألتهم من خلقهم قالوا : الله ، وهم مع ذلك يجعلون له شركاء ، وأهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل والكتب ويكفرون ببعض

(١) المرجع السابق .
(٢) تفسير غريب القرآن ، ص ١٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال الله تعالى : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » يعنى إيمانهم ببعض الرسل والكتب ، إذ لم يؤمنوا بهم كلهم [١] .

والإيمان استعمالات يشير إليها الراغب ، فيستعمل تارة إسما للشريعة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، ويوصف به كل من دخل فى شريعته مقراً بالله وبنبوة محمد وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء ، تحقيق بالقلب وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، ويقال لكل من الاعتقاد ، والقول الصدق والعمل الصالح إيمان ، ويزداد اهتمامنا هنا بقول الراغب فى حديثه عن الإيمان : « إلا أن الإيمان هو التصديق الذى معه أمن [٢] لأن هذا يؤكد ارتباط معنى الإيمان بمعنى الأمن. كما أن الإيمان يرتبط بالأمانة ، لأن « الأمل فى الإيمان كما يقول ابن منظور فى اللسان — الدخول فى صدق الأمانة التى ائتمنه الله عليها فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه ، فقد أدى الأمانة ، وهو مؤمن ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد الأمانة التى ائتمنه الله عليها ، وهو منافق ، ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب ، فإنه لا يخلو من وجهين : أحدهما أن يكون منافقا ينضح عن المنافقين تأييدا لهم ، أو يكون جاهلا لا يعلم ما يقال له ، أخرجه الجهل واللجاج إلى عناد الحق ، وترك قبول الصواب ، أعاذنا الله من هذه الصفة وجعلنا ممن علم فاستعمل ما علم ، جهل فتعلم ممن علم ، وسلمنا من آفات أهل الزيغ والبدع ، بمنه وكرمه » [١] .

وقد تحدث العلماء كثيراً عن شمول الإيمان للعمل ، وقال الطبرسى : قد روى الخاص والعام عن على بن موسى الرضى عليه السلام أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان ، وقد روى ذلك على لفظ آخر عنه أيضا : الإيمان قول مقول وعمل معمول ، وعرفان بالعقول ، واتباع الرسول [٢] ! :

وفى أسماء الله تعالى « المؤمن » كما جاء فى القرآن وهو الذى يصدق عباده وعده ، فهو من الإيمان بمعنى التصديق ، أو هو الذى يؤمنهم فى القيامة من عذابه ، فيكون من الأمان والأمن [٣] . وقال بعض أهل العلم : إن

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٧ .

(٢) مفردات القرآن ص ٣٥ .

(١) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٣ .

(٢) تفسير الطبرسى ، ج ١ ص ٣٨ .

(٣) النهاية لابن الأثير ، ١ ص ٤٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المؤمن فى صفات الله تعالى هو أن يصدق ماوعد عبده من الثواب ، وقال آخرون : هو مؤمن لأوليائه يؤمنهم عذابه ولا يظلمهم [١] وقال ابن قتيبه فيما يتعلق بوصف العبد بصفة المؤمن : « وقد يكون المؤمن من الأمان ، أى لا يأمن إلا من أمّنه الله [٢] ، فالعبد يصدق ربه فيأمن بتصديقه ، والله يصدق عبده فى هذا الإيمان فيمن عليه بالأمان :

وقد يراد المؤمن الشخص الأمين الذى يأمنه الناس ، ففى الحديث عن ابن عمر قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من المهاجر ؟ . فقال النبي من هجر السيئات . قال : فمن المؤمن ؟ قال : من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . قال : فمن المسلم ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده . قال فمن المجاهد ؟ قال : من جاهد نفسه [٣] .

ومن هذه النصوص والشواهد المتواكبة المتعاقبة نشهد ترابط الفروع الثلاثة لمادة الألف والميم والنون ، وهذه هى الأمن ضد الخوف ، والأمانة ضد الخيانة ، والإيمان ضد التكذيب .

أما بعد فقد قال ابن عباس : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى « آمين » فقال افعل [١] ، وهذا كما يقول ابن فارس : يعود إلى معنى مادة « أمن » الثانى وهو التصديق ، لأنه متى استجاب الله للدعاء وحققه فقد صدقه فهناك تصديق للدعاء بالتحقيق له من الله سبحانه ، ولذلك قال الترمذى : إن معنى آمين : لا تخيب رجاءنا ، وقال جعفر الصادق فى تأويل آمين : قاصدين نحوك ، وأنت أكرم من أن تخيب قاصدا : وقال أبو إسحاق : معناها : اللهم استجب ! . .

ونعود فنردد بالدعاء قائلين : اللهم لا تخيب رجاءنا ، اللهم آمين ! .

أحمد الشرباصى

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ص ١٣٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ١٠ .

(٣) لسان العرب ، ج ١٣ ص ٢٤ .

(١) تهذيب الأسماء للنوى ، ج ١ ص ١٢ . ونحن نتعرض لكلمة (آمين) لأنها فى الظاهر من مادة « الأمن » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بمناسبة العيد :

مباهج الحياة .. في نظر الإسلام

للأستاذ فتحي عثمان

يردف الإسلام صيام رمضان ـ عيد الدستور في الإسلام ـ بعيد الفطر . . .

ويردف الإسلام أيام الحج في ذي الحجة ـ عيد الوحدة في الإسلام ـ بعيد النحر . . .

وينظر الإسلام إلى هذا وذاك على أنه عيد .

عيد فيه معنى البهجة والفرحة ، واللعب واللهو البريء . . . وإشارة النص إلى أن هذين العيدين بديلان أفضل وأخير ليومين كان العرب « يلعبون » فيهما في الجاهلية . . . إشارة النص إلى هذا لا تخلو من دلالة معبرة ! !

وهكذا تتعانق شعائر الصيام والحج والتبتل ، مع شعائر الفرح والمرح . . .

إن الحياة في الإسلام سوية مستقيمة . . . ليس فيها نسك الأعاجم ، وعبوس المتزمتين ، وإضناء الجسد بدعوى ترقية الروح . . .

الحياة في الإسلام متكاملة . . .

ترضي الجسد والروح ، وتستوعب الجد واللهو ، وتستكمل الحاجات والأشواق ، وتستجيب لضغط الضرورة ودواعي الزينة والجمال والكمال !

* * *

في القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :

« والخيل والبغال والحمير ، لتركبوها . . . وزينة » ! !

وفي القرآن الكريم . نقرأ قول الله :

« يا بني آدم . . . خذوا زينتكم ، عند كل مسجد » ! !

وفي القرآن الكريم ، نقرأ قول الله :

« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ! !

وفي القرآن الكريم ، نقرأ أن نبيا صالحا من أنبياء الله رضي أن يرسل ابنه الحبيب ـ الذي هو بدوره نبي كريم ـ ليلهو ويلعب :

« أرسله معنا غدا . . . يرتع ويلعب . . . وإنا له لحافظون » ! !

فالإسلام لا يصادر مباهج الحياة ، ولا يحرم طيبات ما أحل الله . . .

والإسلام لا يعرف التقوى المرهقة القاسية :

إنه يفرض الوضوء طهارة ونظافة . . .

ثم يردف الحكم بالحكمة . . . « . . . ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويفرض الصلاة ... ثم يردف الشعيرة ببيان الغاية ، وأقم الصلاة ... إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون » .

ويفرض الصيام ... ثم يقرر أن الأصل هو التيسير « ... يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » .

وأحكام الإسلام ... تختار صاحب « الصوت الجميل » للأذان ، وتفضل « الأحسن وجها » على غيره ممن تتوافر فيهم شروط الإمامة فى الصلاة ! !

* * *

تحدث الإمام الجليل ابن حزم عن سماع الألحان والغناء ، فكان له رأيه الجليل المشهور ، وقد قرر أن « بيع المزامير والعيدان ، والمعازف والطنابير - حلال كله ، ومن كسر شيئا ضمنه ... » !!

وهو يناقش مدلول اللهو الذى ذمه القرآن ، ويقرر أن اللهو فى الأصل مباح ، فيقول فى معرض مناقشة الآية القرآنية الكريمة « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين » .

« ... هذه صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف ، إذ اتخذ سبيل الله تعالى هزوا ، ولو أن امرءا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله تعالى ويتخذها هزوا — فهذا هو الذى ذم الله تعالى ، وما ذم قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليلهى به ويروح نفسه ، لا ليضل عن سبيل الله تعالى ...

فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله تعالى فهو فاسق ، وكذلك كل شئ غير الغناء ! ! ومن نوى ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع ، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه ... كخروج الإنسان إلى مشيانه متنزها ، وقعوده على باب داره متفرجا ، وصباغة ثوبه لا زورديا أو أخضر أو غير ذلك ، ومد ساقه وقبضها ، وسائر أفعاله ... ! ! » .

وروى فى حياة رسول الله ... أتقى الخلق لله وأعبدهم له ، هذه الروائع : فى الصحيحين عن عروة بن الزبير عن عائشة قال : دخل على رسول الله فى يوم عيد ، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه . فدخل أبو بكر فانتهرنى وقال لى : أمزمار الشيطان عند رسول الله ؟ فأقبل عليه رسول الله فقال دعهما ... وعلق ابن حزم على هذا الحديث « فصح أن الغناء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مباح مطلق لا كراهية فيه ، وأن من أنكره فقد أخطأ بلا شك ، ! !

وهو يروى أيضا من طريق مسلم عن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة ، قالت : جاء حبش يزفنون (أى يرقصون) فى يوم عيد فى المسجد ، فدعانى النبى حتى وضعت رأسى على منكبه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التى انصرفت عن النظر ! !

ودلالة هذه النصوص واضحة . . .

والذى يعنينا من رأى ابن حزم بصفة خاصة فى هـــذا المقام ، نظرته إلى اللهو ، وتصنيفه لأنواعه وحكم هذه الأنواع ما بين الحل والحرمة .. فأيا كان رأيه فى السماع ، فإن فى تفرقته بين اللهو المباح واللهو المحرم ، وتقريره الأصل فى الإباحة ، انتصاراً للفطرة ، وإبرازاً لروعة أحكام الإسلام ، ودلالة على حسن الفقه فى دين الله !

* * *

وتأتى الأعياد فى الإسلام . . . تقريراً وتوكيداً لبهجة الحياة ! فيها يأخذ المسلمون زينتهم ... ويملئون بهجتهم ! . وفيها يتجمعون... ويتزاورون! . وفيها يفرحون... ويمرحون ! ! .

وهذه البهجة فى العيد مقدسة بأمر الله . . كما أن الصوم فريضة بأمر الله ، وكما أن الجد فى مواضعه مطلوب بشرع الله ! .

والصيام يوم العيد حرام ...

واستثارة الأحزان يوم العيد حرام ...

إن الله يُعبد بإشاعة الفرح والسرور ، كما يُعبد بالجد فى معالى الأمور ! .

ولكن المسلمين غفلوا عن هـذه الصورة البهيجة فى دينهم ، ففقدت حياتهم ، وغدا الناس يرون أنفسهم بين أمرين : حياة كالحة ثقيلة باسم الدين ، أو حياة منطلقة معربدة تتحلل من كل القيم ! .

ولو أنصف دعاة الدين فى عرض دينهم .. لعرضوه متكاملا ، وأبرزوا وفاقه مع الفطرة والحياة ...

إن عبد الرحمن الكواكبى يبرز آفة التزمت والتشدد ويحذر منها فى كتابه « أم القرى » : « ... وهكذا بالتمادى عظم التشديد فى الدين ، حتى صار إصرا وأغلالا ... فكأننا لم نقبل ما من الله به علينا من التخفيف ، فوضع عنا ما كان على غيرنا من ثقيل التكليف ... « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » ـ فإذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من الحدود ، فما معنى نظرنا الفضيلة فى المزيد ؟ .

أيها المؤمنون :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن كتابكم قد لفت أنظاركم إلى الكون وروائعه ...

وقد زكى فيكم إحساس الشعور بالجمال وبدائعه ...

وقد فتح أعينكم على نعم الله عليكم فى أنفسكم وفى دنياكم ...

فاعبدوا الله بالإفادة من نعمه ، والمتعة بطيباته ، والبهجة بالحياة السوية والفطرة المستقيمة وأعلنوا الفرح المقدس بالعيد ، كما أعلنتم « الصبر » المقدس بالصيام ! .

« فأقم وجهك للدين حنيفا ... » .

فطرة الله التى فطر الناس عليها ...

لا تبديل لخلق الله ...

ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

فتحى عثمان

بقية المنشور على صفحة ١٢٢٨

الرفيع فى صورة زخارف أو كتابات أو أنواع من الخزف المسطح على الجدران ، أو الآنية بين خزف ونحاس أو أقمشة وتجاجيد .

فقد وجد الفن مجاله بين العامة وفى بيوتهم على صور وهيآت مختلفة ، ولم تقتصر على مناسبة دينية ، أو مناسبة عامة أو خاصة .

ولم يتحرج الفنان الشعبى أن يحرك صوره ونماذجه ورسومه ، ويحررها من القيود التى أملاها الاتجاه المدرسى لفن الدولة ـ فى الفن الفرعونى ـ أو قيود الوقار الدينى ـ فى الصور المسيحية ـ كما امتاز عمله بتنوع الموضوع وتعدد الاتجاه .

وهذا نرى أن الفن الشعبى لا يكاد يظهر فى العصر الفرعونى ، ويظهر محدوداً بالحيز الدينى فى العصر المسيحى ، وانطلق غير مقيد واضحا متعدد الاتجاهات فى ظل الحضارة الإسلامية .

عبد المجيد وافى

المدرس بمعهد القاهرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ابتداء القراءة بالبسملة في غير أوائل السور

للأستاذ الحسيني عبد المجيد هاشم

دعاني إلى الكتابة في هذا الموضوع ما نشر على صفحات مجلة الأزهر الغراء في العدد الماضي تحت عنوان « قراءة القرآن من أواسط سوره » وهو بحث قرآني يدور حول رياض القرآن الكريم فعلينا أن نتحرى فيه الدقة الفائقة والاستقصاء التام والدراسة الواعية وأن نتناول الموضوع الديني من جميع أقطاره حتى يبدو على مرآة البحث مقنعا كاملا واضح المعالم خاصة إذا ترتب على نتيجة البحث حكم عملي يهم المسلمين في أنحاء العالم كله .

ذكر الكاتب أدلة المثبتين للتسمية قبل تلاوة القرآن في غير أوائل السور وخرج الحديث الداعي للتسمية « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » وبين درجة الإسناد فيه وأنه لم يصل إلى درجة التواتر والشهرة .

ثم ذكر هلام اعتمد الصوماليون في طريقتهم من الاستعاذة ثم القراءة مباشرة من غير التسمية بخلاف المصريين فاعتدى إلى الدليل القاطع الذي سماه نصا في الدلالة على عدم التسمية في غير أوائل السور .

« فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » فهذا في معرض البيان لأسلوب البداءة حين القراءة يعني الحصر في الاستعاذة والاقتصار عليها دون التسمية إذ من المقرر في علم الأصول « أن الاقتصاد في مقام البيان يفيد الحصر » فزيادة التسمية زيادة على نص قرآني والزيادة على النص القرآني نسخ والنسخ لا يجوز إلا بمتواتر أو مشهور ولولا هذا النص لكان رأي القائلين بالتسمية سائغا .

وأقول إن من القواعد المقررة في علم الأصول « الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال » .

وقد قال بعض العلماء « إن منطوق الآية من غير تأويل يقتضي القول بالاستعاذة بعد القراءة » وهذا طبعا يخرج المقام عن أنه مقام ابتداء للقراءة ومهما قيل في هذا الرأي فهو احتمال يتمشى مع النظم القرآني والمعنى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بعد قراءة حتى لا يوسوس لك الشيطان بعدم الفائدة من قراءتك .

وعلى رأي أكثر العلماء من أن المقام هو الابتداء أي إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ الخ : فهنا يتحتم علينا أن نبحث الفرق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الاستعاذة والتسمية فمن المعلوم أن الاستعاذة بالاتفاق ليست بقرآن أما بسم الله الرحمن الرحيم فالاجماع على أنها آية من سورة النمل وهي آية من كل سورة عند ابن المبارك وهي في الفاتحة آية عند الشافعي ، وفي أحد قوليه أنها آية من كل سورة وأما مالك فقال ليست بآية لا في الفاتحة ولا في غيرها — وما دام الاجماع منعقداً على أنها آية من سورة النمل بالاتفاق فهي على أي حال آية قرآنية في أوائل السور وفي غيرها ، وإنما الخلاف ينصب على أنها هل تعد ضمن آيات كل سورة أو هي آية واحدة في القرآن توجت بها رؤوس السور فلا تعد إلا ضمن آيات النمل — بعد كل ذلك نقول : وإذا ثبت أنها آية قرآنية فلا يقال لم اقتصر النص القرآني في الآية على الاستعاذة ولم تذكر التسمية لأن معنى الآية فإذا قرأت القرآن الصادق بالتسمية وبما يماثلها من آيات قرآنية فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

وأظن بعد ذلك أننا لسنا أمام نص قرآني قاطع بعدم التسمية وأننا معافون من النتائج المترتبة على معارضة النص وبناء على ذلك من الممكن أن تكون أدلة المثبتين سائغة .

وإذا كانت الحكمة الداعية للاستعاذة قطع وساوس الشيطان والهواجس النفسية التي تتزاحم على رأس القارىء إبان التلاوة فلتكن هي الحكمة في القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ، ولعل اتحاد الحكمة هو ماجعل ابن القاسم رحمه الله يقول إن الاستعاذة « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم (١) » .

وإذا كانت الاستعاذة خصوصية في ابتداء التلاوة للأمر بها في الآية كما جعل التكبير خصوصية في افتتاح الصلاة فما المانع أيضا أن تجعل البسملة خصوصية في كل افتتاح للتلاوة قياسا على أوائل السور المجمع على كتابتها في أوائلها وقراءتها فيها تيمنا وبركة واتباعا وقسما .

وإذا كانت البسملة مطلوبة في أول الأفعال بالنص القرآني كالنحر وركوب البحر فقد قال تعالى في النحر فكلوا مما ذكر اسم الله عليه . وفسر اسم الله ببسم الله الرحمن الرحيم، أليس من حقنا أن نفسر اقرأ باسم ربك : اقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم . ونستأنس بما لهذه الآية من منزلة ومكانة عن البدء بها في أول كل سورة عدا براءة لأنها متممة لسورة الأنفال أو لأنها سورة السيف .

واستحضر معي قصة سفينة نوح وهي تحمل المعمرين إلى الدنيا أنه أمر جليل . فإذا ذكرت التسمية « وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها » فإذا طلبت في بدء الأفعال فقراءة القرآن من اي نقطة أولى وأجل ، وهذا يوافق معنى الحديث : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع .

(١) أنظر سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٣٩ وسنن أبي داود ج ١ ص ٧٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإذا استعرضنا المناسبة التى ذكرت فيها بسم الله الرحمن الرحيم فى سورة النمل نجد ملكة سبأ تحكى لأشراف قومها مضمون كتاب سيدنا سليمان ، وقد بدىء بالتسمية « قالت يأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم » مكرم مختوم ، ولم نذكر صورة الكتاب ، وإنما اقتصرت على ما فيه الفائدة ، لشدة معرفتها وبلاغتها « إنه من سليمان » المرسل سليمان « وإنه » أى مضمونه الآتى « بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين » حكاية الله لنا أن سليمان ابتدأ كتابه للملكة ببسم الله وذكر الله لنا ذلك فى وسط السورة وبين ثنايا الآيات ، أليس فى ذلك ما يطمئننا حينما نقرؤها فى ابتداء الآيات ويجعلنا نحلى بها جيد كل ابتداء للتلاوة .

وانظر معى إلى مناسبة آية الاستعاذة مما قبلها من آيات : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » نجد أن حكمة التفريع على ما قبلها كما ذكرت التفاسير أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال فطلب الاستعاذة عند قراءته ليحفظ من الضياع المترتب على وساوس الشيطان ، والمعنى إذا علمت مما تقدم أن أعظم الجزاء لمحاسن الأعمال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذى هو أحسن الأعمال وأزكاها . وبناء على ذلك نقول : إذا ثبتت التسمية فى بدء الأعمال كما تقدم ، فإن أزكى الأعمال البدء فى التلاوة سواء من أوائل السور أو من غير أوائلها مما جعلته بدءاً لقراءتك ما دامت القراءة من غير أوائل السور جائزة ومن أحسن الأعمال .

وبعد فما أوردنا نستطيع أن نقول : حتى لو أسقطنا من حسابنا الاستدلال بالأحاديث الداعية للتسمية وقول الكثير من العلماء والقراء .

إن البسملة فى غير أوائل السور ليست معارضة لنص قرآنى ، وإن البسملة بعد الاستعاذة فى غير أوائل السور أشبه مايكون بالحق وأقرب إلى الصواب اليمن والبركة ، والقياس على ما علمنا من الأعمال والقياس على أوائل السور .

وعلى القراء أن يصدحوا بها وهم مطمئنون فهى آية أمام الآيات لها ميزتها الخاصة مما جعلها تتكرر فى بدء كل سورة ، ولا لوم إذاً على من لم ينكرها من العلماء الأزهريين طوال هذه السنين ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أصالة الفقه الإسلامي

للأستاذ علي العماري

كتب أحد العلماء بحثا في صحيفة يومية جاء فيه فقرة عن الفقه الإسلامي يقول فيها :

« وهناك طريق آخر تسربت منه هذه الفتوى التقليدية - يريد الحكم بقتل المرتد عن الإسلام - وأعني به طريق تقاليد الدولة البيزنطية المسيحية التي تأثر بها المسلمون وفقهاؤهم في العصر العباسي . وقد كانت هذه التقاليد ، وما زالت تقضي بقتل المسيحي إذا هو غير دينه كما حقق ذلك العلامة (آدم متز) ص ٥٦ من كتابه الجليل (الحضارة الإسلامية) » .

وهذه شنشنة نعرفها من أخزم ؛ فالمستشرقون يحاولون جاهدين أن يسلبوا أسلافنا كل فضيلة ، وأن يشككوا في تراثنا كله ، والمستغربون وأشباههم من أبناء أمتنا يريدون أن يتشبهوا أن لم يكونوا مثلهم ، وعند هؤلاء وهؤلاء أن العرب أضيق أفقا ، وأضعف عقولا من أن يدونوا علما ، أو يقعدوا قواعد ، ولو كان لهذا العلم أصوله النازلة من السماء .

فالبلاغة من أرسطو ، وشيخ البلاغيين عبد القاهر قد أنفق جهداً صادقا خصبا في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول ، ولم يكن عندما وضع في القرن الخامس كتاب (أسرار البلاغة) المعتبر غرة البيان العربي إلا فيلسوفا يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه ، فالبيان العربي في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا ، وبالبيان اليوناني أخيراً ، وإذاً لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان .

هكذا يقول شيخ المستغربين ، فهو لم يكتف بتأثر البلاغة العربية في طور من أطوارها بالبيان اليوناني ، بل جعلها وثيقة الصلة بهذا البيان في جميع أطوارها ، فليس من علماء العرب أحد تكلم في البيان منذ بدأ العرب يتكلمون إلا وهو دارس للفلسفة اليونانية ، هكذا ... والشيخ عبد القاهر لم يكن له أي فضل إلا أنه بذل جهداً صادقا في شرح أرسطو ، فأسرار البلاغة قبس من فلسفة أرسطو ، ودلائل الإعجاز لا يسع من يقرؤه إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو .

وماذا بقي بعد ذلك لإمام البلاغيين ؟ بقي له التوفيق الذي يدعو إلى الإعجاب في محاولته هذه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والنحو العربى كذلك ليس من وضع سيدنا على بن أبى طالب ولا أبى الأسود الدؤلى لأنهما فيما أعرف لم يدرسا النحو السريانى ، وهذا النحو هو أساس النحو العربى ، لأن تقسيم الكلمة فى النحوين واحد ، والسريان - طبعا - سابقون ، فمنهم أخذ العرب نحوهم ... ولا شك !

وقد كنا نعتز بجهود فقهائنا . وأمانتهم ، وتحريهم ، ونقول إنهم - على الأقل - وحدهم من بين علمـــاء العربية الذين اعتمدوا على دراساتهم العربية المحضة . وعلى فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وعمل أصحابه ، ولكن بعض علمائنا ينبهنا ، ونحن غافلون ، نقلا - طبعا - عن أحد المستشرقين ، أو عن جماعة منهم ، إلى أن هؤلاء الفقهاء تأثروا بالفقه الرومانى ، وبتقاليد الدولة البيزنطية ، بل تسربت إليهم بعض الأحكام ، وهم لا يشعرون ، وما داموا كذلك فلا ثقة بما يقولون ، ويجب أن نطرح آراءهم حين نبحث عن الحقيقة ، (والإسلام الأصيل الحقيقى السمح براء كل البراءة من قتل المرتد مسلما كان أو غير مسلم . فلنترك الناس أحرارا فى آرائهم ومعتقداتهم) - كما يقول هذا الكاتب - وفقهاء المسلمين جميعا راغمون !

هـذا هو المنطق الذى يكتب به قوم من أبنـاء جلدتنا ، يتسمون بأسمائنا ، ويدينون بمعتقداتنـــا ، ويعيشون على أرضنا .

(كولد زيهير) قال إن الفقه الإسـلامى مأخوذ من الفقه الرومانى ، فيجب المصير إلى قوله . لأنه العلامة الأوحد الذى تفضلت به الحياة على الناس ، ولا يمكن أن يرد قوله ، أو تحوم الشبهة حول صحة تفكيره ، وقوة منطقه ، أما الباحثون من المسلمين ، قدامى ومحدثين فلا ثقة بما يقولون .

لقد أثيرت هذه المسألة قبل ذلك فى أوقات متباعدة ، وقد نوقشت وتبين فيها وجه الحق لمن يريد الحق ، ولكن لا بد من جديد ، والجديد عندنا إن وجدنا من يريد أن يقتنع.

أول ما ينبغى أن يعرفه المفتونون بالغرب ، عن قصد أو عن غير قصد أن المستشرقين - مهما تذرعوا ، وتظاهروا بحب البحث العلمى - هم أعداء ألداء للإسلام ، وللثقافة الإسلامية (ولا يعرف العقـل ولا المنطق حدا لمـا يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامى وتشويه لمبادئ الإسلام ، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله ، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ الثقافة الإنسانية ، إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك فى هـذا الجانب ، والتفاوت - إن وجد بينهم - إنمـا هو فى الدرجة فقط ؛

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه [١]) .

وجولد زيهير - بالذات - معروف بعدائه للإسلام ، وبخطورة كتاباته عنه ، وهو من محرري « دائرة المعارف الإسلامية » ودورها فى تشويه الإسلام معروف لكل من طالعها .

وأخطر من المستشرقين - فى نظرى - أولئك المستغربون ، الذين يروجون آراءهم بل ويدافعون عنها ، ويطيلون فى امتداحها .

وهل يمكن أن نجد رجلا يحترم دينه وعقله ، وقد قرأ شيئا عن مصادر التشريع الإسلامى . وعرف أن القرآن والحديث هما المصدران الوحيدان لهذه الشريعة ، هل يمكن أن يقول هذا الرجل إن الفقه الإسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى ، وعلماؤنا الأتقياء الورعون الذين كان بعضهم يتورع أن يفسر كتاب الله برأيه ، وصحابة الرسول الأجلاء الذين أخذنا عنهم كثيرا من تفسيرات شريعتنا ، وكل أولئك كانوا شديدى الخوف أن يقولوا على الله ما لم ينزل به وحى ، أو يتحدث به الرسول الكريم .

إن دعوى أن مسألة من المسائل تسربت إليهم من التقاليد المسيحية البيزنطية دعوى جريئة لا يقول بها إلا من يجهل التشريع الإسلامى جملة وتفصيلا ، فالذى يعرف تاريخ الصحابة ، ويدرس سلوك الأئمة وأخلاقهم يوقن أن هؤلاء لا يمكن أن يعتمدوا أحكاما بعيدة عن الإسلام ، ويدخلوها فى الفقه على أنها من الشريعة ، والذى لا سبيل إلى الشك فيه أنهم كانوا يقفون عند النصوص . فإذا لم يكن نص اجتهدوا ، واستندوا إلى الأصول العامة فى الدين .

والدارس للفقه ولتاريخ التشريع يعلم أنه بعد عصر الصحابة نشأت مدرستان نما الفقه وترعرع فى ظلالها ، مدرسة المدينة ، وعمادها الفقهاء السبعة المشهورون ، وإمامهم سعيد ابن المسيب ، ومدرسة الكوفة وإمامها ابراهيم النخعى الذى ظهرت صورته واضحة فى أبى حنيفة .

أما المدرسة الأولى فقد أسست الفقه الإسلامى ، وكانت تستمد فقهها من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان مذهبهم اتباع السنة ، ومذهب الصحابة ، وقد بعدت هذه المدرسة عن أى مؤثر خارجى لأنها قامت فى مدينة الرسول ، وكان هؤلاء إذا لم يجدوا نصا فى كتاب الله ولا فى سنة نبيه لجأوا إلى القواعد العامة للدين من مثل قوله صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولا ضرار ، وقوله : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .

[١] من محاضرة عنوانها (المبشرون والمستشرقون) ص ١٥ للدكتور محمد البهى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأما مدرسة الكوفة ، فمع أنها شهرت بمدرسة الرأى كانت تأتم فى عملها بجماعة من الصحابة أشهرهم ابن مسعود ، وقد أدرك إمامها وهو النخعى جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد الخدرى والسيدة عائشة — رضى الله عنها — وكانت هذه المدرسة كذلك إذا لم تجد نصا لجأت إلى الرأى ، ولكنها عنيت بالتعليل ، على أنه إذا ثبت عندها النص لم يتركوا العمل به ولو خالف الأصول العامة ، وأبو حنيفة الأستاذ الثانى فى هذه المدرسة كان من العلم والفقه والورع على ما كان ، وقد شهد له الإمام الشافعى شهادة جليلة ، حيث قال : « من أراد أن يفتقن فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق ، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبى حنيفة » . وكان أبو حنيفة يأخذ بخبر الآحاد إذا لم يخالف السنة المشهورة ولم يسبق طعن أحد من السلف فيه ، ولم يخالف العمل المتوارث بين الصحابة والتابعين .

فى هذه الفترة تحددت كل أصول التشريع ، وكان عمل الفقهاء فيما بعد التفريع والتعليل ، فهل يمكن أن يقال إن الفقهاء الإسلاميين أخذوا فقههم من أى فقه آخر .

على أن الأوزاعى الذى يجعلونه مظهرا لتأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى لأنه عاش فى الشام ، وكان أهل الشام يعملون بمذهبه ، هذا الامام كان من رجال الحديث الذين يكرهون القياس ، على أن مذهبه قد اضمحل وذهب ، وذهب معه كل أمل فى البحث عن أثر الحقوق الرومانية فيه إن صح أن لها فيه تأثيرا [١] » .

وإذا كان لابد لنا من الاستعانة بما كتبه العلماء الذين درسوا الفقه الرومانى بجانب دراستهم للفقه الإسلامى ، فإننا نثبت هنا كلمتين لعالمين كبيرين . قال معروف الدواليبى : « إننا إذا نظرنا إلى هذه الدقائق التاريخية وجدنا عندئذ دعوى المستشرقين عبارة عن فرضية مجردة من كل دليل ، ومتنافية مع الوقائع التاريخية ، وهذا ما يجردها بعد اليوم من كل قيمة ، ولم يجد للفقه الإسلامى فى سورية موطنا ملائما للتوسع والرقى ، والاقتباس من الحقوق الرومانية » ، يقول ذلك لأن سورية — كما يرى — « لم يكن لها أى تأثير فى تطور الحقوق الإسلامية ، ولم يعرف عنها أنه نشأ فيها مذهب من مذاهب الفقهاء الأحرار ، لأن سورية فى عهد نشأة الحقوق الإسلامية كانت تحت سيطرة مذهب المحدثين المقلدين للفقه الاسلامى على ما هو عليه فى الحجاز ، وكما جاءت به نصوص

---

[١] الحقوق الرومانية وتاريخها ص ٥٣ لمعروف والدالبى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتاب والسنة [١] ، هذا والكاتب سورى فقول فى هذه المسألة فصل .

وقال العالم الجليل الذى أطال النظر والدرس فى الفقه الاسلامى ، وكان حجة فى القوانين الغربية المرحوم الأستاذ عبد الرازق السنهورى . « لن يكون همنا فى هذا البحث إخفاء ما بين الفقه الاسلامى والفقه الغربى من فروق فى الصنعة والأسلوب والتصوير ، بل على النقيض من ذلك سنعنى بإبراز هذه الفروق حتى يحتفظ الفقه الاسلامى بطابعه الخاص ، ولن نحاول أن نصطنع التقريب ما بين الفقه الاسلامى والفقه الغربى على أسس موهومة أو خاطئة ، فإن الفقه الاسلامى نظام قانونى عظيم له صنعة يستقل بها ، ويتميز عن سائر النظم القانونية فى صياغته ، وتقضى الدقة والأمانة العلمية علينا أن نحتفظ لهذا الفقه الجليل بمقوماته وطابعه ، ونحن فى هذا أشد حرصا من بعض الفقهاء المحدثين فيما يؤنس فيهم من ميل إلى تقريب الفقه الاسلامى من الفقه الغربى ، ولا يعنينا أن يكون الفقه الإسلامى قريبا من الفقه الغربى فإن هذا لا يكسب الفقه الاسلامى قوة ، بل لعله يبتعد به عن جانب الجدة والابتداع ، وهو جانب للفقه الاسلامى منه حظ عظيم [٢] » .

أعتقد أنه بعد هذا نستطيع أن نؤكد أن الفقه الاسلامى فقه أصيل ، وأن علماءه أدوا الأمانة العلمية على أتم وجوهها ، ولم يكونوا من البلاهة والغفلة بحيث يتسرب إلى فقههم حكم ليس له مستند من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس ، وأن الذين يرددون هذه الأباطيل إنما يخدمون المبشرين والمستعمرين من حيث يشعرون أو لا يشعرون ؟

على العمارى

---

[١] الحقوق الرومانية من صفحات ٥٠ ، ٤٥ ، ٥٢

[٢] مصادر الحق فى الفقه الإسلامى ص ٢ ، ٣

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التدين ضرورة لحياة الأمم والأفراد

للأستاذ محمود النواوي

إن التدين ضرورة لاغنى عنها للبشر وأن التمسك بشعائر الدين مهما يكن ألزم لصاحبه من التحلل والإباحية مهما تكن ، وهو معنى سليم صادق فإن التحلل من الأديان والإباحية الفاشلة مهما حاول دعاتها أن يدافعوا عن وصماتها . إن هو إلا تنازل عن معنى الإنسانية التى كرم بها الله الانسان وميز من الحيوان فكلفه ووجهه ، وجعله خليفة ، وسخر له الكائنات من حيوان ونبات وجماد .

فالإنسان مهما تكن درجته لا يكون إنسانا إلا بعقل ودين . أما العقل فإنه يتصرف به وينظم به شئون خلافته . والأديان لطف من خالق الإنسان تحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وتخرج الناس من مضايق المشكلات وموالج الشبهات وذلك أن العقلاء يختلفون فى وجهات النظر ، وتقتصر أفكارهم أحيانا حتى يتناقضوا إن العقل مهما تكامل فهو متفاوت النظار قصير الإدراك فى جانب علم الله الذى « لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » قال الله سبحانه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فكان من لطفه وإحسانه أن أرسل الرسل معلمين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وكان من لطفه وإحسانه أن أرسل إليهم الرسل بما يلزم معرفته والإيمان به من علوم السموات والأرض منظمين الحياة للناس فى أسرهم وفى مجتمعهم وفى علاقاتهم كل أمة مع غيرها من الأمم حتى يعيشوا إخوانا متحابين ، ودلوهم على طقوس من العبادة تربطهم بخالقهم حتى تعز نفوسهم ولا تنكس رؤوسهم لغير خالقهم ، يعبدونه لا يشركون به شيئا . ثم كانت هذه الطقوس هى التى تهذب نفوسهم حتى تحسن علاقات بعضهم ببعض . وحتى لا يتحاسدوا ولا يتباغضوا ويكونوا إخوانا متعاونين وإخوة متسالمين . وقد أرادت أن تلزم الناس ذلك. فجعلت لكل إنسان جزاء على ما يعمل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » حتى يحاسب كل إنسان نفسه قبل ان يحاسب ، وحتى يخاف ربه ويشفق من ذنبه فلا يفعل إلا خيرا . فإن نسى أمر ربه وانحرف عن سبيل طاعته وأساء يوما إلى نفسه أو إلى أخيه ، فإن أمره

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى يسر بلا عنت وإن ربه رحيم به . لا يوصد دونه باب الإصلاح والاستصلاح فليعد إلى ربه وليستغفر من ذنبه والله غفور رحيم .

فمن أبى إلا أن يكون شريراً مفسداً ومعانداً مؤذيا ، فقد جعل له عقوبات فى الدنيا تزجره حتى لا يعود وتزجر غيره حتى يصد نفسه عن الشر . كل هذا ليسود الوئام والحب . ولا يبغى بعض الناس على بعض وتتحقق الخلافة المنشودة .

هذا هو الخلاف بين رجال الدين والمنتسبين إليه وبين غيرهم من دعاة الإلحاد والزندقة الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن التدين بشبهة أنه يخالف المدنية : « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما اشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

تالله لقد علموا لو كانوا يعلمون أن التدين لا ينافى المدنية الحقة ، فإن المدنية الحقة تقوم على نظام وتآلف ووطنية وصدق ووفاء وأمانة وقوة ودفاع وحرية ونظافة وعمل ونشاط ومعاملة دقيقة رقيقة وعدل وإحسان وكل هذه هى ما يدعو إليه التدين . بل يدور فى محوره . فكل طمع فى حق للناس وكل أثرة وأنانية وكل معاملة غير مرضية ليست تمت إلى التدين فى شىء وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله فى كلمة واحدة (قل آمنت بالله ثم استقم) .

أما إذا كانت المدنية هى الميوعة والخنوثة والعرى وقضاء حق الشهوات الحيوانية فى صور بهيمية فإن الدين لا يرضى ذلك لأنه يعلم ما فيه من وخيم العواقب وما يدعو إليه من العدوان والتنافس وما يوقع فيه من الأنانية التى هى معول التعاون ومصدر الشقاق . فأنبئونى إذن ما عيب الأديان وهى مصدر القوة وأساس التحرر وما عيبها وهى التى تأخذ صاحبها بالخير وتجعل منه ملاكا كريما لا يرجو إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه تجعل منه إنسانا متماسكا يرجى خيره ويؤمن شره . لأن له ضميراً حيا يحمله على الخير ويحول بينه وبين الشر .

إن الإيمان بإله قادر عليهم صانع حكيم مما دلت عليه الفطرة وهدى إليه العقل فقالت به العامة والدهماء بمقتضى فطرهم وسذاجتهم كما قال به الحكماء والفلاسفة على مقتضى أدلتهم ومقدماتهم واستدل الأعرابى بالسماء وكواكبها والأرض ومساكنها على اللطيف الخبير . كما استدل بالبعرة على البعير وبالخطوة على المسير وكما استدل الحكماء على وجود الله بترجيح الوجود على العدم وكل ترجيح لا بد له من مرجح .

ولكن أبى ذلك : « من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تذكرون ، وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » .

هؤلاء قوم لا تخلو الدنيا منهم ينبتون فى مختلف العصور نباتا شيطانيا ليرووا شهواتهم وينالوا أقصى متعهم ولذاتهم وقد نظمت الديانة ذلك كله نظاما دقيقا أمينا ولكن إسم التدين قد يزعج كثيرا من النفوس الفارغة والأفراد الفاشلة . والتدين خير لهم لو كانوا يعلمون .

هؤلاء قوم تسللوا من جماعة الإنسانية ليكونوا فى حظيرة الحيوانية وصاروا يدعون الناس بالمغريات ويزينون لهم الشهوات ولم يكونوا شجعانا فى دعوتهم ، ولكنهم نافقوا وصاروا كالشاة العائرة بين الغنمين فانطبق عليهم بالدقة قول الله سبحانه فى كتابه الذى وصف به ضعفاء اليهود يوم جبهتهم دعوة الحق « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » إلى قوله سبحانه « فى طغيانهم يعمهون » .

امجد ما هو إلا مجموعة من الفضائل تتمثل فى رياضة النفس على العدل والإحسان والعفة والنزاهة والصدق والشجاعة والكرامة والأمانة والوفاء وما إلى ذلك من المكارم والدين وحده هو الذى يكفل لمن يتمسك أن يأخذ من هذه الصفات الكريمة فى أسرع وقت وأقرب زمن بأوفى نصيب .

هؤلاء يسيئون إلى أنفسهم وشعوبهم بمقدار ما تحسن الأديان إلى الناس والمساكين يتجاهلون ما يسيئون ويدعون أنهم يحسنون فهم كما وصفهم الله سبحانه إذ يقول « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم . . الآية » .

ليس مذهب الوجودية الذى دعا به سارتر فى فرنسا فقامت حوله ضجة عالمية بين معزز له ومنكر عليه هو نسيج وحده ولا أول شىء من نوعه .

وإنما هو تمثيل للتحلل الذى ظهر فى فرنسا منذ عهد بعيد . فأضعف شوكتها وقل عزيمتها وأخرها عن مستوى الأمم . وهو تجديد لعهد التحرر الذى مر بفرنسا قبل عهد نابليون ، على أنه تجديد فكل نعرة فاشلة يقوم بها بعض ذوى البطالة من عباد الأهواء والشهوات . يريدون أن يزعموا أنها مذهب وفلسفة . وليس الهدم مذهبا ولا فلسفة وإنما هو هدم لبناء الأمم وتقويض للشعوب .

وإن شئت فقارن بين المسلمين فى ماضيهم وقد اتخذوا الدين إماما وقدوة بينهم فى حاضرهم وقد عرفوا اللهو وأغرقوا فى نسيان القرآن وإهماله وحسبك . أو قارن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين رجل متدين يخشى الله ويحسن إلى الناس فيعرف ما له وما عليه لا يؤذى ولا يبغى ولا يحسد ولا يحقد ويلجأ إلى الله فى كل أمره ويرضى بقضائه وقدره .

ماذا يكون إنتاجه فى الحياة وكيف تكون علاقته بالناس وقرة عينه بالعيش إذا كان مؤمنا حقا ، وآخر شهوانى طماع لا يعرف إلا الأثرة والأنانية والبغى والتخبط كيف تكون مشاكله فى الحياة ، وقنوطه من رحمة الله ، وشقائه بعيشه وتعاسته فى قومه ، وغير قومه .

ولقد وصف السيد جمال الدين الأفغانى أولئك الماديين وصفا طويلا فى كتابة الرد على الدهريين فكان مما وصفهم به أنهم كثيراً ما ظهروا فى الأمم منذ القدم يتسمون بسيما رفع الظلم ويدعون تطهير الأذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات وتارة يتمثلون فى صور محبى الفقراء وحماة الضعفاء ، وأنهم فى كل صورهم صدمة شديدة على بناء قومهم ، وصدع متفاقم لبنية جيلهم ، وأطال الشيخ فى وصف أمم خضعت للذل وضرعت للضيم بعد العزة التى كانوا ينالونها بقوة المقاومة والاعتزاز بالعقيدة والتمسك بالتقاليد الرفيعة ، وذكر منهم شعب الكرنك وهم اليونان الذين كانوا من أشرف الأمم وأعرقها فثبتوا أحقابا فى مقاومة الفرس وهى أمة عظيمة ذات مجد شامخ فهدموا أركانها ثم مدوا أيديهم إلى الهند فطاولوها ثم ظهر فيهم أبيقور المشهور بمذهبه الإباحى التحللى ظهر هو واتباعه متسمين بسيما الحكماء ينكرون الألوهية ويقولون ما بال الإنسان معجبا بنفسه .

يزعم أنه أشرف المخلوقات ويدعى أن له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة أبدية بعد هذه الحياة ، ويتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ، ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف مخالفا لنظام الطبيعة مع أنه لا يمتاز عن سائر الحيوان بمزية ، بل هو أدنى منها جميعها ، وما زال أبيقور وأتباعه بهذه المملكة حتى استعبدوها للشهوات فوقعت أسرى فى أيدى الرومانيين وخاضعة لحكمهم وكبلوا فى قيود العبودية حتى استردوا بعض أخلاقهم فعاد إليهم بعض مجدهم .

والأمة الفارسية . كانت أمة تمجد التقاليد وترعى العهود وتعتز بالصدق والأمانة لأن التقاليد الدينية كانت أساس حياتهم والمسيطرة على مجتمعاتهم فكانوا يؤثرون الصدق إلى درجة أن الواحد منهم لا يستدين مهما بلغت به الحاجة خوفا من الكذب والمطل وخلف الوعد فارتقوا فى الأسباب وبلغوا فى عزة الملك مبلغا عظيما . قال المؤرخ الفرنساوى لونورمان إن مملكة فارس على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عهد داريا الأكبر كانت إحدى وعشرين إيالة واحدة منها تحتوى مصر والقلزم ، وبلوجستان والسند حتى ظهر فيهم مزوك الطبيعى الذى ينكر الإله والرسل على عهد قباذ وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبدأ تعليمه بأن جميع الحدود والآداب التى وضعت بين الناس جور وأن الطبيعة جعلت حق المأكل والمشرب والمباضعة مشاعا بين جميع الناس . فماذا يحمل الانسان على حرمان نفسه او حرمان غيره من مشاركته ولماذا لا تكون أم الرجل وبنته وأخته كزوجة ولماذا يتركهن لغيره يتمتع بهن دونه وأى خطر حق يستند إليه من يدعى ملكية خاصة فى مال ينصرف فيه دون سواه .

وذاعت هذه الخرافات بين الفارسيين فهتكت الحياء وفشا الغدر والخيانة واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت أخلاقهم ونسفت فى الهواء ، وبددت فى الأجواء على أن أنو شروان قتل مزوك وجماعة من أتباعه ولكنه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة فى سهولة ويسر فضعفت شوكة هذه الأمة ، حتى إذا ما هاجمهم العرب لم تكن إلا جولة واحدة حتى هزموهم . مع أن الروم ثبتوا للعرب أزمانا طويلة .

وإنك لتعرف تاريخك الإسلامى العربى . وما كان العرب فيه قبل إلتزام الدين الحق من فوضى وبغى وعدوان وضعف وخور واضطراب إجتماعى وسياسى مع انحرافهم وتحللهم وأن الشريعة الإسلامية جاءتهم فمكنت من نفوسهم الأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة حتى صارت خير أمة أخرجت للناس وحتى أدخلوا فى دينهم مائة مليون فى قرن واحد من أمم مختلفة .

فلما كان القرن الرابع ظهر الطبيعيون بمصر تحت إسم الباطنية . وذهبوا مذاهب التدليس فى نشر آرائهم ومذاهبهم وأدخلوا من طريق التصوف المدخول . أن الأعمال الظاهرية مفروضة على المحجوبين . وأما الواصل فليس صلاة ولا صوم ولا حج ولا غيرها . وكذلك الحدود والعقوبات وهم يفسرون القرآن على أن له باطنا هو مراد الله سبحانه . ومنهم طائفة الإسماعيلية المارقة من هذا الدين وهى تنتسب إليه زوراً وبهتانا . فهم ينكرون المعلوم من الدين بالضرورة ويعبدون زعيمهم ويحرمون الحلال ويحللون الحرام وقد ظهر بعضهم بآرائهم الإلحادية إذ وقف على منبر المسلمين فى قلعة خراسان فقال : إذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الأعناق ورفعت الأحكام الشرعية جميعها والقيامة عبارة عن قيام القائم بالحق وأنا القائم بالحق . فليعمل عامل ما أراد بعد اليوم فلا حرج . وقد كان هؤلاء من أكبر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العوامل فى ضعف النخوة الإسلامية والتمكين للأعداء فاختلفوا وسادهم القوم الظالمون وضربوا ما أمكن تخريبه من بلادهم وهم عاجزون عن الدفاع لتفرق قلوبهم وكذلك نال منهم المغول والتتر كل مثال . وأهدروا دماء الملايين منهم . وقد كان القليل منهم يهزم الجيوش الجرداء باجماع كلمتهم وكونهم كالبنيان المرصوص لا يعرفون إلا الطاعة والإنضمام إلى صفوف الجماعة .

على أننا قد بدأنا بحمد الله نستعيد مجد الإسلام والعروبة بفضل الثورة التى قامت على الأثرة والأنانية والطمع القاتل وجاءت بتمجيد الخلق الفاضل الكريم ، وحيدت الحدود لكل من تحدثه نفسه بالخيانة أو الغدر أو تلين قناته للمطامع ، ولا غرو فإنك كلما تتبعت الأمم واحدة واحدة وجدت أن النصر والشوكة والعزة والبركة يقترن بالتدين الذى هو خلق متين وسلك قويم . والدين كما قلت : خير محقق لهذا المعنى ولا سيما دين الإسلام الذى يأمر كما شهد له عدوه بمكارم الأخلاق والذى هو المعاملة الكريمة ، ولهذا المعنى كان إنحطاط المسلمين إلى عهد قريب ، وبعد فما هذه النعرات القائمة ، وما هذه الظلمات القائمة كأنكم لا تعلمون . . ذلك التحلل الذى تتحدرون اليه هو أيسر وسيلة يسلكها العدو إليكم ليتركم فى الذل وليتال منكم كل غرض بعد أن يملأ نفوسكم بالمرض.

لقد علم أعداؤكم من دراسات الدول والجامعات أضعاف أضعاف ما تلوت عليكم من أن نجاح الأمم فى التمسك بدينها ، وأن إعراضها عن التدين أهدى سبيل إلى إضعاف شوكتها وتيسير مهمة أعدائها .

ولهذا قال كرومر سابقا ما دام هذا القرآن بين ظهرانى المصريين فلا سبيل لنا عليهم . لأنه رآه يعلم القوة ويدعو إلى العزة ويأمر بمكارم الأخلاق ويربى النفوس على المجد ، فإذا كان وجود القرآن أخافه وأرهبه لأنه سبيل المجد عند الانقياد لحكمه والعمل بما فى تضاعيفه . فكيف إذا عملتم بما فيه واهتديتم بهديه ، فأنى تؤفكون وإلى أين تذهبون ؟؟ .

محمود النواوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

انماط من الأدب العربي الرفيع

للأستاذ عباس طه

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير . ثم أن العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والأخبار والشعر والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مأرب ، وقصر مارد وقصر شعوب والأبلق الفرد ، وغير ذلك من البنيان : وتصنيف الكتب أكثر حفظاً للمآثر على مر الأيام والدهور من البنيان لأن البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن إلى قرن ومن أمة إلى أمة ، فهو أبدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير : وكانت العجم تجعل الكتابة فى الصخور نقشا فى الحجارة وخلقا فى البنيان ، كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركبة المشعر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون إلى المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخط فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس أجدر أن يراه من مر به ، ولا ينسى على وجه الدهور ، ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع .

ولولا ما رسمت لنا الأوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها لما شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم .

ولو لا جياد الكتب لما تحركت هم العلماء لطلب العلم ونزعت إلى حب الكتب وخرجت من حال الجهل ، ولدخل عليهم من الضرر وسوء الحال شىء كثير .

عن محمد بن الجهم يقول إذا غشينى النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتابا فأجد اهتزازى للفوائد الأريحية التى تعترينى من سرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمير فإنى إذا استحسنت كتابا واستجدته ورجوت فائدته لم استبدل عليه عوضا ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقى من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقال ابن راحة كان عبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان فى يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة .

وأهدى بعض الكتاب إلى صديق له دفترا وكتب معه : هديتى هذه أعزك الله تزكوا على الإنفاق وتربو على الكر لا تفسدها العوارى ولا تخلقها كثرة التقليب وهى أنس فى الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس فى الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق .

وقال بعض الحكماء : الكتب بساتين العلماء وقال آخر : الكتاب جليس بلا مؤنة .

وقال آخر : ذهبت المكارم إلا من الكتب .

وقال الجاحظ : « وأنا أقول : الكتاب نعم الذخر والعمدة والجليس ، ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء ملىء علما وظرف حشى ظرفا وإن شئت كان أعيى من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل وإن شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه يأله من ناسك فانك وناطق أخرس .

ومن لك بطبيب أعرابى وروى هندى وفارس يونانى ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشىء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده ـ وبعد فما رأيت بستانا يحمل فى ردن وروضة تنقل فى حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن من فى الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ الوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ولا أقل إملالا ولا إبرارا ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد فى جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ، ولا أعم بيانا ولا أحسن مواساة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب تناولا ولا أسرع إدراكا ولا أوجد فى كل إبان من كتاب ، ولا أعلم إنتاجا فى حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده .

يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الأزمان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القويمة والتجارب الحكيمة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا وورود نهلا وإن شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك ، والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى يوافيك والرفيق الذى لا يملك والمستمع الذى لا يستزيدك والجار الذى لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ، والكتاب هو الذى إذا نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العام وصداقة الملوك ، يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر ، وهو المعلم إن افتقرت إليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن هبت ريح أعدائك لم تتغلب عليك .

وإن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة صون عرض وإصلاح دين وتشمير مال ، وابتداء إنعام ، ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلا متعته لك من الجلوس على بابك والنظر إلى المار بك ، مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديئة وجهالتهم المذمومة لكان فى ذلك السلامة والعطلة وإحراز الأصل مع استفادة الفرع ، ولو لم يكن فى ذلك إلا أنه يشغلك عن سخف الحديث واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه .

لقد كان له بذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة ، وجملة الكتاب وإن كثر ورقه فليس مما يمل لأنه وإن كان كتابا واحداً فإنه كثير فى خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير ، وقال مصعب ابن الزبير : إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فإذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فإنك لا ترى ولا تسمع إلا مختارا ولؤلؤا منظوما .

وقال لقمان لابنه : يا بنى نافس فى طلب العلم فإنه ميراث غير مسلوب ، وقرين غير مغلوب ، ونفيس حظ من الناس مطلوب .

وقال الزهرى : الأدب ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثهم .

وقال : إذا سمعت أدبا فاكتبه ولو فى حائط .

وقال منصور بن المهدى للمأمون : أيحسن بنا طلب العلم والأدب ؟ قال : والله لأن أموت طالبا الأدب خير لى من أن أعيش قانعا بالجهل قال : فإلى متى يحسن ذلك قال : ما حسنت الحياة بك .

عباس طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

الدين والسياسة فى باكستان

للأستاذ عباس محمود العقاد

كانت تصفية الاستعمار شغلانا جديداً للباحثين فى علم السياسة أو علم الدولة والحكومة ، وهو العلم الذى يبحث فى تكوين الدول وفى العناصر الاجتماعية التى تهيء مجتمعا من المجتمعات لإقامة الدولة أو الحكومة المستقلة فيه .

وقد زال الاستعمار عن بلاد كثيرة كان بعضها خليطا من الشعوب والأجناس والعقائد واللغات والمصالح الاقتصادية والمواقع الجغرافية ، بغير رابطة تجمعها إلى وحدة مشتركة غير سيطرة الدولة المستعمرة عليها جميعاً بسلطان القوة والسطوة ، فلما ارتفعت عنها هذه السيطرة تفرقت فاشتغلت كل منها بسبب من أسباب الاستقلال ، وتجدد البحث العلمى فى عناصر الوحدة التى تصلح لقيام الدولة المستقرة فى وطن من الأوطان .

هل هى وحدة الجنس والعنصر ؟ نعم . قد تكون هذه الوحدة قوام الدولة ولكنها قد تتم فى بلاد ولا تتم فى بلاد أخرى توافرت لها معالم الدولة المستقلة ، كالبلاد السويسرية التى ينتمى سكانها إلى أمم الجرمان والطليان والفرنسيين ويتكلمون اللغات الثلاث ، ويدينون بمذاهب مختلفة من المسيحية.

هل هى وحدة المصلحة المشتركة ؟ نعم أيضا ولكن البلاد قد تتولاها حكومة واحدة وهى فى قطر من أقطارها زراعية وفى القطر الآخر صناعية وفيما بينهما أو فى جوارهما تجارية تتعارض مصالحها المتفرقة فى هذه المرافق ثم تجمعها فوق ذلك مصلحة أعم منها وأدعى إلى الوفاق والاتحاد ، كالولايات المتحدة وبعض الجمهوريات الأمريكية أو الأوربية .

هل هى الوحدة الجغرافية أو الوحدة التاريخية ؟ نعم أيضا ولكن مع الاستثناء الواضح فى كثير من الحالات ، فإن « باكستان » تنقسم إلى قسمين بينهما مئات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأميال ، والجزر البريطانية وحدة جغرافية متقاربة ولكنها أشتات من المواضى والتواريخ والسلالات البشرية .

هل هى وحدة الدين ؟

لقد سئل هذا السؤال وهم علماء السياسة بالإجابة عليه بالنفى وكادوا ينسبون مطالبة المسلمين من أهل الهند بالاستقلال إلى شذوذ (الرجعية الإسلامية) لولا أن حركة الاستقلال فى الهند كانت مقرونة بظهور اسم إسرائيل فى معترك السياسة الدولية ، فتعذر على العلماء (المنصفين) أن يتهموا إسرائيل بالرجعية الدينية كما شاءوا أن يتهموا بها طلاب الاستقلال من أبناء باكستان ، وتعذر عليهم من الجهة الأخرى أن يفرقوا بين الوحدتين فى المصطلحات العلمية ، فسمحوا بالعامل الدينى مع العوامل الأخرى التى تهيىء البلاد لوحدة الدولة أو وحدة الحكومة

ولقد كان مؤسس العلم السياسى ابن خلدون يفطن لهذه العوامل ولا ينسى منها عامل الدين فى مقدمته الوافية حيث يقول عند الكلام على قوة الدين وقوة العصبية : « إن الدعوة الدينية تزيد الدولة فى أصلها ... وإن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار فى أمرهم لم يقف لهم شىء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم ، وهم مستميتون عليه ، وأهل الدولة التى هم طالبوها وإن كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل ... » .

ولكن الباحثين العصريين الذين يذكرون كلام ابن خلدون ولا يهملونه فى هذا الصدد يستشهدون به ثم يعرضون عنه لأنه لم يعمل على « تطوير » هذه الفكرة وإدماجها فى أبواب التقسيم العلمية ، وهكذا صنع الأستاذ ليونارد بايندر Binder : صاحب الكتاب الذى تراجعه فى هذا المقال واسمه : « الدين والشئون السياسية فى باكستان .

Religion and politics in Pakistan

إن الاستاذ (بايندر) مؤلف الكتاب عضو فى قسم الدراسات السياسية المتخصصة لمسائل الشرق الأوسط والشرق الأدنى . وله مباحث يجريها فى البلاد المصرية من قبل معهد ووكنجز ، ويظهر من تعليقاته على آراء المختلفين من أصحاب البرامج السياسية والدينية فى الأمم الإسلامية أنه يجتهد فى الحيدة بينها غاية اجتهاده ، فلا يتورط فى العصبية على النحو الذى ينساق إليه خدام التبشير والاستعمار

يرجع المؤلف إلى موقف المسلمين فى الهند من الدولة البريطانية ومن الحضارة الغربية على التعميم ، فيلاحظ الحقيقة التاريخية المتفق عليها ، وهى يقظة المسلمين للدفاع عن كيانهم على أثر الاحتكاك بالسياسة البريطانية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومظاهر الحضارة الحديثة التى كان لها جانباها من الأثر الحسن والأثر السيء فى التعليم والعادات الاجتماعية .

فاجتمعت كلمة الدعاة المسلمين على وجوب التبديل والإصلاح ، واختلفوا فى المنهج على حسب اختلافهم فى تعليل أسباب الضعف الى أصابت العالم الإسلامى بأسره ، ومنه المسلمون الهنديون .

فالذين عللوا ضعف المسلمين بإعراضهم عن العلوم الحديثة طلبوا الإصلاح من طريق العمل الحثيث على مجاراة الأوربيين فى حضارتهم وضاعفوا السعى إلى هذه الغاية بعد شعورهم بغلبة مواطنيهم عليهم ، لأنهم أقبلوا على التعليم الأوربى فكثر منهم المرشحون لوظائف الدولة والأعمال العامة .

والذين عللوا ضعف المسلمين بإعراضهم عن آداب دينهم وابتعادهم عن منهج السلف فى أخلاقهم ومسالكهم طلبوا الإصلاح من طريق حركة (الإحياء) وهى حركة التجديد الإسلامى بالعودة إلى سنن المسلمين الأولين ، وقصروا جهودهم فى إحياء الماضى على تجديد تاريخ السلف الإسلامى دون السلف القريب الذى ارتبط بتاريخ دول المغول .

وقد عصم هذه الحركة أن تكون رجعة إلى الوراء أن طلاب الأحياء إنما طلبوا الرجوع إلى الأصول الأولى بغير استثناء أو تمييز بين المراجع إلا أن يقضى به الاجتهاد فى التوفيق بين السنة المختارة والضرورة العصرية ، فوجب على أصحاب هذه الدعوة - إذن - أن ينبذوا التقليد ويعتمدوا على الاجتهاد فى اتباع السنة التى يهديهم إليها التفكير المستقل والنظر فى مطالب الزمن ودواعى المصلحة الحاضرة ، وكادت هذه الدعوة المستقلة أن تقارب بين الفريقين المتعارضين ، وهما فريق التعليم الحديث وفريق الإحياء على سنة السلف مع الاجتهاد فى الاختيار والاستقلال بالتفكير ، لأن هذا الاستقلال خليق أن يعصم الحركة من جمود التقليد الأعمى وكراهة التجديد إصرارا على القديم بغير تبديل .

ولما وجهت الباكستان بالمشكلة الاقتصادية كان فريق من دعاة الإصلاح يجنح إلى نظام سماه بالديمقراطية الإسلامية وترجمه المؤلف إلى الانجليزية بكلمة الديمقراطية الالهية Theo - democracy .

وكان فريق آخر ، وعلى رأسه لياقت على خان ، يدعو إلى الاشتراكية الإسلامية ويقول فى تصريحاته السياسية إنه لا يعرف (إزما) يدين به غير الإزم الذى يلحق باشتراكية الإسلام ، ويعنى بالازم هذه الحروف الأجنبية (Zom) التى تلحق بأسماء المذاهب عند الغربيين ، فلا مذهب له فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السياسة ولا فى الاجتماع غير مذهب الاشتراكية على حسب عقائد الإسلام ، وفسر كلمة الدولة الإسلامية بقوله إنها (هى الدولة التى سلمت من المنازعات الداخلية حيث يجزى كل إنسان بعمله ولا يحتمل بقاء الطفيليين ، وإن الواجب الأول على الحكومة الإسلامية أن تبطل كل ضرب من ضروب الاستغلال والتسخير) .

قال المؤلف : ولكن دعوة لياقت خان كانت تبدو أحيانا كأنها دعوة إلى شىء يخالف الفهم المعتاد للاشتراكية كما يخالف الفهم المعتاد للإسلام ، وخلاصة هذ المذهب أنه يسعى إلى توفير القوت والكساء ، والمأوى والعلاج والتعليم لعامة الفقراء ، ومن الصعب فى رأى المؤلف أن نذكر نظاما من النظم الاقتصادية لا يزعم أن هذا المسعى غرض مباشر أو غير مباشر من أغراضه المقصودة .

ويمضى المؤلف فيقول إن السند الإسلامى للنظام الاشتراكى يقوم على فريضة الزكاة ، وواجب الصدقات وأحكام المواريث وتحريم الربا وحماية الملكية ، واعتبار الدولة مسئولة عن توفير أسباب المعيشة لجميع رعاياها ، ومن ذلك فى صدر الإسلام فريضة الأرزاق التى كان الخليفة عمر بن الخطاب يفرضها لبعض المستحقين .

وعقب المؤلف قائلا : إن ما سماه لياقت خان اشتراكية إسلامية لا يعدو أن يكون مزيجا من نظام رأس المال ثم الضمان الاجتماعى ثم (الله) ... وإن هذه الفكرة الغامضة قد استندت إلى ركن يؤيدها من (ضرورة الرأسمالية الحكومية) وهى ضرورة محسوسة حيث تتأخر الصناعة فى البلاد كما هى الحال فى باكستان ، ولم يغفل الداعون إلى الإصلاح الاجتماعى على هذه القواعد عما يستتبعه من « الإجراءات الإدارية » عند التطبيق ، ولكنهم نظروا إليها نظرتهم إلى صعوبة تعالج فى الطريق ولا تستدعى تقرير مبدأ سابق كفرض الادخار الجبرى أو الاستيلاء أو إلغاء المصارف وما إليها .

وأشار المؤلف فى ختام الكتاب إلى طائفة من فقراء الطبقة الوسطى بين أبناء الباكستان تميل إلى إقامة « وطنية باكستانية » منعزلة عن الصبغة الدينية ، وهو اتجاه لا يستطاع الحكم على نتائجه منذ الآن ، ويتوقف التطور الديمقراطى فى البلاد ، آخر الأمر ، على تقدم الإصلاح الاقتصادى وانتشار التعليم معا على خطوة واحدة ، وبذلك يصبح النظام الإسلامى بذاته مصدرا مستقلا فى عوامله السياسية .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مختار من الشعر القديم والحديث

لم تقم القيامة

للأستاذ على الجندى

كذب المنجم ، ليته صدقا ... وأباد رب الخلق ما خلقا
وعدا الظلام على عوالمنا ... فأعاد ضوء نهارها غسقا
وانشقت الغبراء وانفلقت ... من فوقها خضراؤنا فلقا
وتناثرت فى الجو أنجمها ... بددا ، وطارت شمسها شفقا
وهوى من الأوج الرفيع إلى ... أقصى الحضيض البدر فاحترقا
وانحلت الأفلاك ، وانكدرت ... منها المجرة تغمر الأفقا
فترى بها « العذراء » قد غرقت ... فى نهرها ، و « الثور » قد نفقا (١)
و « القوس » لا يأتى لها وتر ... فيها ، ولا « الجبار » منتطقا (٢)
و « الحوت » قد نزعت زعانفه ... عنه ، وطاح « الجدى » مختنقا
و « أبو الشبول » على جراءته ... خارت قواه ، وطرفه برقا (٣)
و « النسر » خانته قوادمه ... فانحط من عليائه صعقا (٤)
و « الشعريان » تعانقا فزعا ... و « الفرقدان » تفرقا فرقا (٥)
وعرا « الثريا » ماله انتفضت ... ذعراً ، فألقت عقدها النسقا
و « بنات نعش » خلفه مقل ... عبرى يقرح دمعها الحدقا
وصدعن جيبا ناصعا بهجا ... ولطمن خدا ناعما عبقا
وتلظت النيران حاطمة ... من أنكر الأديان ، أو فسقا

---

(١) العذراء : برج السنبلة .
(٢) الجبا : الجوزاء وتعرف بمنطقتها .
(٣) أبو الشبول : برج الأسد .
(٤) النسران : مجان لامعان ، والمراد هنا : النسر الطائر لا الواقع .
(٥) الشعريان : الشعرى اليمانية والشعرى الشامية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأوى إلى الفردوس من سلكوا ... وضح الهدى لنعيمها طرقا
عجبي لمن طاشت حلومهم ... وتباعدت أجفانهم أرقا
أن قيل : قد حانت قيامتكم ... ونذيركم بالحين قد طرقا (١)
أو كنتمُ لا تؤمنون بها ... لجريتمُ في غيكم عنقا (٢)
أشفقتمُ من سوء صنعكم ... والسوء يكسب أهله الشفقا
أهل التقى منها على ثقة ... لكنكم لستم بأهل تقى
هل هذه الدنيا تعلقها ... إلا فتى من ربه أبقا
أصبى بنى حواء زخرفها ... فتحلقوا من حولها حلقا
نزعوا إلى الطين الذى جبلوا ... منه ، فما بسقوا ولا بسقا
ما إن ترى فردين بينهم ... صدقا الهوى ، وعلى الهدى اتفقا
وسهوا عن الأخرى كأنهمُ ... لم يبصروا ميتا بها لحقا
وعلى الخنى والرجس قد عكفوا ... ما وقروا ديناً ولا خلقا
والمال قد جعلوه دينهمُ ... كل له قد بات معتنقا
في جمعه وأدوا ضمائرهم ... حتى أباحوا السحت والسرقا
وتداولوه بينهم نهبا ... لا عين أبقوه ولا ورقا
والزرع حازوه بلا خجل ... ممن سقاه الدمع والعرقا
والضرع ، لا لحما به تركوا ... كلا ، ولا لبنا به غدقا
ما كان أحراهم وقد نعموا ... باللحم أن يدَعوا لنا المرقا
أتراهمُ بزمانهم وثقوا ... يا ويح من بزمانه وثقا
ما حرصنا أنا نعيش على ... أرض يعاني أهلها الرهقا
أقسمت ما نفسي بها ثمة ... فيها ، ولا قلبي بها علقا
ووددت لو بدني يطلقها ... ويبيت منها الروح منعتقا (٣)
سواسها متنافرون بها ... متبطنون البغض والحنقا

---

(١) الحين : الهلاك
(٢) العنق : ضرب من السير السريع .
(٣) يبغض الشاعر في هذه الأبيات في دنيا الشر لا الخير .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى كل قطر منهم فنن تركت به سكانه حرقا
وملاحم هوجاء ساعرة تذرو الجسوم ، وتسفح العلقا (١)
لم يكفهم أن بات كوكبهم متوجسا من « ذرهم » قلقا
حتى سما صعداً — بلا رهب — شيطانهم للسمع مسترقا
واخشينا مما يسلم بنا يوماً إذا صاروخهم مرقا
وتطايرت ذراتهم ومضت قُدما تمزق أرضنا مزقا
وأحاط بالأحياء مارجها عرما يبث الهلك والحرقا
ويل الكواكب من مناسرهم ما أقبح الأخلاق والخلقا
يبغون أن تمسى لهم وطنا كى ينشروا التوبه والملقا
ويلقنوا فيها رعيتهم حكم الهوى واللؤم والنزقا
ويلوثوا قوما بها طهروا ويسوءدوا أفقا لها يققا
قسما بها لو أنها لكمُ دانت لأطفأتم بها الفلقا
وتبدلت من حسنها بكمُ قبحا ، وعاد جديدها خلقا
ومشيتم فيها أباطرة وتخذتم أبناءها سُوقا
ونرى بها « دبا » يخاصمه « أسد » . وكل نابه زرقا (٢)

* * *

مهلا فإن العلم غركمُ فركبتمُ فى ظله الحمقا
لا تأمنوا عثراته بكم كم صاعد درج العلا زلقا
صان الإله سماءه ورعى ملكوته من شركم ووقى

على الجندى

عميد دار العلوم سابقا

---

(١) العلق : الدم .
(٢) إشارة إلى للصكرين المتخاصمين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يا شباب الفصحى

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

حضر إلى المدرسة التي أعمل فيها وفد من طلبة الأزهر للتدرب على التدريس وبعد انتهائهم من هذه المهمة أقاموا - مشكورين - حفل تكريم لهيئة التدريس بالمدرسة . وفي هذا الحفل ألقيت هذه القصيدة تحية للأزهر المجيد ولأبنائه الناهضين .

يا شباب الفصحى ، بكم تفخر الفصـــحى ، وتعتز أمة الإســـلام
قد نماكم للمجد أزهرنا السا ـ مي ، فرمتم في المجد أسمى مرام
مهنة الأنبياء ، وهي جهاد لا يبالي بالتضحيات الجسام
أهلها الماجدون أصل الحضارا ـ ت ، بَنَوْها بمرهف الأقلام
قل لمن رام شأوهم ، أو تجنى منكراً حظهم من الإعظام
إن خير البناة في ساحة المجـــد بناة النفوس والأفهام

* * *

قد نعمنا بكم زمانا قصيرا كان أشهى من أعذب الأحلام
وسعدنا بالعلم يُلقى ويُستنـــبط في دقة وفي إحكام
ورأينا الأخلاق كالزهر ، كالعطـــر ، كنور الصباح ، كالأنسام
وسمعنا شعرا كشدو القماريّ صفاء ، ورقة الأنغام
مرّ في مسمعي كما مرت البشـــرى على قلب عاشق مستهام
وسمعنا نثرا رشفناه خمرا رب نثر منه رحيق المدام
زعموها بنت العناقيد جهـلا وهي - لو يعلمون - بنت الكلام

* * *

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قد أردتم تكريمنا ، ولأنتم أهل هذا التكريم والإكرام
غاية الفضل أن يكون لك الفضـــــل ، وتلقى بالمدح فضل الأنام
رب شمس تقول ما أروع النو ر ، ومنها سحر السنا البسام !
وربيع يقول ما أجمل الزهـــــر ، ولولاه مات فى الأكمام !

* * *

يا شباب الفصحى غدا تتلاقى فى مجال رحب المدى مترام
فاجعلوا الدين فى الحياة رفيقا بل إماما ... أنعم به من إمام
واجعلوه وسيلة لحياة تملأ الكون بالهدى والسلام
واجعلوا علمكم منار اهتداء لعقول تقيه بين الظلام
وخذوا منطق القوى سلاحا يحفظ الحق من دعاوى اللئام
تعست أمة تحاول بالضعـــف بلوغ المنى ، ونيل المرام
إنما منطق الضعيف ضعيف وكلام القوى حد الحسام

* * *

نضر الله عيشكم ورعاكم وحماكم من سطوة الأيام

ابراهيم محمد نجا

لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام .

حديث متفق عليه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

---

١ — التفسير والمفسرون :

للأستاذ محمد حسين الذهبي .

نشرت دار الكتب الحديثة بعابدين هذا الكتاب الضخم فى ثلاثة أجزاء تقع فى أكثر من ألف صفحة من القطع الكبير .

والمؤلف عالم فاضل وأستاذ بكلية الشريعة وكان رئيسا سابقا لقسم الشريعة بكلية الحقوق العراقية ، والكتاب بحث قيم نال به المؤلف شهادة العالمية من درجة أستاذ فى علوم القرآن والحديث عام ١٩٤٦ .

تناول فى الجزء الأول المرحلة الأولى للتفسير ، وهى التى كانت فى عهد الرسول ، وقد برز فى هذه المرحلة ابن عباس وابن مسعود ، وعلى وأبى بن كعب ، كما تناول المرحلة الثانية للتفسير ، وهى عصر التابعين ، وقد برز فيها من رجال التفسير : ابن جبير ومجاهد وعكرمة وطاوس وعطاء فى مكة ، وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظى وزيد بن أسلم فى المدينة ، وعلقمة ومسروق والشعبى والبصرى وقتادة فى العراق ، أما الباب الثالث فقد تناول فيه المؤلف المرحلة الثالثة للتفسير ويعنى بها عصر التدوين ، حيث دون تفاسير الطبرى والسمرقندى والثعلبى والبغوى وابن كثير والثعالبى والسيوطى ، وجميعها من التفسير المأثور ، كما دون من التفسير بالرأى : الرازى والبيضاوى والنسفى والخازن وأبو حيان والنيسابورى والجلالين والخطيب وأبو السعود والألوسى ، ومن تفاسير المعتزلة ظهر تفسير القاضى عبد الجبار والشريف المرتضى والزمخشرى .

والجزء الثانى تناول المؤلف موقف الشيعة من التفسير ، وكيف تأثر الإمامية الإثنا عشرية بآراء المعتزلة وأثر ذلك فى تفسيرهم ، كما تأثروا بمذاهبهم الفقهية والأصولية فى تفاسيرهم ، وأهمها مرآة الأنوار للكازرانى ، وتفسير الحسن العسكرى ، ومجمع البيان للطبرسى ، والصافى للكاشى ، وبيان السعادة للخراسانى ، وكذلك تناول المؤلف موقف الإمامية الإسماعيلية (الباطنية) ، والبابية والبهائية ، ثم الزيدية ، والخوارج وفرقهم ، وكيف كان سلطان مذهبهم يغلب عليهم فى فهم نصوص القرآن .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى الجزء الثالث والأخير عرض المؤلف للتفسير الصوفى لكتاب الله : النظرى منه والإشارى . كما عرض لمذهب ابن عربى فى التفسير ، ومذاهب الفلاسفة وفى مقدمتهم الفارابى وابن سينا وإخوان الصفا . كما عرض أيضا للتفسير الفقهى والتفسير العلمى ، وختم الجزء بفصل مسهب عن ألوان التفسير فى عصرنا الحاضر ، وعن مذهب الأستاذ الإمام محمد عبده ، وتلميذه المراغى فى طريقتهما لتناول القرآن بالتفسير .

إن المؤلف عرض قصة التفسير عرضا قويا أمينا ، وكانت عنايته بالأمانة فى العرض أكثر من عنايته بالتحقيق فى مئات المسائل التى كان يجب الدقة فى تحقيقها . والمؤلف يحاول جاهدا الدفاع عن روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه ويربط بينهما وبين أمثال عبد الله بن سلام وهو صحابى مخلص الإيمان فى عهد الرسول ، كما أن المؤلف - وقد بذل فى بحثه جهدا مشكورا - لم يعط ما عرضه من نماذج للتفسير حقه من التحليل ولا سيما فى توضيح مناهجها .

هذا البحث وقف به المؤلف عند عام ١٩٤٦ حيث تقدم به لنيل شهادة العالمية من درجة أستاذ ، وقد استحدث بعض التفاسير فى الهند ومصر والشام ، وكنا نود أن يناقش هذا البعض الذى ظهر فى أكثر من ربع القرن الأخير ، ويستوفى بمناقشة رسالته هذه فى التفسير ، ولو كملحق لها ، إذا كان قصده الاحتفاظ بما كتبه للغاية التى نشدها .

إن كتاب (التفسير والمفسرون) خلا من عرض آراء كتاب الغرب الذين تصدوا فى آثارهم للتفسير ومناقشتها ، ولا نكران بعد ذلك فى أن الكتاب مرجع فى موضوعه ، له تقديره ومكانته فى المكتبة الإسلامية .

* * *

٢ — مناهج تجديد :

للأستاذ أمين الخولى .

هذا الكتاب الجديد الذى نشرته دار المعرفة بالقاهرة للأستاذ أمين الخولى ، هو مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، وهذه المناهج التجديدية قدمها المؤلف فى دراسات على مستوى رفيع من التعمق وسعة الأفق وسلامة الحكم فى القضايا التى أثارها .

فى الباب الأول عرض النحو : كواحد من مقومات حياتنا يجب أن يتطور مع تطور الحياة نفسها ، وأن يخضع لمقاييس الاجتهاد إذا أريد له الخلود .

وفى الباب الثانى عرض البلاغة وأثر الفلسفة فيها وصلتها بعلم النفس ، ومكانة مصر فى تاريخها ، ثم صورة عامة عنها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى الباب الثالث عرض التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم ، كواحد من العلوم الشرعية شغل - ولا يزال - يشغل الفكر الإسلامى ، حيث ارتبط ارتباطا وثيقا بكتاب الله .

وفى الباب الرابع والأخير عرض أستاذنا للأدب ، فتحدث عن علم النفس الأدبى ، وعن منهج تفكير الجاحظ : النقلى والنظرى والعلمى .

والكتاب مجموعة من الدراسات ألقى بعضها فى محاضرات ، وكتب البعض الآخر فى أبحاث هادفة . وهذه وتلك قصد منها شيئا واحدا ، هو التجديد الدائم فى قيمنا الفكرية ، والعلمية ، والأدبية ، إذ لا خلود لهذه القيم مع الجمود والتقليد وتهيب النهج على قدسية ما خلفه الأوائل لنا من تراث فكرى ، ومن النواميس الاجتماعية - كما يقول أستاذنا - أن تعد الفكرة حينا ما ، كافرة تحرم ، ثم تصبح عقيدة تعتنق ، وقد جرى هذا أمامنا فى حياة الفقه الإسلامى حديثا » .

ويهمنا فى هذا الكتاب حين نقدمه الدراسة الخاصة بالتفسير وموضوع التفسير يمس جانبا مهما من تفكيرنا الإسلامى ، فنحن ما زلنا نقدس تفاسير القرآن ولا سيما المنقول منها ، دون محاولة لتمحيصها ، على رغم أن من اشتهر بالتفسير من التابعين أمثال عطية بن سعد والسدى والكلبى ، ومقاتل ، وابن جريج ، هؤلاء لم يبلغوا مرتبة الثقة الكاملة فيما رووا عن ابن عباس الذى نسب إليه تفسير ضخم ، ولم يثبت عنه فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث كما يروى ذلك عن الشافعى .

ثم هذه الأحاديث النبوية المكدسة فى كتب التفسير المروى - فاشتملت - كما يقول ابن خلدون فى مقدمته : على الغث والسمين والمقبول والمردود ، وتساهل المفسرون فى ملء كتبهم بمنقولات عن عامة أهل التوراة ، هذه الأحاديث وغيرها من الإسرائيليات المدونة فى كتب التفسير ، يستعدى عليها أستاذنا أشياخ الأزهر لنقدها على هدى قواعد القوم فى نقد الرواية متنا وسندا .

* * *

٣ - الجانب العاطفى من الإسلام :

للأستاذ محمد الغزالى

هذا كتاب جديد للشيخ الغزالى ، جديد فى موضوعه بالنسبة لسابق مؤلفاته الإسلامية العديدة التى أصبح لها رواجها وتقديرها فى البلاد الإسلامية ، لما عرف فى كتابات الشيخ الغزالى من الجرأة والغيرة معا ، والإحساس بآلام الإسلام وشعوبه وقضاياه.

الكتاب يقع فى أكثر من ثلثمائة صفحة ، تناول فيه المؤلف جزءا من ثقافتنا الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لم يلق من الدراسة الحصيفة ما لقيته بعض شعب الإيمان الأخرى كفقه العبادات وفقه المعاملات ، وسائر الأحكام التى نظمت العلاقات بين أفراد الأسرة وأركان المجتمع .

فى الباب الأول : (الإسلام والإيمان والإحسان) أشار المؤلف إلى أنها كلمات ثلاث لا تعدو أن تكون عناوين شتى لحقيقة واحدة . . هى الدين ، والدين هو الإسلام إن نظرنا إلى السلوك الظاهر والعمل البين ، وهو الإيمان إن نظرنا إلى اليقين الباعث والعقيدة الدافعة ، وهو الإحسان إن نظرنا إلى كمال الأداء والوفاء على الغاية عند اقتران الإيمان الواضح بالعمل الصالح .

وفى الباب الثانى : (دعائم الكمال النفسى) يتحدث المؤلف عن نسبنا السماوى ، ويشير إلى أن الإنسان كائن عظيم حقا بيد أن عظمته ترجع إلى نسبه السماوى الروحى ، لا إلى نسبه الأرضى المادى ، ويتحدث عن الإلحاد كمثل للخيانة العظمى ، وعن جهاد النفس وتجارب المربين وقدرة الله سبحانه .

وفى الباب الثالث والأخير يعرض الشيخ الغزالى شارات الطريق إلى الكمال ، وليس لطريق الكمال نهاية يقف لديها المسلم ، فهو ما بقى حيا مكلف بالأمر والنهى ، مطالب بالنظر فى نفسه . وأول مراحل الطريق إلى الكمال التوبة ، ثم تتدرج هذه المراحل نحو الورع ، والعفة والقناعة ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل حتى تصل فى النهاية إلى الحب .

الشيخ الغزالى فى كتابه هذا ترك المعانى تنساب بين السطور دون تحديد معالمها ، وعلى الأخص فى الباب الثانى دعائم الكمال النفسى ، ولم يفعل ما فعله فى البابين الأول والثالث ، ومع أن الدراسة التى قدمها امتزجت بالطابع النفسى إلا أن استيعاب شئ من الأفكار الغربية للمقارنة أو الاستشهاد بما يؤيد الفكر الإسلامى كان موجزا للغاية ، ونحن حين نقدم دراساتنا الإسلامية إلى القراء يجب أن نعمل حساب القارئ المزود بالثقافة الغربية .

والكتاب أيضا ناضج التفكير من حيث الجانب الإسلامى وهو هدف الكتاب ، والموضوعات التى أثارها موضوعات حية تتصل بقيمنا النفسية والأخلاقية ، هذه القيم التى فرطنا فى جانبها فأصبحنا ـ نحن المسلمين ـ فى حال لا نحسد عليها .

* * *

٤ — فهم كتابة السيرة الشعبية :

للأستاذ فاروق خورشيد والدكتور محمود ذهنى :

نشرت دار الثقافة العربية بعابدين هذه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدراسات الواعية الناضجة بلغت صفحاته أكثر من ثلثمائة صفحة ، ومنهج هذه الدراسة يتجه إلى تصحيح وهم خاطئ يزعم أن هناك فى إنتاج أدبائنا الكبار ، وأسلافهم من أصحاب التراث الأدبى عازلا بين الفن والحياة بينما أدبنا العربى — منذ أن كان — انعكاس طبيعى لمجريات الحياة فى المجتمع الإسلامى بوجه عام ، والمجتمع العربى بوجه خاص . وما دام الأدب الشعبى فى حقيقته قد عبر عن الشعب العربى كله بمكوناته المختلفة وعناصره الجنسية المتعددة ، والثقافات التى صبت فيه قبل الإسلام وبعد الإسلام ، فالواجب أن نوجه اهتمامنا إلى الأدب الشعبى العربى الذى يتمثل فى السيرة الشعبية التى لا زالت تحتل جزءا مهما من كياننا الأدبى ، دون أن تمحص التمحيص الذى تستحقه .

يبدأ الكتاب بدراسة عن ملامح بطل السيرة الشعبية ، الذى يعكس فى الأعمال الأدبية حقيقة العلاقات التى تربط أفراد الجماعة فى المجتمع الذى أنشىء فيه العمل الأدبى ، وبدراسة أيضا عن مكان السيرة الشعبية ، والتعريف العلمى المعاصر يحدد مكانها بين التاريخ والأدب ، فهى تاريخ من حيث تناولها لحياة فرد له أهميته كموجه للأحداث فى عصره ... وهى أدب من حيث كونها تحمل انطباعات مؤلفها ، وتتلون بثقافته ووضعه الاجتماعى وموقفه من الحياة ، ثم يتناول هذا الباب الأول دراسة تطبيقية تحتمه علينا عنايتنا بتراثنا الأدبى ، ومما يعيب دراساتنا فى الأدب الشعبى أنها تقوم على نصوص ليست تحت أيدى الدارسين ، ومع أن النصوص موجودة فى واقع الأمر إلا أنها غير موجودة فى تصور الدارسين ، وهم قد اتخذوا فيها أحكاما جانبها التروى .

وفى الباب الثانى : يعرض الكتاب المقدمة الحجازية ، فالسيرة الحجازية تنفرد بفصل طويل يضم تمهيدا روائيا للقصة وهو تمهيد له أصالته وأهميته بما يحمل من سمات عرفت عن الرواية العربية .

وفى الباب الثالث : يعرض الكتاب فى أسلوب تحليلى شخصية عنترة بن شداد . ومرحلة الفروسية التى عاش فيها وكانت ملهما دسما للمؤلف ، ثم المرحلة الأسطورية وقد لعب فيها خيال المؤلف دورا مهما .

وفى الباب الرابع تتحدث دراسة الكتاب عن جهد المؤلف فى قصة عنترة ، فترى أن المؤلف فرد واحد عاش فى عصر واحد ، أو مجموعة من الكتاب معاصرين ومجتمعين فيما يشبه اللجنة لتقديم هذا الجهد الفنى ، أما أهداف مؤلف السيرة الشعبية فهى أهداف سياسية أو أهداف اجتماعية ، ومشكلة اللون تلعب دورها فى السيرة الشعبية وقد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وضح هذا فى قصة سيف بن ذى يزن ، وهناك بعد ذلك الأهداف الثقافية والدينية التى كانت ممتزجة باتجاه السيرة الشعبية .

وبعد فما لا ريب فيه أن المؤلفين الأستاذ فاروق خورشيد والدكتور محمود ذهنى قد قدما عملا فنيا ، كانت المكتبة الأدبية فى حاجة ماسة إليه ، وإن كانا لا يزالان يريان جهدهما فى حاجة إلى متابعة واستكمال وأنه ليس إلا بداية الطريق .

* * *

٥ — كما تحدث القرآن :

للأستاذ خالد محمد خالد

هذا الكتاب الجديد للأستاذ خالد الذى نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، كتاب خفيف الظل ، حاول فيه المؤلف أن يجلس بنا حول مائدة القرآن نتناول منها ما لذ وطاب من المعانى الحية الرحيبة ، التى كانت المعجزات العظمى التى حققها بما شاد من عالم ، وبما رفع من قيم ، وبما أضاف إلى الحضارة الإنسانية من أرصدة لا تغنى عن طريق الدنيا المسلمة التى أيقظها .

فى الفصل الأول تحت عنوان : (تلك آيات الكتاب) ، عرض المؤلف القرآن كما تحدث عن نفسه فى أكثر من مائتين وثلاثين آية ، تحدث فيها عن نفسه وطرح خلالها كل الأسئلة التى تتعلق به ، ثم أجاب عنها ، وفى الفصل الثانى : (بالحكمة والموعظة الحسنة) عرض الأستاذ خالد منهج القرآن فى أسلوبه التى يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة ، والذى وضع أسس مبادئ العلاقات الإنسانية فى البأساء والضراء . وفى الفصل الثالث : (وما يدريك لعله يزكى) يستعرض قصة ابن أم مكتوم فى سورة « عبس وتولى » ، وكيف رفع القرآن بها من قدر المواطن العادى ، وأنشأ له عالمه الكبير وأعده لتسلم الراية . وفى الفصل الرابع : (والله يسمع تحاوركما) يستعرض المؤلف قصة المجادله بين رسول الله وخولة بنت حكيم ، ويجعل منها نموذجا حيا لحرية الفكر ، وفى الفصل الخامس : (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) يعرض الأستاذ خالد قضية الدين كوحدة واحدة هدفها : الخير للبشرية جمعاء ، هكذا أراده الله ، وأراده البعض أداة منابذة وخلاف .

أما الفصل السادس والأخير : (ذلكم الله ربكم) ففيه يتحدث القرآن عن وحدانية الله ، وهو فى أروع حالات توقده ، وتألقه ، وتحفزه ، وسموه ، والقرآن حين يتحدث عن الله ، فإنما يتحدث عن الله الأحد ، فليس الله عنده إلا واحدا أحدا .

هذه لقطات سريعة الأستاذ خالد التقطها من كتاب الله عز وجل ، وكل لقطة منها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تحمل من المعانى الحية ، والقيم الإنسانية ، والمبادئ الأخلاقية ما شاء لها أن تحمل .

* * *

٦ — قبسات من الرسول :

الأستاذ محمد قطب

المؤلف من الكتاب القلائل الذين يعنون بالدراسات الإسلامية ، التى تتسم بالدقة والعمق معا ، وكتابه هذا صورة تطبيقية لمنهجه فى الكتابة ، وهو لقطات أيضا التقطها من حول مائدة الرسول صلوات الله عليه ، ليقدمها نماذج حياة من سيرة الرسول ومنهجه فى تربية النفس والعقل والمجتمع .

فى سبيل ارتباط الانسان بالحياة وتصحيح خطأ الزاهدين فيها يعرض المؤلف حديث الرسول : إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر » .

وفى سبيل ربط الإنسان المسلم بالعلم كوسيلة لنهضة أمته يسوق المؤلف مع التحليل حديث الرسول : «طلب العلم فريضة على كل مسلم» .

الحديث الثالث : إن الله يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، يعرض المؤلف فيه أخطر القضايا التى يؤسس عليها كيان الجماعة ، ألا وهى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهكذا يقدم الأستاذ قطب نماذج من أحاديث الرسول ، فى صور من القضايا الكبرى التى تعيش فى واقع حياتنا ، وهو حين يقدمها فإنما يقدمها فى دراسة تحليلية منطقية ، ويجعل منها مسائل يعنى بها المسلم العادى ، والمثقف الخاص الدارس للفكر الإسلامى ، ولم يفته من تقديمه هذه النماذج الحية من توجيهات الرسول ، حتى كانت هذه الأحاديث الجامعة متفقة الهدف فى إيجاد المسلم القويم الدين الناضج الفكر معا .

* * *

٧ — ديوان شاعر آل البيت :

الأستاذ محمود جبر

الأستاذ محمود جبر منذ ربع قرن وهو شاعر خفيف الظل فى شعره ، وقد حدد اشعره طريقه حين التزم مدح آل البيت حتى انفرد اليوم بلقب (شاعر آل البيت) وليس هناك أدنى شك فى إخلاص إحساساته نحو آل البيت ، ومن بين ثنايا شعره البالغ من الكثرة مكانا ملحوظا يبدو صدق إحساساته الشاعرية نحو آل البيت رضى الله عنهم .

وديوانه هذا يبدأ بقصائد يناجى فيها ربه تحت عنوان : (رشفات من خمر التوحيد) وتحت عنوان . « نبويات » يناجى الرسول فى قصائد عديدة ألقى بعضها بالروضة الشريفة ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأبرز هذه القصائد النبوية قصيدته التي عارض فيها نهج البردة تناول في بعض أبياتها المعاني والأحداث الجديدة في العالم :

وقد عقد المؤلف فصلا منها للإمام الحسين تحت عنوان « الحسينيات » وسجل قصائد للسيدة زينب بطلة كربلاء ، وكل آل البيت ، وتحت عنوان : « متفرقات » سجل في ديوانه قصائد عن القرآن والإسلام وبعض الأحداث الإسلامية والأحداث السياسية في بلاد المسلمين ، وفي دنيا الوفاء للإخوان والمجاهدين ورجال البر .

سجل الشاعر قصائد تنم عن خلق رفيع فيه ، لأنه لم يتجاهل أخا استحق الوفاء لصدق أخوته ، ولا مجاهداً استحق الوفاء لصدق جهاده

محمد عبد الله السمان

(بقية المنشور على صفحة ١١٧٨)

لأن أهم ما يعنى به الإنسان في حياته إن كان ذا خلق إنساني وذا سمو في الإنسانية هو الهدف الرفيع في الحياة ، ولا يكون الهدف في الحياة هدفا إنسانيا رفيعا إلا إذا كان من أجل الإيمان بنظام معين في الحياة ومن أجل العمل على تحقيق هذا النظام وتطبيقه .

أما احتمال العاجز عن الكسب سبيل الحصول على لقمة العيش ، واحتمال الضعيف بسبب المرض في سبيل أمل الشفاء ، واحتمال الجائع في سبيل انتظار ما يدفع به جوعه — فإن ذلك لون آخر ومدلول آخر للصبر ، ولكنه ليس ذلك الصبر الذي جعله الحديث الشريف نصف الايمان في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الصبر نصف الايمان) .

فإذا مال مفهوم الصبر بعد ذلك إلى هذا المدلول الأخير ، فإنه يكون قد مال إليه تحت تأثير الطابع الجديد للمجتمع الذي تحول إليه مجتمع المسلمين في أول أمره . ولا يكون هذا الطابع للمجتمع الجديد إلا الطابع المادي الذي يحمل الناس على السعي للحصول على سد حاجات الإنسان المادية ، بعد أن ضعفت الروابط بين الأفراد ، وخف تعاون بعضها مع بعض ، وبعد انصراف أفراد المجتمع نفسه عن النظر إلى المثل والقيم العليا والانصراف بالتالي إلى السعي الإنساني في سبيل تحقيقها أو صيانتها .

وهنا أيضا يمكن أن يكون مفهوم الصبر معبراً عن نوعين من أنواع المجتمع الإسلامي ، كما يكون تحول المجتمع الإسلامي نفسه صاحب الأثر الأول في نقل مفهوم الصبر من مدلوله الأول إلى معناه الثاني . وهنا كذلك يمكن أن نقول إن المجتمع القوي يضفي على المفهوم قوة مدلوله وهدفه ، كما أن المجتمع الضعيف نفسه يستطيع أن يذهب القوة ويستبدلها بضعف لنفس المفهوم الواحد .

البقية في العدد القادم

دكتور محمد البهي
مدير جامعة الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

العيد ولمن يكون

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

---

١ — حكمة الأعياد عند الناس :

الأعياد سنة فطرية ، جبل الناس عليها ، وعرفوها منذ القدم ... منذ عرفوا الاجتماع والتقاليد والذكريات ... فكان لكل أمة أيام معلومة ، تظهر فيها زينتها وتعلن سرورها ، وتسرى عن نفسها ما يصيبها من رهق الحياة وعنتها .

وعلى هذه السنة وجد النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار فى المدينة ، بعد هجرته إليها . يلعبون فى يومين ، ورثوا اتخاذهما عيدا عن الجاهلية ، فلم ينكر أصل الفكرة : فأباح اتخاذ العيد ، تحصيلا لمزاياه القومية والاجتماعية والدينية ، ولكنه استبدل بيومى الجاهلية يومين آخرين . ارتبط بهما ، فى تاريخ الإسلام بل فى تاريخ البشرية عامة ، ما جعلهما غرة فى جبين الدهر كله ، وهما يوم الفطر والأضحى .

٢ — نعمتا التشريع وإكمال الدين :

فيوم الفطر يذكرنا بالنعمة العظمى ، نعمة إنزال القرآن فى رمضان ، تلك النعمة التى كانت أساس التشريع لبناء دولة الإنسانية الموحدة ، دولة الهدى والرشاد ، دولة الصفاء الروحى والاستقامة العظيمة والتحاكم إلى الرحم ، دولة الحق والعدل والفضل ، دولة العلم والحكمة والتعمير والبناء ، وفى كلمة دولة العزة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة .

أما يوم الأضحى فإنه يذكرنا بنعمة الإكمال والإتمام لهذا البناء ، كما قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا » .

٣ — عيد الإسلام :

وإذا كانت الأمم الناهضة لا تعرف فى تاريخها أعز ولا أعظم من يومها الأول الذى وضع فيه أساس بنائها ، ويومها الثانى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى تم فيه صرح هذا البناء ، فما أجدر اليومين بأن يكونا عيدين ، تنقش فيهما ذكرياتهما ، وآثارهما ، وإيحاءاتهما ، على صفحات القلوب ، وأن يظهر ذلك كله على ملامح الوجوه ، وعذبات الألسنة ، وحركات الجوارح .

٤ — إيحاءات يوم الفطر :

وليوم الفطر إيحاءات بنعم أخرى ، فوق ما ذكرنا ، تلازمه ، فى كل عام ، باعتبار وضعه الزمنى .

(ا) نعمة الحرية : فهو أول يوم ، بعد رمضان ، تعود فيه إلى المؤمن حريته الشخصية فى مأكله ومشربه ، بعد أن سلمها إلى مولاه خلال رمضان طائعا مختارا ... إيذانا بأنه لا يضحى بها إلا فى سبيل ما هو أعز منها وهو رضوان الله ومغفرته ، أما فيما عدا ذلك ، فدون سلمها خرط القتاد .

(ب) فرحتان : وهو كذلك أول يوم بعد رمضان يشعر فيه المؤمن بفرحتين عظيمتين لهما أكبر الأثر فى حياته وقوتها ، فرحة القيام بالواجب . واجب الطاعة والامتثال لأمر الله ، وفرحة الثقة بحسن الجزاء من الله ، وهو ما يشير إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

٥ — مظاهر الفرح بالعيد :

لهذه الاعتبارات كلها جعل الله يوم الفطر عيدا للمسلمين فيه يتبادلون التهانى والتزاور ، وفيه يتعاطفون ويتراحمون ، وفيه يتجملون ويتزينون ، وفيه يتمتعون بطيبات ما رزق الله ، وفيه يوثقون بينهم عرى المحبة والإخاء . وحتى يتم كل هذا باسم الله وفى ظل رحمته ، جعل افتتاح هذا اليوم السعيد ، اجتماعا عاما للمسلمين ، يؤدون فيه جميعا ، على اختلاف طبقاتهم ، وفى صعيد واحد ، صلاة العيد ... يكبرون فيها ويهللون ويشكرون الله على ما هداهم إلى العطف على إخوانهم الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات فأغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم ، ووفروا عليهم هم للعيش ، فشاركوهم فى الصلاة وبادلوهم التحية والمحبة والهنئة والمودة ، ومن ثم يجمع المسلم فى يومه هذا بين اتصاله بربه عن طريق العبادة وبين الاتصال بالناس عن طريق التعاون والتراحم والإخاء .

٦ — لفتة إلى رمضان :

وإذا كنا بالأمس القريب قد استقبلنا شهر الصيام ، وتلونا قول الله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، كما خطبنا الخطباء على المنابر ، وحدثنا العلماء والكتاب فى الصحف والإذاعة شهراً كاملا عن مكانة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصوم فى الإسلام ، وعن أسراره وحكمته ، وعن مثوبة الله للصائمين ، وعما ينبغى أن يكون عليه الصائم حتى يفوز برضاء الله ومثوبته وعن ثورة السماء على الباطل التى تنزل بها القرآن ، فزلزلت عروش الفساد واهتزت صروح البغى والطغيان ... وهكذا خلقت لنا تلك الخطب والأحاديث جواً روحيا كان من حقه أن يدفع بالمسلمين جميعا ، فى ليلهم ونهارهم وفى سرهم وعلانيتهم ، إلى الصفاء والإخلاص وتطهير القلوب وصدق المراقبة وقوة العزيمة .

ولكن الواقع الذى نراه بأعيننا ، ونأسف له أشد الأسف ، ونحزن منه أشد الحزن ، أن هذا الجو الربانى الملىء بذكر الله ، وبتلاوة كلام الله ، وبالإشارة إلى أحكام الله ، لم يتأثر به المسلمون كما يجب أن يكون ... فقليل من المسلمين هم الذين أجابوا الدعوة وامتثلوا الأمر ، فصاموا ، وقاموا ، وراقبوا الله فى صومهم ، واتقوه فى قيامهم ، فصمموا أنفسهم من الشهوات ، وسموا بأرواحهم عن المدنسات ، وطهروا قلوبهم من الآفات ، وحفظوا جوارحهم من المعاصى والمخالفات .

٧ — لمن يكون العيد :

فهؤلاء النفر ، وحدهم ، هم الجديرون أن يكون لهم العيد وأن تتجه إليهم أحاديث العيد وأن يقصدوا بالتهانى فى أيام العيد ... أما أولئك الذين عبثوا بالشخصية الإسلامية فى ركن من أركان الدين ، وشعيرة من شعائره المقدسة ، وأطلقوا أنفسهم ، خلال شهر المراقبة ، على عادتها ... تدبر المكائد وتنفث سموم الفتن ، وتذيع الأراجيف ، فيفرقون قلوبا متحدة ، وصفوفا متراصة ، ويزعزعون إيمانا قويا نقيا ، ويشوهون جمالا وجلالا ، ثم يضعون الأشواك والعقبات أمام المجاهدين الصادقين ، والعاملين المخلصين ، فليس العيد لهم أبدا فى شىء من معانيه ، فالعيد إنما يكون لمن صام رمضان وأدرك أنه بصومه قد أدى شكر الله على نعمته العظمى ، التى أنعم بها على عباده فى مثل هذا الشهر ، وهى نعمة إنزال القرآن ... ثم جرد نفسه لإحقاق الحق وإقامة العدل ، وتوثيق عرى الإخاء . ثم كان بعد ذلك القدوة الحسنة والمثل الحى فى الدعوة بالعمل إلى العمل ، وبالإخلاص إلى الإخلاص ، وبالانتظام إلى النظام ، وبالجهاد إلى الجهاد ، وبالبذل إلى البذل ... وهكذا يدعو فيعمل ، ويقول فيفعل ، هذا فقط هو الذى ينبغى أن يتجه إليه بحديث العيد ، وهو وحده الذى يكون له العيد .

٨ — رجاء :

وإنى لأرجو الله أن يهب لكل من أخلصوا فى صيامهم ، وصدقوا فى قيامهم وتوجهوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى الله بقلوبهم - قوة إيمانية يكافحون بها الإلحاد ، ويحطمون رأس الفساد ، بعد أن يحفظوا أنفسهم وإخوانهم من الرق والطيش والذل والعبودية لغير الله . فيكونون بذلك مثلا حية ، وقوى مخلصة ، تقوم من شأن الآخرين ، وتسدد خطاهم ، وتأخذ بيدهم إلى الصراط المستقيم... وبذلك تتراص الصفوف وتتعانق القلوب، ويتوحد الاتجاه ، وتتحقق الأهداف ... وحينئذ يصدق معنى العيد ، فتعم التهنئة ، ويشمل الرضى والغفران .

٩ — دعاء :

كما أسأل الله بقلب يذوب من جلاله ، ثم يعود فيتماسك من جماله ، أن يجعل هذا العيد فاتحة عهد جديد ، يعود فيه إلى الإسلام مجده ، وإلى المسلمين النصر والتمكين .

١٠ — الموسوم والعلم والسلام :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر بمكتبه الأديب اليوغسلافي مستر اندروفيتش الحائز على جائزة نوبل في الأدب ويرافقه الدكتور عبدالمحسن الخشاب ومستر بويتش الملحق الثقافي بسفارة يوغسلافيا في القاهرة وقد تناول الحديث في هذه الزيارة كثيرا من الجوانب الإسلامية في تقدير العلم والعلماء ، ودعوة الإسلام إلى الحرية والسلام .

وقال الأستاذ الأكبر : « إن الأزهر ليسر بزيارة العلماء ، لأنه يرى أن العلم أساس الحياة ، فقد خلق الله الإنسان بداعيتين : داعية العلم وداعية عبادة الله وحده ، فيسر له سبل العلم وخلق له السمع والبصر والفؤاد وكل الحواس ليصل بها إلى العلم « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، لعلكم تشكرون » .

ونوه بفضل العلم في أول كلمة نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم « اقرأ باسم ربك الذي خلق . . . » .

فعلم الإنسان في أرضه طبقات الأرض ، وعلمه في سمائه طبقات السماء ليستخرج منها كل ما يحقق السعادة للبشر، والخير للإنسانية، ولهذا يدعونا ديننا إلى تكريم العلماء والأدباء لأنهم دعاة الخير . والمبشرون بالسلام ، ولو فهم الناس كلمات الله في السلام والأمان لما خرج سيف من جرابه ، ولما فجرت قنبلة لإبادة الإحياء .

وإن الأزهر ، وهو الحريص على دين الله ومبادىء الإسلام ، ليعمل ما وسعه العمل على نشر روح المحبة والسلام في جميع أنحاء العالم .

ومن أجل هذا نحييك ، ونرحب بك باعتبارك عالما ، وداعيا إلى الخير .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١١ — وحدة العقيدة :

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه وفد جماعة الدعوة والتبليغ الباكستانى ، ويضم عدداً من أساتذة مدرسة « كاشف العلوم » وكلية التليفونات والحربية .

وقد تحدث إليهم فضيلة الإمام الأكبر عن أثر التزاور فى تقوية الروابط بين المسلمين وتعاونهم فى سبيل الحق والخير ، وأثر علماء المسلمين الباكستانيين والهنود فى خدمة الإسلام والدعوة إليه والتمسك بحبل الله .

ثم قال : « إن من أعز أمانى أن التقى بإخوانى المسلمين فى شتى أقطار الأرض وبخاصة إخوانى الباكستانيين الذين أرجو أن يشد الله بهم أزر المسلمين . وإن أعظم شىء يقوى الرابطة بين المسلمين هو أن يتزاوروا ، ولقد كنتم أصحاب الفضل إذ بدأتم بالزيارة .

ثم قال فضيلته : « إن النداءات التى خاطب بها القرآن المؤمنين تلتقى كلها حول وحدة العقيدة .

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ... » .

فالإسلام وحدة تجمع ولا تفرق ، وتقوى ولا تضعف وهذه رسالتى ووصيتى إلى إخوانى الباكستانيين أحملكم أمانة تبليغها .

وإن أخوة الإسلام التى تجمع بيننا جميعا دون أن يفرق بينهم اختلاف اللون أو الجنس أو اللغة لهى الأساس الذى يقوم عليه ديننا ، وعلى هذا الأساس يجب أن تكون جهود المسلمين ... ومنذ نشأة باكستان ونحن نؤمن بأنها ستكون سنداً قويا للنهضة الإسلامية وأنها ستعمل إلى جانب مصر لتنقية الدين من البدع والخرافات وإظهاره فى جوهره النقى الأصيل .

وفى ختام المقابلة أهدى الوفد إلى فضيلة الإمام الأكبر الجزء الأول من كتاب (حياة الصحابة) للشيخ أحمد يوسف العالم الإسلامى الهندى .

تعاطى الترغيب والتشويق والمضغة مفطرة :

أرسل السيد الأستاذ محمد نجومه — نظارة معارف سيها فزان ، ليبيا — خطابا إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر هذا نصه :

بعد التحية ، فقد سعدنا بالاستماع إلى حديثكم القيم المذاع بالراديو مساء يوم الثلاثاء ٨ رمضان المبارك ١٣٨١ هـ الموافق ١٣ / ٢ / ١٩٦٢ م والذى أفدتم به أن كل شىء لا يدخل المعدة من المدخل الطبيعى للطعام والشراب وهو الفم — أفدتم أن كل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا لا يعد مفطراً ، وبما أن بلية التبغ المنتشرة فى البلاد تكاد تكون شبيهة بما ذكرتم ، أحببت أن أتشرف بسؤال فضيلتكم عن حكم استعمال أنواع التبغ وهى عندنا بليبيا على ثلاثة :

١ ـ التدخين : وهذا بطبيعة الحال طريقه القصبة الهوائية فالرئتان .

٢ ـ النشوق : وهو مسحوق التبغ ينشق به من الأنف فلا يتعداه .

٣ ـ المضغة : وهى قطعة من ورق التبغ تلاك فى الفم ثم يطرح الريق إلى الخارج ، وأظن أن هذه الطرق فى الاستعمال لا تدخل المعدة .

فالرجاء من فضيلتكم إفادتنا من حيث أفادكم الله وهو ولى المحسنين .

وقد أجاب فضيلته على السيد محمد نجومة بخطاب هذا نصه :

« إجابة على استيضاحكم عن أثر التدخين ومضغه وتعاطى النشوق على الصوم ، أفيدكم أنه بالرجوع إلى الأطباء والإخصائيين تبين أن هذه الأشياء الثلاثة تصل إلى المعدة عن طريق اللعاب ، فالدخان حين تدخينه أو مضغه يثير اللعاب ، ومن ثم يذوب فيه بعض أجزاء النيكوتين ، وهو المادة الفعالة فى الدخان ، ثم يحملها هذا اللعاب كما يحمل ما يتسرب إليه من أجزاء النشوق إلى المعدة عن طريق المرىء ، وإذا كان الأمر كذلك كان استعمال أىّ من هذه الأشياء الثلاثة خلال نهار رمضان مفطراً .

وفقنا الله وإياكم إلى الفقه بأحكام الدين وتحرى الصحيح منها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود شلتوت

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بريد المجلة

ماذا صنع بنا الاستعمار؟ :

فى العدد الأخير من مجلة (دعوة الحق) التى تصدرها وزارة الأوقاف المغربية بالرباط للعناية بالشئون الإسلامية والعربية ، قرأنا هذا الخبر .

« أصبح الزعيم الجزائرى أحمد بن بيلا يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة ، بعد ما كان يجهلها تماما عندما اعتقله الفرنسيون وقد استغل مدة إقامته فى السجن فتعلمها . . ! »

وفى مؤتمر كتاب أفريقيا وآسيا الذى انعقد من ١٢ - ١٦ من شهر فبراير الماضى بالقاهرة ، جاء دور رئيس وفد الجزائر فى تولى رياسة المؤتمر ، ولم تمض إلا دقائق حتى أعلن تنحيه عن كرسى الرياسة لأنه لا يعرف اللغة العربية ولا يستطيع متابعة المناقشات التى تدور بها فى جلسات المؤتمر . . ! هكذا اعتذر السيد / مصطفى الأشرف رئيس وفد الجزائر . وأشهر شعراء الجزائر محمد ربيع ، وأشهر كتابها محمد ديب ما زالت قصائدهما وقصصهما تطبع باللغة الفرنسية ثم تترجم إلى العربية !

هذه أخبار قد يقرأها العربى المسلم فيتملكه العجب ، إذ كيف يناضل زعيم عربى مسلم كابن بيلا طغيان الاستعمار ، وهو أعزل من سلاح اللغة ، لغة وطنه التى أعلن الثورة على فرنسا من أجله ، وكيف كان يتسنى للزعيم أن تتجاوب روحه مع روح الشعب الجزائرى المناضل الذى دفع به إلى مقعد الزعامة ، وهو يفقد الوسيلة الكبرى للتفاهم مع الجماهير . . ؟

ولكنه الاستعمار الفرنسى الغاشم . . الاستعمار الصليبى الذى تسلل من قلب أوربا ليثأر لهزائم الجيوش الصليبية فوق أرض عربية هى قطعة من الوطن الاسلامى . . الجزائر . وليس له هدف إلا أن يأتى على أعظم مقومات شعب مسلم من دين ولغة وأدب .

استطاع أن يتعقب اللغة العربية ويطاردها حتى حصرها فى عدد ضئيل من الكتاتيب ، وبقضائه على لغة القرآن أصاب الاسلام فى الصميم . هذا الاستعمار لم يدع وسيلة لمحاربة اللغة العربية إلا توسل بها . ومن المهازل المضحكة أنه فى شمال أفريقيا ، بينما يطارد اللغة العربية كان يعمل على إحياء لغة البربر هناك ، مع أنها لغة غير مكتوبة ، وليست قائمة على قواعد وأصول ، وهو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى وضع لها قواعد وأصولا من نسج خياله ليستعين بها على محو اللغة العربية . وعلى تمزيق أوصال الشعب العربى الواحد .

إننا نبعد كثيراً عن الحقيقة حين نتوهم أن هدف الاستعمار الغربى الصليبى فى بلاد المسلمين يقف عند حد السيطرة السياسية ، وابتزاز خيرات البلاد ، ونخدع أنفسنا ونتجاهل أن هدفه الأساسى القضاء على الإسلام نفسه ، وعلى اللغة العربية لغة القرآن .

فى حرب إيطاليا ضد ليبيا كان من نشيد جنود إيطاليا :

« يا أماه .. أنمى صلاتك ولا تبكى .. بل اضحكى وتأملى ...

« ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا ...

لأبذل دمى لسحق الأمة الملعونة . !

لأحارب الإسلام الذى يجيز تعدد البنات الأبكار للسلطان .. !

سأحارب بكل قوتى لأمحو القرآن .. !

إن الألمان الذين وقعوا فى الأسر فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية جاهدوا فى سبيل تعليم اللغة الألمانية للمصريين المعتقلين معهم ، على أن يعلمهم المصريون اللغة العربية . وقد ضربوا عصفورين بحجر : وفوا لوطنهم واعتزوا بلغتهم ، وأضافوا إليها لغة العربية التى قد يحتاجون إليها جديدة وهى اللغة فى المستقبل .

إن بعضا من أدباء الجزائر هاجروا من فرنسا أو الجزائر وهو لا يعرف عن اللغة العربية شيئا ، ولكن هذا البعض لم يدع فرصة دون أن يتلقى دروسا فى اللغة العربية حتى أتقنها ، وأصبح اليوم يجيدها قراءة وكتابة لأنه كان على يقين من أن اللغة الوطنية من أقوى مقومات الوطن ؟

محمد عبد الله السمان

مفرد شمائل :

اختلفنا فى مفرد شمائل فمن قائل إنه شميلة ومن قائل إنه شمالة فنرجو أن تعينوا المفرد الصواب منهما ولكم الشكر .

محمد رءوف

طالب بكلية آداب القاهرة

المجلة :

... مفرد الشمائل شمال بالكسر لا شميلة ولا شمالة : قال عبد يغوث :

ألم تعلما أن الملامة نفعها
قليل وما لومى أخى من شمالیا

وقال لبيد وقد جمع المفرد والجمع فى شطر واحد .

وهم قومى وقد أنكرت منهم
شمائل بدلوها عن شمال

الاقتباس من القرآن :

اعتاد الكتاب والشعراء أن يضمنوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مقالاتهم وكتبهم وأشعارهم بعض آيات من القرآن الكريم وربما لم تكن هناك أدنى صلة بين المقال والموضوع الذى نزلت الآية فيه . لذلك عد العلماء هذا النوع من الاقتباس من النوع المحرم الذى لا تسيقه الأذواق المؤمنة ... وفى ذلك يقول الإمام الحجة أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية فى كتابه « كنوز العرفان فى أسرار وبلاغة القرآن » . يقول فى مبحث الاقتباس ما يأتى : — « ... وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء فى أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التى هى من جملة رسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموا ذلك اقتباسا من القرآن . وهذا مما قد نهى عنه جلة العلماء وأفاضل الفقهاء الأتقياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئا من ذلك أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه — ثم جئت على قدر يا موسى — وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذى أريد به ... فمن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السرى حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه — لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا — بل أنتم بهديتكم تفرحون — وقال لرسوله — إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم ساغرون — وأوحش من ذلك وأعظم منه قول الشاعر :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف
بما جناه وانتهى عما اقترف

لقوله : قل للذين كفروا
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

إلى أن قال : هذا وما أشبهه مما يعدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغى أن تعاف النفوس مساغه وهو مندرج فى التحريم لما فيه من عدم الاجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم . وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم ؟ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

محمود حمدى زقزوق

تعليق على تعليق

قال المرحوم الأستاذ أحمد أمين إن الإسلام يطلق على الانقياد القهرى ، وعلى الانقياد الاختيارى ، فالأول يشمل كل من خضع وانقاد بحكم خلقته . أى فهو مقهور تسرى عليه قوانين العالم ، ولا يستطيع الخروج عليها ، وفى هذا قال سبحانه « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون » . فكل من فى السموات والأرض

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مسلم بهذا المعنى ، أى خاضع لله ، مطيع لما وضع فى العالم من قوانين .

ثم جاء فى الإسلام بمعنى الانقياد الاختيارى قوله تعالى « فقل أسلمت وجهى لله » وهذا يفيد أن المسلم هو الذى رضى بطاعة الله فيما كلفه من شرع ، وبهذا المعنى تطلق كلمة المسلم على كل من خضع لله طوعاً ، وأطاع أى نبى من الأنبياء . فأتباع الأنبياء كلهم مسلمون بهذا المعنى ، وفى هذا قال يعقوب « يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

ثم خصصت كلمة الإسلام أخيرا فى الدين الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم .

وكلام المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى هذا واضح . لا غبار عليه ، لأن الإسلام الذى معناه الانقياد لما يريد الله كرها المعبر عنه فى موضع آخر بالسجود يعم كل المخلوقات . قال سبحانه : « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » ولا شك أن هذا المعنى الذى يشمل حتى الجمادات لابد أن يشمل الكافر قطعاً .

وقد علق الأستاذ عبد الرحيم فوده على هذا القول فأنكر أن يكون معنى الآية يفيد أن الكافر يقال له مسلم بالمعنى العام ، وقال إن سابق الآية ولاحقها يخالفان ما يقول . وقد قرأت سابقها ولاحقها فلم أجد ما يخالف كلام المرحوم أحمد أمين .

ولوضح كلام الأستاذ فوده من أن الإسلام فى آية « وله أسلم من السموات والأرض طوعاً وكرها الخ » . معناه الخضوع للشرائع طوعاً فقط لترتب على ذلك محظوران :

أولا : أن يكون جميع من فى السموات والأرض مسلمين بالمعنى الذى ذكره هو . وطبعا لا يكون فى الأرض كافر قط . وهذا خلاف الواقع .

ثانيا : أنه يلزم أن يكون الملائكة مكلفين بالشرائع ، والمعلوم أن الملائكة مجبولون على الطاعة ، ولا قدرة لهم على المعصية .

ومعنى الآية على الوجه الذى قدره المرحوم أحمد أمين هو تسفيه رأى المشركين فى اتخاذ آلهة غير الله يتقربون إليها ، وليس فى الوجود من خضع له كل شىء غيره تعالى ، ولا يستحق أن يكون إلها إلا من كان كذلك .

هذا ما بدا لى فى هذا المقام ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

محمد فخر الدين
آداب عين شمس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق الأستاذ عبد الرحيم فودة

والرجال عليهن درجة :

ترى هل غبن الإسلام المرأة إذ جعل للرجل عليها درجة كان له بها رياسة الحياة الزوجية . . ؟ ألم يكن الأقرب إلى طبيعة الإسلام دين المساواة أن يسوى بين الشريكين فيجعلهما فى منزلة سواء . . ؟ فيرضى بذلك الغربيين والمتغربين فى هذا القرن العشرين ـ ولكن . هل المساواة المطلقة من صالح الطرفين . ؟ وهل الطبيعة ساوت بينهما فى القوى والملكات ، وفى الأعباء والواجبات حتى نطالب الإسلام برعاية هذه المساواة . ؟

أو أن الضرورة قاضية بوجود الرياسة فى المنزل كضرورة الرياسة فى كل أمر ذى بال فللقرية رئيس ، وللمدينة رئيس ، ولكل مصلحة من المصالح رئيس ، وللوزارة رئيس وللدولة رئيس . والإسلام دائما يطلب هذه الرياسة ويحرص عليها لتحديد المسئولية ، ولو فى الأمور العارضة ، فإذا حضر اثنان أو أكثر لفريضة الصلاة أمهم واحد منهم ، وإذا خرج ثلاثة فى سفر أمروا أحدهم .

ويقضى العقل والحكمة أن تكون الرياسة لأقدرهم عليها . وأصلحهم لها ، وتفرض أمانة الإسلام ذلك وتوجبه . وفيه يقول الرسول : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله .

ولن تكون المرأة موضع الرياسة ما لم يكن ذلك نقصا فى الرئيس الطبيعى ، لأنها بضعفها الجسمانى . وملكاتها . وغرائزها . ووظيفتها فى البيت تكلف ما ليس فى وسعها أن تحسن القيام به إذا أسند إليها تلك الرياسة . ثم هذا الرجل . مالك البيت . والقائم بنفقته ورعايته وحمايته . كيف لا يكون صاحب الكلمة العليا فيه . ؟

فدرجة الرجال فى الإسلام هى درجة الواقع المحسوس من عالم الأحياء ، وهى درجة تضاعف الواجبات وتزيد فى الأعباء ، وهى درجة تقفهم موقف المسئولين عن أنفسهم وعمن حولهم ، وهى درجة تصلح بها الحياة ويستقيم عليها الأمر .

إن خضوع المرأة لشريكها الرجل أمر طبيعى لا غبار عليه ، إذ لابد للأسرة وهى المجتمع الصغير من رئيس مسئول يكون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفيصل فيما يعرض من مشاكل وأزمات .

وإن هذه المسألة من الأصالة والوضوح بحيث نرى المرأة السوية لا تسرها هذه الرياسة إن سلمت إليها ، ولا يرضيها من الرجل أن تكون مالكة أمره والمهيمنة عليه . ولدينا الأمثلة من الحياة كما عند الكثيرين ولا ريب ، وهذه كاتبة إنجليزية تقول : « لا تتعلق المرأة بالرجل الذى تديره كيف تشاء . وما ذلك إلا لأن المرأة تعلم أنه لا يمكن الاستناد إلا إلى ما كان صلبا متينا ، فلا غرابة إذا احتقرت من كان ألعوبة فى يديها :

ويقول الأستاذ هنرى ماريون فى مثل هذا المعنى : فقد تبين لنا الآن لماذا خضعت المرأة للرجل ، وأيضا لماذا يتحتم عليها ذلك الخضوع إلى حد ، وإلا انقلب النظام البشرى رأسا على عقب . بل لو أراد البشر خلاف ذلك لكان لهم فى طبيعة المرأة : فى تركيبها وخلقها ومزاجها . ما يحول دون تنفيذ مرادهم : ثم يقول : إن خضوع المرأة أمر مكروه متى رافقته خشونة الرجل وفظاظته ولكنه طبيعى متى عدله تقسيم العمل . ولطفته روح العدل والإنصاف ، بل ليس ذلك الخضوع إهانة ومذلة ، إذا نشأ عن تفاوت ضرورى للتآلف والتوافق ، وكان أساس الوحدة العاملة وهى الجرثومة البدائية فى تكوين الجمعية البشرية ، كما تتآلف الأعضاء وتتوافق فى خدمة الجسم البشرى » .

فهذا الخضوع إذا كان ضرورياً كما رأيت فهو فى الإسلام خضوع الرأى والمشورة والسمع والطاعة ، لا خضوع الذل والعبودية أو العنف والاستبداد . فالإسلام يوجب على الرجل الرفق والكياسة والعطف وينهاه أن يستبد أو يجور ، بل لقد طالبه أن يحتمل من المرأة أخطاءها ، وأن يغفر لها هفواتها وأن يحسن إليها . لافتا نظره إلى طبيعة المرأة وما جبلت عليه حتى لا يلح فى حسابها طمعا فى إقامتها « استوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن خلقن من ضلع ، وإن اعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيرا » وفى رواية : « المرأة كالضلع . إن أقمتها كسرتها ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » رواهما البخارى ومسلم .

فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من طبيعة المرأة عذراً لها فى الصفح عن هناتها والتجاوز عن أخطائها ، وليت شعرى هل يكون الخير للمرأة والرجل إلا بهذا العوج ، وهل يستقيم الحال بعقل مثل عقل الرجل ، وعاطفة كعاطفة الرجل ، وجسم كجسم الرجل .

من كتاب المرأة فى الإسلام
للأستاذ « كمال أحمد عون »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زينة المرأة

قال بعض القدامى :

إن المليحة من تزين حليها
لا من غدت بحليها تتزين

وقال غيره :

منعمة لم تلبس الوشي زينة
ولكن أحبت أن تزان الملابس

وقال بعض المحدثين :

إن المليحة من كانت محاسنها
من صنعة الله لا من صنعة (البُدَر)

من مقال للأستاذ « على الجندى »
فى مجلة صحيفة دار العلوم

المجد والجمال

والمجد عند الغانيات رغيبة
يبغى كما يبغى الجمال ويعشق

« شوقى »

دور الأدب فى المجتمع الاشتراكى :

أصبح طبيعيا أن يكون الأدب دور فى بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد . بل أصبحت هذه وظيفته ، وإذا كان فى أدبنا العربى قديما وحديثا أصوات متباعدة تنادى بالعدالة الاجتماعية والتعاطف الاجتماعى من مثل قول الشاعر القديم .

فلا مطلت علىّ ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

إلى الروائع المعروفة فى أدبنا الحديث ، إذا كان ذلك فإننا الآن إزاء حركة اشتراكية جذرية تنظيمية شاملة ، من ألزم الأشياء أن يعبر عنها الأدب . ويترجم حقائقها وقيمها إلى صور جمالية تحرك النفوس وتطور الأفكار .

وحركة الأدب الاشتراكى التى تبدأ الآن بطريقة جذرية شاملة مع الحركة الاشتراكية نفسها ستأخذ طريقها بجدة صاعدة غير ملتفة إلى الواقفين ينظرون متسائلين : ما هو الأدب الاشتراكى ؟ وما علاقة الأدب بالاشتراكية .؟ وهل هناك أدب اشتراكى وأدب غير اشتراكى .؟ إلى آخر هذه الأسئلة المستنكرة التى عهدناها فى مناسبات سابقة من أنصار الفن للفن متذرعين بالحرية والجمال والصدق الفنى .

وكلمات الحرية والجمال والصدق لو تعمقنا معانيها لوجدناها فى صالح الأدب الهادف إلى بناء المجتمع وتقدم الحياة ، فالأديب مواطن كأى مواطن صالح يعمل فى خدمة المجتمع ، ويدخل الأغراض الجماعية فى وجدانه ومشاعره فيعبر عنها من داخل نفسه ويدافع حريته . فكيف ننكر على الأديب حريته فى تعبيره المتجه نحو أهداف المجتمع ، ونشيد بالحرية التى يستعملها الأديب فى الانزال والبعد عن أغراض الجماعة . . ؟ أليس هذا الأديب مثل الجندى الذى يستعمل حريته

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى التخلف عن الدفاع . والجاهل الذى يستعمل حريته فى الامتناع عن التعلم . . ؟ ثم أليس الأديب الفردى مستعبداً لقوى الفردية فى نفسه . . ؟ ولماذا لا يكافح هذه القوى ويتحرر منها إن كان حقا يطلب الحرية . . ؟ ولماذا لا يتأمل فى نفسه ويخلصها من استعباد القوى الرجعية الكامنة فيها .

وكذلك الجمال . . فمن قال إن استهداف الأدب أو اشتراكيته معناها إهمال جمال الفن وإهدار متعته . . ؟ ولست أدرى لماذا يكون التعبير عن الوجدان الفردى جميلا وفنا أصيلا ولا يكون التعبير عن الوجدان الاجتماعى مثله على الأقل فى الجمال وأصالة الفن . . أما الصدق . . فنحن لا نريد من أحد أن يزور مشاعره ، إنما نريد من الأديب أن يشكل نفسه بحيث يتشرب المثل والقيم الاشتراكية ، بحيث يكون إنسانا ، فلست أرى فرقا بين الاشتراكية والإنسانية ، بمعنى أن كلا منهما يهدف إلى العدل والتعاطف بين الناس ، ثم يعبر بصدق عن أهداف الاشتراكية النابعة من نفسه الممتزجة بوجدانه .

وهل يعد الشاعر الذى يعبر عن آلام البعاد وتباريح الهوى . وما يصيب فؤاده من سهام النظرات ، هل يعد هذا الشاعر صادقا فى تعبيره ولا يعد كذلك من تشربت نفسه حب المواطنين وسعى لخيرهم والتعاطف معهم ، أو من خالط مشاعره حب العمل وأحب الآلة فى المصنع أو النبات فى الأرض الطيبة . أو الحبيبة التى يحبها كإنسانة تشاركه الكفاح والهناءة . . ؟

أيهما أجدر بالتقدير والاحترام . . الصدق الفردى المستغرق فى العزلة واللذات الشخصية . أم الصدق الجماعى الذى يستهدف الخير العميم . . ؟

من جريدة الأهرام

« للأستاذ عباس خضر »

عبد الرحيم فوده

ربيعك فى نفسك

كنت كلما أقبل أبريل بالربيع تاتيه وفى نفسى بهجة الطفل . وفى عينى وضاءة الجنة ، وفى قلبى صبوة العاشق ، وفى حسى نشوة الشاعر ، وعلى لسانى أغرودة البلبل ، ثم أجدنى بعد همود الشتاء وعبوسه قد تجاوبت مع الطبيعة ، فأنضر مع الغصن ، وأنفتح مع الزهر ، وانطلق مع النسيم ، وأمرح مع الطير ، وازدان مع الروض ، وأقضى أواخر النهار على ضفاف النيل ، وأوائل الليل فى ملاهى القاهرة . فأجد لكل شىء جمالا ، وفى كل عمل لذة . وعلى كل منظر فتنة !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما اليوم فإنه يقبل به عليّ فلا ألقاه ، وإذا لقيته لا أراه ! ذلك لأن ستاراً من ظلام النفس يفصل بين عينى ونوره ، وحجاباً من كآبة العيش يحول بين قلبي وسروره !

فأنا أمشى فى شارع ٢٦ يوليو - إن مشيت - فأرى حياة الربيع من حولى تتدفق باللهو ، وتتألق بالجمال ، وتتأنق بالزينة ، وأنا محمول على عبابها المضطرب ذاهل الوعى بارد الحس خامد الحركة ، كأنى جثة قتيل على سطح نهر ، تمور الأمواه تحتها بالحياة ، وتزدهى الشطئان حولها بالنضارة ، وهى تجرى إلى مصيرها المجهول لا تتصل بالكون ولا تشعر بالوجود !

وأنا أغشى مسرح اللهو - إن غشيت - فأرى الوجوه تهش ، والثغور تبسم ، والعيون تقول ، والقلوب تصغى ، وأنا جالس إلى المنضدة الرخامية لا أجد بينى وبينها فرقاً فى الجمود والبرود ! فمثلى كمثل الأصم الأصلخ فى المرقص الصاخب : يرى أفواهاً تنفخ فى مزامير ، وعصياً تضرب على طبول ، وأجساداً تلتصق بأجساد ، وشفاهاً تنفرج عن ثغور ، ثم لا يسمع أنغام العازفين فيطرب ، ولا يدرى كلام الراقصين فينتعش !

لقد خبت وقدة القلب وعادت جمرته رماداً !

أذلك لتقدم السن ، أم ذلك لتأخر الصحة؟ لا يا صديقى ! لا تقدم السن يؤخر الربيع ، ولا تأخر الصحة يقدم الخريف . ما دامت فيك حياة ففيك شعور ، والشعور إن يبلد يدرك الحس فى جمال الطبيعة ؛ وإن يرهف يدرك الروح فى حس الجمال ، إنما هى الحياة العفنة التى نحياها اليوم فى مصر[1] ! مستنقع من الماء الآسن ، تنعقد عليه أبخرة خانقة ، وتنبعث منه روائح خبيثة ، وتطن فوقه حشرات سامة . فإذا لم يؤتك الله المشاعر السحرية التى تجعل الظلام نوراً ، والبخار بخوراً ، والطين شدواً ، والكدر صفواً ، فتلك أن تجد اللذة ، وأعياك أن تسيغ العيش .

لقد كنا من قبل نبصر الحياة بالقلب والقلب فنان ، ونحن الآن نبصرها بالعقل والعقل عالم !

(من كتاب وحى الرسالة للزيات)

---

(١) نشرت هذه الكلمة فى ٩ أبريل سنة ١٩٥١

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

" Ye shall certainly be tried and tested in your possissions and in your personal selves; and ye shall certainly hear much that will grieve you; from those who received the Book before you, and from those who worship many gods. But if you perservere patiently, and guard against evil, — then that will be a determining factor in all affairs " (S. The Family of Imr'an, V. 186.) " And we shall try you untill we test those among you who strive their utmost and persevere in patience: And we shall try your reported (mettle)." (S. Mohamad, V. 31.); It intended to mobilize the spiritual powers of the believers to pass any distress or difficulty and to face it boldly.

Islam, in fact, did not intend to frighten the people when it assured that they will suffer, not only in their wealth or plenty; but also in themselves. The truthful expression and its actual existence was of a great term in their steady faith and their final success, which they scored because of patience, endurance and piety which is to follow God's instruction. The Holy Qur'an says: " It it not righteousness that yo turn your faces towards East or west; but it is righteousness, to believe in God and the Last Day, and the Angeles, and the Book, and the messengers; to spend of your substance, out of love for him, for your kin, for orphans, for the needy, for the wayfarer, for those who ask and the ransom of slaves; to be steadfast in prayer; and practise regular charity; to fulfil the contracts which ye have made; and to be firm and patient, in pain (or suffering) and adversity, and throughout all perisds of panic. Such are the people of truth, the God fearing ". (S. The cow, V. 177).

Mobilization of the national power:

The final question which comes up now is: How to mobilize the national power towards the socialism? And how to orgamize that mobilization?. Is it better to form leading units in the different sectors of the society which will completely represent all the specific power, to turn the meaning of socialism into a belief? or to let the individuals to elect their representatives who take care of their affairs?.

The President Gamal Abd El-Nasser's call to Revolution: who chose and guided it? — Surely, it is a natural process found its way through a belief, then became an effective belief, and then turned to a motion. These three steps are inseparable, they also follow each other. President Gamal Abd El-Nasser and his companions were effected by the

(*Continued* . . .)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the individuals as they divided education into a religious and a civil one. They also formed the parties which opposed each other, instead of to strive towards the realization of one aim which is the reviving of the Heydays of the islamic society that embraced the human socialism.

C : In thought :

By thought, we mean here the way of thinking and its course. For the thought to be a directive source in mobilizing the orientation of the numerical national power and in turning the meaning of socialism into a belief; it should confirm the islamic and the historical values and not to destroy or doubt people in them.

Undoubtedly, the thinkers have the right to read the weastern and the eastern writings, but they should modify themselves with the specific national powers. This is because the repetition of some directions here and some there through our new revolutionary society; will surely disturb and cause troubles and disunity among the individuals, as it will create a feelings of suspicion towards the sincerity of the Revolution to its history and to the social values which the society is doing its utmost to defend them.

D : In expresston :

By expression, I mean the declaration of one's idea — whether by saying or practical conducting through life — . And as the way of thinking should go with the main social values which represent some of the specifid national powers; the expression of one's ideas — whether by saying or conducting — should be modified with these values. Also, the means of information, such as the newspapers, broadcasting and television, and the means of Art, such as theatres and cinemas, and the means of publishing books and the means of preaching such as mosques; should not oppose each other or differ in their objectives. For perhaps a news or a report in a daily newspaper or in a weekly magazine causes doubt in the people's hearts — because it does not go with the main values of the society — especially those who have no knowledge but what related to the religion and aimed to God's favour. And also the methods of the expression should go with the steps of the society in its new era. So, it should not be exaggerated or abased whether in distress or abundance. When the holy Qur'an said : " Be sure we shall test you with something of fear and hunger, some loss in goods or lives or the ftuits your toil)." (S. The cow, verse, 1[illegible]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Al-Azhar by the revolutionary government to enable them to earn their living on one hand, and to understand Islam and to perform faithfully the islamic message on the other. Hence, there will be no distinction between one and another in the society. No man will be called a religious or a secular one, but all people will have equal opportunities.

As a matter of fact, the islamic society during its heydays did not know a religious man and a secular one, but it knew only Muslim individuals. It did not know the religious man who use his message as a mean to gain his living, but it knew the professional man who was a jurist or a guide to the people. The history tells us some examples : such as Abu Bakr who was a merchant till he was selected ruler of the muslim society, then the great friends of the Prophet "peace may be upon him" asked him to devote himself for the muslim affairs. Another example was Othman son of Affan who was also a merchant. But both of the two - Abu Bakr and Othman - were jurists. The history tells us also about : Abi Hanifa Annoman who was selling silk at the markets, inspite of his knowledge and fame as a jurist, and about Abou Al-Hassan Ahmad El-Kadouri who was a maker of pots although he was one of the greatest jurists. It tells us also about Ahmad Ben Omer Al-Khas-af who wrote the book of "Al-Kharag" and many other great books in jurisprodence, although he was earning his living from repairing shoes.

By this new system, the revolution removed the distinctions and realized equal opportunities for all the individuals of the nation. It also restored the strong picture of the learned muslims of the past, to the learned men of our present time. Hence, our revolution has the right to declare its pride - because of what it realized for Islam and the arabic nation - to the other arabic societies which embraced a certain islamic creed, and their rulers defended it one generation after the other. This certain creed was of Ibn Taymia which aimed at restoring Muslims to their glorious past and putting them face to face with the Qur'an, in order to have a clear understanding for the message of Islam and to have the powerful unity of thought and orientation. Consequently, the hateful sectarianism will be abolished, and the separation which causes weakness and interruption in the islamic society will be removed. But inspite of the existence of these principles, the forgone societies conducted against them. This was because their purpose was only to separate the unity of the people, to weaken them and to create differences among

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

If any observer looks into the islamic massage, studies its principles and objectives in such way, and uses it to attract the people's attention, undoubtedly, he will have a deeper influence in the field of producing more understanding towards the relation between the arabic socialism and the islamic one. This understanding will be changed into a faith and utilization in the daily life of the individuals of the society and this faith by turn, will be the protector of the new position of the arabic society. Also, there will be no need for the legislative law which is guarded and carried out by the executive authority. Hence, the national power which is represented by the individuals will have the task of protecting the new equilibrium and duration of the new arabic society to be of productive socialism.

But the message of Islam can not be understood or has its effect in reviving and turning the meaning of the socialism into a belief, except after giving guidance and orientation to those who are known as the bearers of the islamic message — The Azharites whether they are students or professors —. And on the contrary, if they have not the right understanding and the ability to rouse the general attention for turning the meaning of the socialism into belief; surely their danger will be nearer to that of those who badly use their authority. This is because, as the obsecurants invest the people's wealth and capabilities in their material production; the bearers of the islamic message who have no correct understanding affects the people's hearts and souls and leads them astray.

Our prospect now is depending upon the university of Al-Azhar in its new organization which can be considered one of the greatest revolutionary works and which will have a great influence on our society, and the other islamic and arabic societies. Also, we hope that the revolutionists will make their utmost to turn that organization into an actual existence, in order to perform its message as a growing university — though it is the oldest — especially in guiding the arabic and the islamic nations.

Verily, the reorganiztion of Al-Azhar University will prevent the islamic guidance to be a kind of professions. It will create new kinds of kdowledge which enables one to work and earns his living, instead of to use the islamic guidance as a mean of gaining money. The new faculties which are added to the old ones-The theoritical faculties of arabic and Islamic studies - are a golden opportunity given to the students of

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Therefore, the islamic society is not only the one in which justice and equilibrium are realized, but it is also the society which completely respects humanity and gives it more than it takes, and hence, the islamic society will be the one which fulfills equilibrium and kindness at the same time.

The islamic call did not strive for, correcting the social condition in the human society or for exhorting people to follow the human innate qualities only, but it also called for keeping that, as the saying of the Almighty God " God commands justice and doing of good " [S. The Bees, V. 90]. While the islamic call called people to do good, it called them to enjoin what is right and forbids what is wrong, especially when the society has an obliquity or remissness in carrying out the islamic teachings which consider only the human qualities, not wealth, not pride of honour nor dignity. glorious Qur'an says : " Ye are the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in God ". [S. The family of Imran, V. 110].

As a matter of fact, the message of Islam is not only embodied the principles which call for the social equilibrium and its protection, and which call people to faith in God, but it embodied also the principles which call people to make their utmsst for the benefit of their society. Moreover, it combined — beside that — the main principles which prevent corruption from being spread among the individuals of the society on the hands of the alien people. They also prohibit the individuals of the islamic society to be loyal to any one who does not share with Muslims their faith and national aims, and also prevent them to be loyal to any one except the natural ruler who guides and leads it to realize its objectives and its basic principles. The Qur'an says : " The believers, men and women, are protectors, one of another : They enjoin what is just, and forbid what is evil ". [S. The Repentance, V. 71] " O ye who believe ! take not my enemies and yours as friends (or protectors) ". [S. The women to be examined, V. 1]. " Thou wilt not find any people who believe in God and the last Day, loving those who resist God and His prophet, even though they were their fathers or their sons, or their brothers, or their kindred ". [S. The woman who pleads. V. 22,].

From these verses, we come to the conclusion that people are forbidden to be loyal to the non — Muslims and not to get outer orders or guidance from a stranger or any ruler other than that leader who shares with them their aims and guides the society to realize its objectives.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

In Islam, the honour or the personal pride never adds to a person more virtues to distinguish him from any other one, but both of the two (the honour and the pride) are an external factor gives no more consideration or value. It does not give any one more advancement (in the life welfare) than the other, nor it grants him more social qualities in the society in which he lives. When Islam averts the pride of honour or greatness of the ancestors to be a kind of preferance or valuation, it makes the way wider for the whole people and cleans it from the obstacles and hindrances which were founded by those who are people of honour in order to prevent others from occupying the good position which they deserve because of their personal effeciency, as it realizes what so called in Sociology " The equality of opportunities ".

Indeed, equality of opportunities is not more than a prevention of non-personal factors-such as pride of honour, dignity or fortune—to be means of distinction for some and backwardness for the others. Hence, when Islam returns the mutual position of the wealth back again, and prevents people to use money for monopoly, bad investment or raising the honour and dignity; it surely [illegible] inquility and comfort among people. So, every one will feel a safe future and will be directed to the true aim and objective of life, which is undoubtedly not the fortune nor the pride of honour nor greatness of the ancestors; but it is indeed the production of the human beings in its different shapes; it is the mental production and the physical one together.

Moreover, Muslim — from the islamic point of view — is not one who has fortune, pride of honour or dignity; but he is who works and produces by all his human powers and activities. Also, human society is the one of production and work which are the reciprocal aspect in the islamic society. Indeed, the human production is notling but human services which benefit all the individuals of mankind, whether they took part in its performace or not. Because every one of the islamic society is a human producer, it is naturally that the work of every individual serves the benefits of common, and also the work of common serves the benefits of the individual. And this leads us to conclude that the islamic society is a socialist one. This is because the main principle of socialism is " one is for whole, and all are for one ". The islamic socialism is a human one since it depends only upon the human production, not on wealth nor any other adventitious qualities which have [illegible] effect in the human valuation.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Those who unjustly eat up the property of orphans, eat up a fire into their own bodies: They will soon be enduring a blazing fire!" (S. The women, V. 10.)

The word "orphans" in this verse does not combine those who are under age only, but it contains also the feeble people who have no ability to resist the utilization or to restore their rights which were usurped by the agressors.

Perhaps the main function of the fortune — in view of Islam — is to liberate humanity, — individuals and communities — to liberate them from the material captivity and from the slavery of a man to his brother. As a matter of fact, enslavement can be represented by many ways such as hunger, ignorance, illness and fear. Also, the main function of fortune — In Islam — may be to enable the individuals of the society to enjoy their rights equally. The most important one of these rights is freedom and also honour. The glorious Qur'an says: "Verily, we have created man into toil and struggle. Thinketh he, that none hath power over him? He may say (boastfully) wealth have I squandered in abundance! Thinketh he that none beholdeth him? Have we not made for him a pair of eyes? And a tongue, and a pair of lips? And shown to him the two highways? But he hath made no haste on the path that is steep. And what evil explain to thee the path that is steep? — (it is) freeing the bondman; or the giving of food in a day of privation. To the orphan with claims of relationship, or to the indigent (down) in the dust. Then will he be of those who believe, and enjoin patience, (constancy, and self-restraint), and enjoin deeds of kindness and compassion. Such are the companions of the Right hand." (S. The city, Vs. 4 — 18.)

As a result of what we mentioned, — the main function of the fortune is to liberate the humanity from all the different ways of slavery — Islam aims at giving the man a complete mastery over money due to his characteristics, freedom and his honour. That is because the subjection of man to the fortune is against the law of God who created him to be the master of all the other creatures, such as the wealth which lays in the botom of the earth and the money which is its price. So, when the holy Qur'an says "And He has subjected to you, as from Him, all that is in the heavens and on earth" [S. Bowing the Knee. 13.] It intends to clear that man himself is a master and that all the other creatures are harnessed to him.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

standard, Islam calls people to maintain and protect it against any unexpected relapse. But if the society is compelled and forced — by a bad authority, utilization, monopoly or the different trials — to come back to its former state, Islam ordains people to call again for the correction of the society, then to guard and protect it. Undoubtedly, Islam always tries to correct the bad condition of the society, and to narrow the distinction among the people in order to enjoy themselves during their lifetime.

We previously mentioned that the message of the prophet Mohamad " peace may be upon him " had come to purify the social condition and to oblitirate the investment, whether it is performed by those who are the descendants of the great ancestors, or by those who are wealthy. This seems very obvious in the islamic attitude towards fortune, pride of honour and greatness of the ancestors. For example : Islam does not consider fortune as a private property enjoyed by those who possess it, while needy people have no share in it, but on the contrary it considers money a loan given to them and they temporarily possess it, also Islam considers those people as guardians who should carry out their guardianship completely and wisely. Moreover, fortune in the islamic point of view belongs to God, as it is a common right for all people. This is because God's provision is to be shared by all His creatures. This islamic point of view concerning fortune is cleared in the different verses of the holy Qur'an which read " Believe in God and His prophet, and spead (in charity) out of the (substance) where of He has made you Heirs ". [S. The Iron, V. 7].

" Ye, give them something yourselves out of the means which God has given to you " [S. The Light, V. 33].

" And those in whose wealth is a recognised right. For the (needy) who asks and him who is prevented (for some reason from asking) ". [S. The ways of Ascent, V. 24-25].

Because wealth basically belongs to God, one who possesses it has no right to withholdit from others, or to badly use it, such as to enslave their souls ar to tie their future to his order by means of it. In this respect the holy Qur'an says " And do not eat up your property among yourselves for vanities, nor use it as bait for the judges with intent that ye may eat up wrongfully and knowingly a little of (other) people's property ". [S. The Cow, V. 188].

meet hindrances and obstacles, such as hunger, fear and lack of properties. In this respect the holy Qur'an says "Be sure we shall test you with something of fear and hunger some loss in goods or lives or the fruits (of your toil), but give glad tidings to those who patiently persevere,-" [S. The cow, V. 155].

These hindrances sometimes be represented by the conspiracies or the plots which are prepared by those who have no belief in the new system and principles. These plots and conspiracies sometimes cause harm to the reformers. In this connection the glorious Qur'an says "Ye shall certainly be iried and tested in your possissions and in your personal selves; and ye shall certainly hear much that will griéve you, from those who worship many gods. But if you persevere patiently, and guard against evil, - then that will be a determining factor in all affairs." [S. the family of Imran, V. 186.]

Though these difficulties may hinder the call's way, the last consequence will be the victory and the stability for the callers and the society which they are struggling to realize. The Qur'an says "This day have I perfected your religion for you, completed my favour upon you and have chosen for you Islam as your religion." [S. The Table, V. 4.]

Reviewing the history as a directive source for the struggle of our nation which aimed at realizing the methodical examples and stability of the balance among all members of the human society, it is undoubtedly possible to mobilize the national numerical power towards the belief in Arab socialism. This mobilization will be realized, if we understand the happenings of the history, which happened as a result of calling to these idologies, the hindrances which met the callers and the success which they scored at last as a result of their struggling.

B. in Religion :

As a matter of fact, Islam - by its message and through it - aims only at restoring the human and the good position to mankined. This because the human society had lost ist position pride and honour and also the differences and distinctions among its individuals were very obvious, not only in the poverty and richness nor in ignorance or learning, but also in the human qualities which are differently granted to the human beings.

After turning the situation of the society to its correct human

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

From this Qur'anic verse, we come to the conclusion that Islam ordains Muslims - when their society comes down to a level lower than the required one - to from a group from amongst themselves to bear the responsibility of reformation of the society. But without having a complete authority over the society, it is impossible to restore the society back to its glorious past. This is because the authority is the only mean which enables one to enjoin what is right and forbids what is wrong.

However, the holy Qur'an - in this verse or in any other verse did not point to the way of forming such group which will bear the responsibility to restore the society back to its right position. No doubt that the Qur'an never aimes at forming such a group by means of election- when the society comes down to a level lower than the level of the islamic values - because people, as a whole, in such case will have no ability to be higher than the happenings, to see the outlines of the reformation of the society, or those who gather these lines into their minds, have a complete belief in them and make their utmost to carry them out.

As a matter of fact, God chose this group of people, His selection does not mean that He sent down to them a new revelation to convey it to the people as the prophets; but it surely means that God granted them pure natures and faithful hearts by which they can be higher than the happenings and which enable them to call People to do good, enjoin what is right and forbids what is wrong, as the Qur'an states in the previous verse. Verily; with their faithful hearts and pure natures; they will realize their aim and reach their goal which is the improvement of their society and conducting according to the islamic values. This is the statement of the Qur'an at the end of the above mentioned verse which reads "They are the ones to attain felicity", the task of this group does not differ from that of the prophets and messengers, whether towards the call itself or its stages or the circumstances of the struggle : Its failure and success. No doubt that the good result — inspite of these circumstances — will be at last for those who are pious, and also they will be the winners inspite of the long time and the hindrances that they will meet.

Hence, we do not expect to find a paved way to pass over or a bright light to lighten the way in front of us, but we mostly exp

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

through its history — is the Islamic call, its begining and its extention all over the world. However, the arab history before the Islamic Call, was only the history of the arab tribes, history of war and comptetion for the sake of the mastery over the arab peninsula. But after Islam, the arab history is the history of the Islamic values and ideologies, history of Arab struggle to plant these values in their life and all mankind as well.

If we have a true desire to restore our nation's glory to our new society which is the socialist one, we shall firstly centralize our desire on these values which are the arabic and the Islamic message, and also on the difficult and long periods of struggle to make a room for these values in the human beings life.

The Qur'an — it self — not only illustrates the values of the Islamic message, but it depicts the struggle for its sake also. The examples of the struggle in the holy Qur'an are not for the struggle which began and then ended, but for the sake of the struggle which will be repeated through the human generation. This is because the values of the Islamic message are requested to be followed by all people and they also asked to perform them during their life, or [at least to be nearer to them. Sometimes, humanity may come to the standard of the realization of these values, and sometimes it comes down and in this case, all the human society will be responsible to fight in the cause of the realization of these values again to inculcate them in the human being hearts.

As a matter of fact, these values are steady ones and the human beings are responsible to raise themselves to its level, so it is only the society attitude — towards these values — which changes nearer to or away from them. The Qur'an says "Let there arise out of you a band of people inviting to all that is good, enjoining what is right and forbidding what is wrong : They are the ones to attain felicity". (S. The family of Imran, V. 104).

This verse denotes to the duties of humanity, when the society becomes away from the Islamic values, or when disruption and corruption are existed. According to this verse, it is the duty of the society to have a group of people who have a complete conviction in these islamic values to restore—by enjoining what-is right and forbidding what is wrong the glorious past of the Muslim society.

The specific national power :

As a result of the above mentioned, all the individuals of the nation — except those who badly took the proceeds and the sources of the nation's wealth, who directed its political and intellectual affairs and who weakened the nation and helped the foriegn mastery against the national struggle. indeed those are the people who took more than they gave or took but did not give — except those, the rest of people are qualified to be Arab socialists. But the question which we should face now is: How the individuals of the nation become Arab socialists — while they are forming the numerical power — in the actuality and manner ? How does the understanding of Arab socialism can be changed to a complete belief in it ? And how this belief can be utilized in the practical life to protect the nation n case of aggression or conspiracy against it ?

Having the suitability for acceptation of Arab Socialism is not quite enough for the individuals of the nation, as well as it is not sufficient for them to have a numerical power, but there should be — besides that — a complete conviction which urges one to do good during his life, to carry out the principles of Arab Socialism and to fight against those who are trying to aggress on it.

Consequently, there should be another power which is unseen and immaterial one, beside the numerical power. This power is the one which drives, or rather, should drive the Socialism, as an understanding, to be a complete conviction, then to a behaviour according to that conviction.

Hence, we may call this power, the specific national power. This is to face the numerical natinal one. And if we examined these specific national power which turn the understanding of Socialism to a complete belief in it, we shall find out that they are represented in following of the sources of powers :

A. The history.

B. The religion.

C. The thought.

D. The expression.

Undoubtedly, these means and sources of power can be a perfect guide, if they are well understood and practised. The practical role of the leaders of Arab Socialism, is to declare the values of these sources of power and to materialize it in our new society.

A. In the history :

We mean here by history, the history of our arabic nation which —

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

The teaher will also be an arabic socialist, if he gives more favour in addition to his work. This favour can be represented by giving help to the students who need such help, performing his duties thoroughly, or by sharing the task of giving free education to the people in a public schools. Not only the teaher, but also the teachers syndicate will be an arabic socialist, if it gets out of the circle of serving only its members in return for their subscribtions and strives to serve all people. It can, for example, build schools and produce free scholarships for the intelligent students or to spread konwledge and culture to enlighten people and oblitirate illiteracy.

The agricultural engineer can be also an arabic socialist, if he freely shares by his expertness in some technical fields for the benfit of the people, such as to show farmers how to cultivate lands, to visit their farms and houses periodically, and to give them more advices to indicate his active readiness for help and his human noble feelings towards them.

Also, the agricultural syndicate can be an arabic socialist, if it widens its services to benefit, not its members only, but all people also, For example : To establish methodical houses for farmers in different villages, to improve animal production and its exhibitions, or to offer any other help to denote that it does not confine its services to its members, but it does its utmost for the benefits of all.

The Governmental employer can be an arabic socialist, if he gives more favour or human services beside what he is compelled to do according to his job. For example : To accomplish the needs of the people as soon as he can, to save their time and to offer them other services which are not due to his official work, but for only humanity and kindness.

Therefore, Arab Socialism combines two aspects :

* Justice and balance between taking and giving with regard to the individual relation.

* An exceeding favour beside that justice which reflects its influence upon the society.

Hence, the fact that the individual is working for the benefit of all will be realized. This is because his services are not equal to his wage, but they are more than it. And also that all are working for the benefit of the individual. This is because they make their utmost to happy him irrespective of the value of their wages, and this of course is the essence of Arab Socialism.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

passes his examination successfully in return for his parents, teachers and professors care ? Is the wife an arabic socialist when she takes care of her family's affairs and carries out her duty as a mother in return for her husband carefulness ? Is the husband an arabic socialist when he accomplish his duty towards the family in return for the services which family offers to him ?

Surely, if the Arab Socialism is mere giving in return for taking, or a service apt to a recompense, every one will be, therefore, an arabic socialist. In my openion, Arab socialism is not only an act of moving inside the sycle of giving and taking or, in other words, that work should be equal to its recompense. But Arab socialism is that " One for all and all for one ". And here questions will rise : How one be for all ? How all be for one ?

It is impossible for one to work for all, or all to work for the benefit of one as long as the work is only in the circle of giving and taking or at least the work is equal to the wage. Therefore, every one should offer an additional work beside the equality of taking to the giving or rights to the duties. This additional work is a human service that can be explained as a manly effort whether it is a material or immaterial one. For instance the worker will be an arabic socialist if he — beside his daily work — offers an additional service, as to do his work thoroughly, to help the weak workers, to guide and advise those who have no experience . . . . etc.

The medical man will be an arabic socialist, if he gives an exceeding favour beside the medical care for which he takes the fees. This exceeding favour can be represented by giving free medical advice to the patient who has no ability to pay fees. The medical man can also represent his exceeding favour by giving a precise description or an exact advice and also never to produce it, unless he studies the patient condition thoroughly. Consequently, the patient will not be exposed to any harm or pain. This favour also can be materialized in the fields of offering guidance to those who badly need it and in many other fields.

Undoubtedly, the Doctors Syndicate can be an arab socialist, if it gives an exceeding favour beside, the services which it offers to its members in return for what they pay. For instance : It can help in establishing new free hospitals for the needy people, in giving free medical advices and also in teaching people, especially the uneducated and the peassant classes how to protect themselves against diseases and in any other free human and medical servi

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

that the working class — the factory workers in particular — is the only class which should have complete authority over society, and this of course will be the last ring of the historical events chain.

The system of the society — in the communism point of view — had changed to its contrary in the past, and now it differs from what was in the past, and it will be also changed to its contrary in the future till the society becomes a worker one. For instance, the royal society — in which the different kinds of properties belonged to the king himself and the people were similar to slaves — was changed from the royal system to feudal one in which the rulers — who were appointed by the king's will — owned the fields and rented them to the cultivators. Again that society was changed from the feudal system to the capitalistic one in which money was entirely invested in the factories as the feudalists prefer factories on land cultivation to get more interest. This capitalistic society was also changed to a worker one after long conflicts between the capitalists and the workers of the factories. Hence, communism considers that the workers of the factories are only the communists and the socialists.

But is the Arab Socia sm, the same communist one? No,.. It is not, because Arab socialism protects the individual properties, which are forbidden in the worker or the communist society. The personal properties are existed and will remain because they form the private section, beside the public one in which some lands, factories and stores are belonging to State.

Again, we will come back to ask about the meaning of the Arab Socialism and the fields in which it can be materialized. Is it a kind of exchange or substitution? Is it the performance of person's duties in return for having fully his rights? Are the farmer in return for having fully his rights? Are the farmer in the farm and the worker in the factory, arabic socialists when they perform certain works and take their wages? Is the employer in his office an arabic socialist because he performs the duty of his employment and in return for, he charges his salary? Is the medical man - when he discribes medicine for the ill and takes fees for his work - an arabic socialist?

Are the teacher of the school and the professor of the university arabic socialists when they carry out their duties and get their salaries? Is the student of the school or university an arabic socialist when he carefully attends his lessons and

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE NATIONAL POWER

HOW TO BE MOBILIZED TOWARDS THE ATTAINMENT OF ARAB SOCIALISM

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

Vice chancellor of Al-Azhar University

This is a valuable philosophical research, in which the writer has demonstrated the national power and how they are to be mobilized towards realizing Arab Socialism. He also analyses its different specific fundamentals, especially from the aspect of history, religion, thought and expressions. The task of Al-Azhar in its new era is to inculcate the new revolutionary thought and understanaing in the people's minds.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

To define suitably, the national power, it would be better before discussing the meaning of Arab socialism, to explain or declare what the National power is? Is it a certain number of individuals of different classes? or is it a discriminative power conferred on certain individuals who can possess it, while the rest of them have the ability to bear it and to carry out its principles.

The Arab Socialism :

In this respect I wish to ask the question " Is the one who works in a factory socialist, only because he is a worker? " If so, the Socialism will be an inseparable quality for the worker, wheresoever he will be. Or, does socialism bear another meaning and essential quality which stands for that worker or any other individual, if such meaning or quality is planted in him?

Indeed, Communism looks at the worker as a Communist and a socialist because he is a worker. This is because it rests upon certain intellectual fundamentals which mean

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

best nation of mankind. So, it is our duty - in that condition - to carry out the instructions of the holy Qur'an which was revealed to be as a constitution and system of life. Hence, the enmity among Muslims should be removed and replaced with love and peace. And consequently, our nation will restore its glory and honour, as well as it will had the ability to perform its duty towards the message of Islam till the tumult and oppression be removed and justice and faith in God be prevailed.

In the occasion of the coming of the month of Ramadan, I gladly direct these words to all Muslims everywhere as I like to put in their consideration — as a conclusion — the saying of God (exalted be He) "O ye who believe! give your response to God and His prophet, when He calleth you to that which will give you life, and know that God cometh in between a man and his heart, and that it is He to whom ye shall (all) be gathered. And fear tumult or oppression, which affecteth not in particular (only) those of you who do wrong and know that God is strict in punishment." (S. The spoils of war, Vs. 24 — 25.) "O ye who believe! Perserve in patience and constancy: vie in such perseverance, strengthen each other; and fear God; that ye may prosper." (S. The Family of Imran, V. 200.)

In the end, I prey God to guide all of us to the straight path and to do good for the benefit of our nation and our religion. Also, I hope them to receive Ramadan of the next year with faithful and united hearts. And now, let us hear and read the following verses of the Almighty God (exalted be He) "In the name of God, most gracious, most merciful. By (the taken of) time (through the ages). Verily, man is in loss, except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teaching of truth, and of patience and constancy." (S. Time through ages.)

be like those who say, " we hear " but listen not. " (S. The spoils of war, Vs, 20 — 21.) " And hold fast all together by the Rope which God (stretches out for you) and be not divided omong yourselves. " " Be not like those who are divided amongst themselves and fall into disputions after receiving clear signs : For them is a dreadful penalty, — On the Day when some faces will be (lit up with) white, and some faces will be black. " (S, the family of Imran, Vs. 103 — 105 — 106.)

" Let not the believers take for friends or helpers unbelievers rather than believers : If any do that, in nothing will there be help from God" (S. The family of Imran, V. 28.)

" Your (real) friends are (no less than) God, His prophet and the (fellowship of) believers, — those who establish regular prayers and regular charity, and they low down humbly (in worship). As to those who turn (for friendship) to God, His Prophet and the fellowship of believers, — It is the fellowship of God that must certainly triumph. " (S. The table, Vs. 58 — 59.)

Verily, if they completely understood the meaning of these verses, they would know what they order them to do, they would come to the conclusion that they are the followers of the religion which enjoins love and co-operation and forbids hostility and conflicts. The religion which always calls for unity and brotherhood. Undoubtedly, people who are like that, should stick themselves to the unity and not to cut the links of fraternity which join them to each other, as they prevent insult and hatred, because these are against the requested character of the believers whom God says about them "The believers, man and women, are protectors, one of another; they enjoins what is just, and forbid what is evil' (S. The Repentance, V. 71.)

This means that unity in loyalty and devotion, should leap Muslims to be united, to support and help each other in the righteous deeds and piety.

Now, we are passing through the time in which Muslims are separated and in which the factors of corruption are spreading among the individuals of the Muslim society. And as a result of that, imperialists occupied their lands and usurped their properties, and Muslim also failed to reach the goal which Go had chosen for them. This goal is ... lead mankind to the straight path. For this reason, God revealed to them his guidance and religion, as He supplied them the means of being good conductors in order to be the

full well all that ye conceal and all that ye reveal. And any of you that does this has strayed from the straight path. IF they work to get the better of you, they would behave to you as enemies, and stretch forth their hands and their tongues against you for evil; and they desire that ye should reject the truth." [The woman to be examined Vs. 1 — 2].

"O ye who believe ! Take not into your intimacy those out side your ranks : They will not fail to corrupt you. They only desire your ruin : Rank hatred has already appeared from their mouths : What their hearts conceal is far worse, we have made plain to you the signs, if you have wisdom. Ah ! you are those who love them, but they love you not." (S. The family of Imran, V. 118.)

Surely, Muslims forgot all these meanings. It bloods the faithful hearts to observe the hostility and separation widely spread among the individuals and the governments of the Muslim nations, to notice that the Islamic society had divieded into many sections and to see Muslim countries had beon subjected to the imperialists who usurped their wealth and induced one to fight against his brother. Here we should repeat the following verse, "Has not the time arrived for the belivers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation aforetime, but long age, passed over them and their hearts grew hard ? " (S. The Iron, V. 16.)

Has not the time arrived for the muslim people to liberate themselves from the deception of the imperialists and their supporters who strive hard to create hostility among one and his brother, to extend the period of their occupation in the Muslim's land ? Has not the time arrived for them to be guided by the tenets of the month of Ramadan which is the month of devotion and Qur'an, and to take it a point for revolution against the imperialists and the dishonest citizens who put the obstacles and the hindrances in the way of their unity, dignity and honour ? Has not the time arrived for them to repeat attentively reading of the following verses : " And obey God and his Prophet; and fall into no disputes, lest ye lose heart and your power depart; and be patient and persevering : For God is with those who patiently persever. " (S. The spoils of war, V. 46) "O ye who believe ! obey God and His Prophet and turn not away from him when you hear (him speak). Nor

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

may notice from all its principles and regulation : We can observe that in the fasting as we above mentioned, in the prayer which is a repeated devotion. For instance : All Muslims direct their faces towards one direction (one keblah), they perform their prayer behind one leader (Imam), their movements are the same, they read one Qur'an and they repeat the same praises through their bowing (Sobhana Rabbia Al-Azeem) " praise be to great God ", and through their prostration (Sobhana Rabbia Al-Aala) " glory be to God the Almighty ".

Unity is the aim of Islam in Zakat also. Zakat is the tie which links all the individuals of the society to each other, spread among them, love, faithfulness and cooperation. Surely, alms giving removes the distinctions among the classes and replaces them with love and brotherhood. Hence, the rich man feels the pains of the poor one, and he may make his utmost to please him, and the poor man offers his assistance to the rich one when he afflicted by a calamity.

In pilgrimage, unity is very obvious, especially at the time of " Ihram " when all pilgrims put off their ordinary clothes and put on clothes of a similar kind, material, parts, colour and the same making. At that time, one can not distinguish rich man from the poor one. This of course teaches Muslims the meanings of unity, instill in their hearts fraternity, tidiness, love and co-operation. Hence, Muslims become one group against their enemies.

But unfortunately, it is very painful for the faithful hearts to know that Muslims - during a period of the islamic history - forgot the facts of their religion. They were involved in the material fascinations of the world and forgot the constitution and the guidance of God, some of them become affectionate with God's enemies and their detractors, as they accepted them as their supporters other than God. The holy Qur'an says : "And incline not to those who do wrong, for the fire will seize you ; and ye have no protectors other than God, nor shall ye be helped." [S. Houd, V. 113.] "O ye who believe ! Take not my enemies and yours as friends (or protectors) offering them (your) love, even though they have rejected the truth that has come to you, and have (on the contrary) driven out the prophet and yourselves (from your homes), (Simply) because ye believe in God your Lord ! If you have come out to strive in my way, and to seek my good pleasure. (Take them not as friends), holding secret converse of love (and friendship) with them : For I Know

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

RAMADAN IS ONE OF TENETS OF THE ISLAMIC UNITY

by
His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar

Dear Muslim brothers and sons all over the world : Assalamu Alikum wa - Rahmatu Allah wa - Barakatoh (peace from God be upon you). Now, the month of Ramadan has come " Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong)." (S. The cow, verse 185.)

It is the great month which God imposed upon every Muslim to fast it, to be as an Islamic tenent declares the unity of Muslims everywhere. An Islamic unity with infinite time, place, geographic borders, — natural or political — race, colour or language. In this respect the holy Qur'an says " O mankind ! we created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that ye may know each other (not that ye may despise each other). Verily, the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you. " (S. The Rooms, V. 13.)

The Prophet Mohamad " peace may be upon him " said : There is no preferance between the Arab and the non-Arab or the white and the black except by piety. This is because all of you are the sons of Adam, and Adam was created of dust. "

Surely, it is the unity which basically stands on the faith of Islam which followed and embraced by those who Fasting Ramadan is imposed upon them. The unity of Muslims plainly becomes evident during the month of Ramadan, especially in the times of eating and drinking which are from sunset till the dawn time. It seems also in prayer, fasting, alms giving, praising God, rehearsing Qur'an and also in awakening and sleeping.

Verily, the month of Ramadan and of unity has come. And Islam aims at the Muslim's unity as we

their eyes from looking to the prohibitions, their tongues from saying bad words, the ears from hearing the hateful speaking and prevent their hands from causing harm to the others. They also do good and follow the traditional instructions of Ramadan : The drankard lets his wine, the gambler lets his gambling the wrongdoer lets evil and the criminal forgets his crime, then the fasters will invite the poor people to eat with them and to give them a share in their money and possissions. Hence, all Muslims will feel that their hearts are in one place inspite of the long distance which separates one from the other. This is because they have the same feelings and the same spirit.

This divine spirit takes its place inside the hearts of the fasting people as a faith and a heritage. If one believes in patriotism as he believes in his faith, and find a reformation in the example as the same in the traditional love of reformation, therefore Muslims will be socialist citizens. Every one will make his utmost for the benefits of the common as if they were his own benefits, as he will prefare a better life for his citizens as he likes it for himself. He also will be faithful to his country as the same of the english to his empire.

At that time, the egyptian will be similar to the english who can live in a long distance away from his homeland in order to serve his nation. While he is working for his own benefit, he always puts his republic in front of his sight : Represents it at the best of his ability, offers it his best service and gains people's respect for it because of his good deeds, his faithful heart and his good conduct. Hence, you will not hear that the arabic or the egyptian man is living in the foreign contry in a complete loneliness, but in a permanent contact with his homeland and its people. He will not be a bad propagandist for his nation, as he will not speak badly about his brothers. This is because the socialist spirit receives its light from the spirit of God, and this leads man to change his individuality into a nationality, his selfishness into a philanthropic liking.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

beings — which is the best kind of the living creatures — is making his utmost, firstly, to benefit himself, then to please his wife and sons. On the other hand, we find that the relation between man and the others looks like the relation between the hunter and his prey or the murder and his victim. This means that man strives hard to interest himself and his family, whether it is a legal action or a prohibited one. He wants his body to be healthy and his house to be full of nice properties, but he will be careless about any loss or distruction which may happen to the other people.

Surely, God does not grant man this kind of the materialistic socialism, but He makes it a part of His constitution and a section of the book which He revealed. So, one who tries to reform the corruption of the society, should spread these spiritual aspects everywhere to lighten the way in front of the people, otherwise his reformation will be useless.

According to the nature and the message of the Islamic religion, God promulgated it a socialist one. Indeed, God had revealed it due to his knowing and Distiny to guide people to the straight path during their lifetime in the world. God is the owner of all money and properties, people are His bondmen and they will return back to Him after death. Because of the spiritual contact between creator and His creatures, the great Islamic family should be together in a unit. In this unit, people are equal, and the appointment of their government should be according to their will, the brotherhood is their faith and the money and properties are belonging to all of them.

If you think over the pillars of Islam and the regulations of its constitution, you will find out that socialism which unifies the hearts of the people, imposes on the rich man to help the poor one, as it makes all the Muslim society as one body which feels pain because of the diseased part. Here, I shall mention one example from one thousand, and it will be about the Fast of Ramadan. Is not the month of Ramadan which represents the spiritual unity among all Muslims everywhere? Surely, it is. Muslims perform fasting during one time, break their fast at another one and perhaps they eat one food. They do not repose their tangible delights or desires, because they devoted themselves for the worship of God. Hence, they prevent themselves from doing ill deeds, prevent

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

FASTING RAMADAN IS A SPIRITUAL SOCIALISM

By
AHMED HASSAN EL-ZAYAT
Editor - in - Chief

It is quite impossible for the materialistic Socialism — which we call people to carry it out — to lead its way, without a strong foundation which is the spiritual Socialism. This is because the spirit is God's secret which he created inside the heart of every human being, every system and every society. This secret is near to bring to life the dead as it unifies those who are separated from each other. As a matter of fact, we call this secret " love, attraction or unity ". It urges people to worship one God, to like their country, to respect one motto and to obey one leader. But if this secret left the hearts and went out of minds, there would be no brotherhood or help between one and the other, and no cooperation among the individuals of the society. Hence, the socialist laws and the co-operative systems would be in vain.

Verily, without the divine spirit, the human society will become looks like the animal one. For instance : one who takes care of his son is urged by his instinct which obliges him to keep his kind. But when this son comes to the age of youth, he will become as an enemy for his father, many conflicts and fights will happen between the two and the emotion of motherhood or fatherhood will become a tyrannical individuality.

In fact, the instinct of keeping the race is sometimes promoted among the animals such as the Bees and the ants till it becomes an ideal socialism which the human society makes its utmost to carry it out. This ideal socialism among the individuals of these two kinds of animals, means that " The whole are for one and the one is for all ". Hence, we find that the bee or the ant is working for the benefit of its society as a whole.

As it is also impossible to find this kind of sacrificing and co-operation among the individuals of another society like flies, monkeys or people. But every one of the human